الإمام الحسن بن علي عليهما السلام

أدوارٌ ومواقِفُ

تأليف
السيد غسان السامرائي

مركز الدليل العقائدي

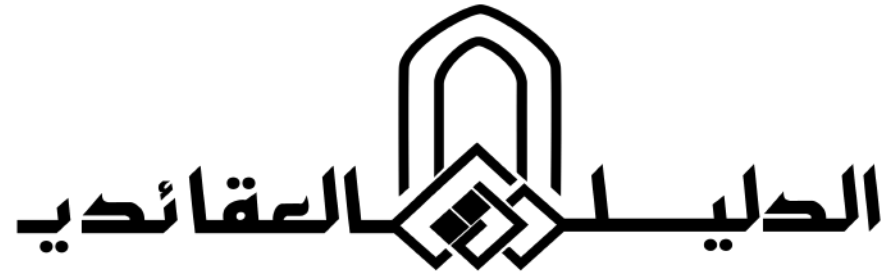

الدليل العقائدي

مركز بحثي متخصص في الرد على شبهات المخالفين

هوية الكتاب

اسم الكتاب: الإمام الحسن بن علي عليهما السلام
أدوار ومواقف

تأليف: السيد غسان السامرائي

الناشر: مركز الدليل العقائدي

الإخراج الفني: صفاء أحمد الشمري

الطبعة: الأولى

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

سنة الطبع: ١٤٤٦ هـ ـ ٢٠٢٥ م

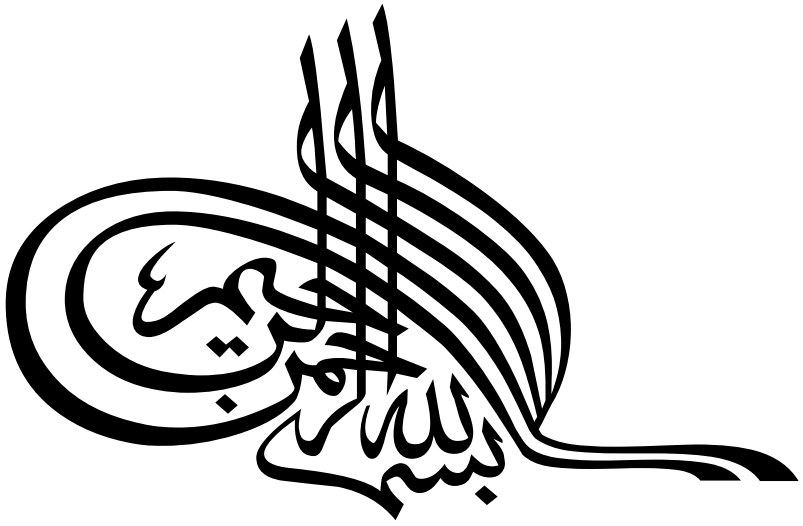
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمةُ المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسلامُ الأتمّانِ الأكملانِ على سيّدِ الأوّلينَ والآخرين وأشرفِ الخلقِ أجمعين، سراج المهتدين، والمبعوث رحمة للعالمين، المصطفى محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.. وبعد:

انطلاقًا من قوله ﷻ: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[1]، أخذ مركز الدليل العقائدي على عاتقه التصدّي للشُّبُهاتِ التي تطال العقيدةَ الإسلامية عمومًا، والتعريفَ بعقائدِ الشيعة الإماميّة خصوصًا، مع التصدي للرد على كلِّ الشبُهات التي تطال المذهبَ الشيعيَّ خاصة، هذا المذهب الشريف الذي أَسَّس بنيانَه، ووَضَع لبناتِه الأُولى النبيُّ الأقدس ﷺ حين قال في حديثٍ صحيح: (إني تاركٌ فيكم خليفتين: كتاب الله حبلٌ ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يتفرَّقا حتى يردا عليّ الحوض)، وما تلاه من بياناتٍ وأحاديث متضافرة تحثّ على التمسُّك والأخذ والمتابعة للثقلين (الكتاب والعترة) معًا، كهذا الحديث الصحيح: (إني تاركٌ فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يرِدا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)، وغيرها من الأحاديث

(١) فصلت: ٣٣.

الشريفة الصحيحة الواردة في هذا الجانب، التي يكاد المنصفُ أن يقول بتواترها، بل هي متواترة فعلًا، لتضافر نقلها عند جميع الفِرَق الإسلامية على اختلاف مشاربهم الفقهية والعقَدية.

وكل هذه الردود إنما تجري على وفق أسسٍ علمية ومنهجية سليمة، بعيدةٍ عن التعصُّب الأعمى والانغلاق المقيت، فالعلمُ هو السلاح الوحيد النافذ الذي يصح الاحتجاج به، وما عداه لا قيمةَ له، وقد نُسِب إلى سيد الموحِّدين أميرِ المؤمنين مولانا عليِّ بن أبي طالبٍ عليه السلام قوله:

ففُزْ بعلمٍ ولا تطلُبْ به بدلًا فالناسُ مَوتى وأهلُ العِلم أحياءُ

وعلى وفق هذه المعطَيات جاء كتاب "الحسن بن علي عليهما السلام أدوار ومواقف"، لمؤلفه السيد غسان السامرائي، ونسأل الله العلي القدير أن يجعله ذخرًا لمؤلفه يوم الحشر، وأن يحشره مع محمد وآله المنتجبين، إنه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه أجمعين محمد وآله الطيبيين الطاهرين.

مركز الدليل العقائدي

النجف الأشرف

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥ م

مقدمة

من هو الإمام الحسن عليه السلام؟

هو الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، السبط الأكبر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كان أول أولاد فاطمة عليها السلام وعلي عليه السلام (السبط هو الحفيد من جهة الابن أو البنت، ولكنه أكثر استخداماً للثاني). ولعل منزلته تلك، إضافة إلى عدم وجود ولد من الذكور للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، جعلت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصفه بكلمة «ابني»[١].

كنيته «أبو محمد»، ولقبه/ صفته «المُجتَبى» أي المُختار.

ولد في منتصف شهر رمضان المبارك من سنة ٣هـ.

روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي سماه الحسن[٢]. كما روي أن هذا كان بأمر الله عز وجل[٣]. قالوا: إن الاسمين الحسن والحسين لم يكونا عند العرب قبل ذاك[٤].

له من أمه فاطمة عليها السلام السبط الأصغر الحسين عليه السلام وأخته

---

(١) صحيح البخاري ج٢ ص٩٦٣ رواية ٢٥٥٧.
(٢) الكافي للكليني ج٦ ص٣٣-٣٤، ومسند أحمد بن حنبل ج١ ص٩٨ و١١٨.
(٣) مناقب ابن شهرآشوب ج٣ ص٣٩٧، وطبقات ابن سعد ج١٠ ص٢٤٤، وتاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ص١٥.
(٤) أسد الغابة لابن الأثير ج٢ ص١٠، وطبقات ابن سعد ج٦ ص٣٥٧.

العقيلة زينب عليها السلام. وأما من أبيه علي عليه السلام فله عدة إخوة أشهرهم العباس عليه السلام قائد جيش الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، ثم أشقاؤه الثلاثة شهداء كربلاء عبد الله وعثمان وجعفر (أمهم أم البنين فاطمة بنت حزام الكلابية).

عاش في كنف جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يتعهد الزهراء عليها السلام وعائلتها بالرعاية والتنشئة، فلما توفي صلى الله عليه وآله وسلم -وهو ابن ٧-٨ سنوات- استمرت التنشئة العالية بين أبيه وأمه عليهما السلام. وكبر، وهو يشهد الأحداث التي جرت على والديه عليهما السلام من قبل السلطات المتعاقبة إلى أن تولّى أبوه عليه السلام الأمر سنة ٣٥هـ وللحسن عليه السلام ٣٢ عاماً، فشارك أباه عليه السلام في كل مراحل خلافته سلماً وحرباً، إلى أن بويع بالخلافة خلفاً لأبيه عليه السلام.

كان ذلك يوم ٢١ من شهر رمضان سنة ٤٠هـ (حيث توفي علي عليه السلام من ضربة اللعين ابن ملجم المرادي قبل ذلك بيومين).

روى الكليني بسنده عن سليم بن قيس قال: «شهدت وصية أمير المؤمنين حين أوصى إلى ابنه الحسن عليه السلام، وأشهد على وصيته الحسين عليه السلام ومحمداً (يعني ابن الحنفية) وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته؛ ثم دفع إليه الكتاب والسلاح، وقال لابنه الحسن عليه السلام: «يا بني، أمرني رسول الله أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين». ثم أقبل على ابنه الحسين، فقال:

«وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك هذا» ثم أخذ بيد علي بن الحسين، وقال: "وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي، وأقرئه من رسول الله ومني السلام"»[١].

تولى الإمام عليه السلام الحكم ومرجعية الإمامة يوم استشهاد أبيه عليه السلام، وبويع في نفس اليوم من نحو أربعين ألفاً، وخضعت له جميع الأراضي التي كانت تحت سلطة أبيه عليه السلام، وبالتالي فإن الشام التي كانت تحت سلطة الباغي معاوية بن أبي سفيان لم تبايع. سارع معاوية إلى بعث جيش باتجاه العراق، فقام الإمام بتوجيه جيش بقيادة عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، الذي نجح معاوية في شرائه، وأما الإمام عليه السلام فقد جهز جيشاً آخر إلى منطقة ساباط. هناك تعرض عليه السلام إلى محاولة اغتيال فاشلة جرحته وحسب، ونقلوه إلى المدائن طلباً للعلاج. انتهى الأمر إلى الصلح بين الطرفين وتسليم الحكم إلى معاوية.

بعد توقيع الصلح سنة ٤١هـ رجع الإمام الحسن عليه السلام إلى المدينة المنورة، وبقي مقيماً فيها حتى شهادته سنة ٥٠هـ، ليكون هناك منارة العلم الأولى وأوجه وجهاء مدينة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

ومن المناسب ذكره، بما يتعلق بمكانة الحسن عليه السلام في الدين

---

(١) الكافي ج١ ص٢٩٧، وكتاب سليم بن قيس ج٢ ص٩٢٤، ومن لا يحضره الفقيه ج٤ ص١٨٩ وغيرها.

(٢) راجع بتفصيل أكثر الفصل الثاني عشر، باب صلح الحسن.

وخط الأنبياء عليهم السلام، أنه عندما عاد إلى المدينة أعادت أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها ودائع النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي كان قد سلمها إلى الإمام علي عليه السلام عند موته ثم دفعها علي عليه السلام إلى ابنه الحسن عليه السلام عند موته كونه هو الإمام بعده[1].

استمرت خلافته نحو ٦-٨ أشهر، حيث انتهت يوم عقد الصلح مع الباغي معاوية. هذا عن الخلافة، أي السلطة الزمنية الظاهرة.

أما الإمامة، فقد استمرت معه -بالطبع- إلى يوم وفاته عليه السلام سنة ٥٠هـ، وعليه فقد استمرت نحو ١٠ سنوات.

في الحالتين، فقد بايعه الناس كلهم إلا الباغي معاوية ومن اصطف معه، فكانت خلافته أمراً مفروغاً منه بعد أبيه عليه السلام، لا يشك فيها أحد ممن بايع أباه عليه السلام من قبل، من الصحابة والتابعين وباقي المسلمين في الأقاليم. إلا أن إمامته عليه السلام بقيت مستمرة في الذين يعتقدون بها نصاً شرعياً إلهياً نبوياً، وضرورة وجودها لتأدية دورها الذي يتفرع إلى المسؤوليتين العظميين: بيان الشريعة، وحراستها.

وتوفي بالسّمّ في السابع من شهر صفر سنة ٥٠هـ. ولم يكن للإمام عليه السلام أعداء يخشون من حياته سوى معاوية بن أبي سفيان، وذلك أولاً لأن عقد الصلح بينه وبين الإمام عليه السلام ينص

(١) الكافي، ج١ ص٢٩٨.

على أن الأمر بعد معاوية يرجع إلى الحسن عليه السلام، وثانياً لأنه لا توجد عداوة ظاهرة بين الإمام عليه السلام وغير معاوية إلى درجة دفع العدو إلى التآمر والتخطيط لدس السم، وثالثاً لاشتهار استخدام معاوية للسم في قتل أعدائه، كما في قتله مالك الأشتر النخعي الذي عاجله في أول وصوله إلى مصر بعد تعيينه والياً عليها من قبل الإمام علي عليه السلام[1] (كما احتمله بعض الباحثين في قتله عبد الرحمن بن أبي بكر حيث رووا[2] أنه لما جاءت بيعة يزيد بن معاوية إلى المدينة، قال عبد الرحمن لمروان بن الحكم: جعلتموها والله هرقلية وكسروية! ورووا أنه: بعث معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر بمائة ألف درهم بعد أن أبى البيعة ليزيد بن معاوية، فردها عبد الرحمن، وأبى أن يأخذها، وقال: أبيع ديني بدنياي؟. قالوا: وخرج إلى مكة، فمات بها، وبتفصيل أكبر أنه توفي في نومة نامها. وهذا التعبير غريب؛ لأن المعتاد القول: إنه توفي في نومه مثلاً، ولكن عبارة «في نومة نامها» تشي بأن هناك محاولة للتغطية، وعندها يحصل سوء توفيق (!) للوضاعين باختيار كلمات أو عبارات تفضحهم!) والشيء بالشيء يذكر أنه من العجيب ربما أن أخته السيدة عائشة رثته بأبيات قالها متمم بن نويرة في أخيه مالك الذي قتله خالد بن الوليد، ولم يعاقبه أبوها الخليفة بشيء!)

على أية حال، ما ذكر في المصادر أن الإمام عليه السلام استشهد

(١) راجع البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص٣٤٦، والتاريخ الكبير للبخاري ج٧ ص٣١١، وتاريخ دمشق لابن عساكر ج٥٦ ص٣٨٩ وغيرهم.

(٢) راجع ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير ج٨.

بالسم. ولم تكن تلك أول مرة، فقد تم دس السم إليه مرات لم تنجح في قتله. أما تلك الأخيرة التي نجحت فقد رووا أنها كانت بمكيدة معاوية مع إحدى زوجات الإمام عليه السلام، وهي جعدة بنت الأشعث، حيث أرسل إليها المال، وأطمعها بتزويجها بعد ذلك من ابنه يزيد. وإن كان روي أنها كانت زوجة أخرى أو عن طريق الخدم[١].

وربما لمكانته من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومكانته في الدين، ومكانته في المجتمع المسلم، قال البعض: إن وفاته عليه السلام كانت «أول ذلّ دخل على العرب»[٢].

دفن في مقبرة بقيع الغرقد خارج المدينة المنورة، إلى جانب جدته لأبيه السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام (ثم دفن إلى جانبه بعد ذلك الأئمة، أولهم ابن أخيه علي زين العابدين عليه السلام ثم ابنه محمد الباقر عليه السلام ثم ابن الأخير جعفر الصادق عليه السلام).

(هذا، وكان قد أوصى أن يدفن إلى جنب جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم إلا إذا منع من ذلك، وقد صدق ما توقعه؛ راجع ما أشرت إليه حول ذلك في الفصل الثامن أدوار مهمة).

---

(١) راجع الإرشاد للمفيد ج٢ ص١٥، ومقاتل الطالبيين لأبي الفرج ص٨٠-٨١، ومروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص٤٢٧، وطبقات ابن سعد ج ١٠ ص٣٣٥ و٣٥٢، وأنساب الأشراف للبلاذري ج٣ ص٥٥، ومقاتل الطالبيين ص٨١.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٤١٨ هـ، ج ١٠، ص٣٥٣؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٤١٥ هـ، ج ١٣، ص٢٩٥؛ وينظر أيضًا الطبري، تاريخ الطبري، ١٣٨٧ هـ.

الباب الأول

الإمام الحسن عليه السلام في القرآن والسنة

الفصل الأول

الإمام الحسن عليه السلام في القرآن

تقديم

بما يتناسب مع أهداف الكتاب في الإلفات إلى الأدوار المهمة للإمام الحسن عليه السلام في تاريخنا، والمواقف التي تضمنتها بعض هذه الأدوار، فإن الإلفات إلى موقعيته عليه السلام في الدين لا بد منها كدليل على حجّيّة مواقفه في التشريع - دينًا ودنيًا. ذلك أن موقعية الشخص لها المدخل الأول في أخذ ما جاء منه وعنه أو ردّه...

وبما يتناسب مع حجم الكتاب، فإن هذا الإلفات سيكون بإطلالات سريعة على الآيات القرآنية المباركة المتعلقة بإمامنا المجتبى عليه السلام... وإلا فإن البحث المخصص للأدلة على موقعيته في الدين سيتركز في هذه الآيات.

فمن أراد الاستزادة، فإن في كتابي «العودة إلى الأصل - إلى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم» وكتابي «الأمة المسلمة في دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام» تفاصيل عن هذه الآيات المباركات ومناقشات وإثارات جديدة، وربما عرض بطريقة جديدة فيما أحسب[1].

(١) الكتابان مع غيرهما على موقعي على الأنترنت - موقع «العودة إلى الأصل».

ملاحظة بخصوص الآيات والتفاسير

إن الآيات القرآنية التي سأذكرها ستكون على ثلاثة أصناف: ما يتضمن الإمام الحسن عليه السلام مباشرة، وما يتضمنه عليه السلام من موقع الإمامة، وما يتعلق بالإمام عليه السلام حسب موضوع الآية المباركة.

هذه الآيات، يتمتع بعضها بالتوافق على تفسيرها الذي نعتمده، بينما يكون بعضها الآخر من باب المصداق الأعلى؛ لأن الآية عامة أو مطلقة. وبالتأكيد إن هناك من لا يوافق حتى على أن الإمام الحسن عليه السلام، سواء بشخصه أو بموقعيته أو من خلال موقعية أو منزلة أهل البيت عليهم السلام، هو مصداق صحيح لعموم الآية، وهذا نتيجة الفهم أو المنطلقات أو حتى من باب الخلافات المذهبية.

المجموعة الأولى: ما تتضمن الإمام الحسن عليه السلام بشكل مباشر

١ـ الكوثر:

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ. إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾[1].

المعنى العام هو:

إنا أعطيناك الشيء الكثير، فقم بالصلاة والنحر شكراً لله على هذه النعمة، وإن مبغضك هو المنقطع وهو الأبتر.

يستطيع القارئ لهذه السورة المباركة أن يقول: إن هذا الشيء الكثير الذي أعطي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا بد وأن يكون له علاقة برميه أنه كان أبتر منقطعاً مقطوعاً، أي مقطوع الذّرّيّة؛ إذاً:

هذا الكوثر هو الذي يرد على ذاك الذي يقول لك: إنك أبتر بالقول: إنه هو الأبتر، وليس أنت، أي أنه هو من سيكون منقطع الذرية، ولا شأن لهم، وأنت الذي ستكون، على العكس من ذلك، لك الذرية والكوثر الكثير، فلن تكون أبتر.

ولمن يقولون: إن الكوثر معناه حوض الكوثر في الجنة أقول:

---

(١) الكوثر: ١-٣

طالما أن المقصود هو أبتر الولد، فإن التعويض يجب أن يكون في الدنيا، وليس في الآخرة، فشانئوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لن تنعقد بينهم وبينه صلى الله عليه وآله وسلم منافسة في الآخرة، وبالتالي فإن التعويض ردّاً على هذا الشانئ ينبغي أن يكون في الدنيا ليخرسه. فإذا كان التعويض هو الحوض في الآخرة فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبقى أبتر في الدنيا حسب تهمتهم.

وعليه، فإن التفسير المعقول للكوثر هو الذرية عن طريق الزهراء عليها السلام؛ لأن الله سيعطيه الكثير من الذرية عن طريق هذه النسمة المباركة عليها السلام، ومن الفرعين الكريمين الحسن والحسين عليهما السلام.

إذاً سورة الكوثر تخص الزهراء عليها السلام، ثم ولدها الحسن عليه السلام الذي كان أول مصداق للكثرة، ثم الحسين عليه السلام الذي سيكون الفرع الثاني لهذه الكثرة.

بعض مصادر البحث:

فيما يلي ذكر بعض مصادر الروايات التفسيرية أو آراء المفسرين، سواء المؤيدة لما ذهبت إليه أو المخالفة له أو المعارضة له، التي تضمنها البحث أعلاه:

أسباب النزول للواحدي ص٣٠٧؛ تفسير القرطبي؛ الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي.

٢ ـ التطهير:

هي جزء من الآية ٣٣ من سورة الأحزاب ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾.

لغةً، ﴿**إِنَّمَا**﴾ يستخدمها القرآن أحياناً للحصر الحقيقي وأحياناً للمبالغة. أما الحصر فمثلاً ﴿**إِنَّما هُوَ إِلَهٌ واحِدٌ**﴾[1]، فهذه ليست مبالغة؛ وأما الاستخدام للمبالغة فمثلاً ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ**﴾[2]، يقول له: قل لهم: أعظكم بواحدة، والحقيقة أنه يريد أن يعظهم بأكثر، ولكن لشدة أهمية الموعظة هنا فكأنما هو لا يريد إلا هذه الموعظة.

هنا كذلك، ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ**﴾ يريد أن ينبه إلى أهمية هذه الإرادة. فماذا يريد؟ يريد ﴿**لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ**﴾، يذهب «عَنْكُم» وليس يذهب مِنكم، لأن الرجس ليس موجوداً فيهم أصلاً، أي أن الرجس إذا أراد أن يتعرض لكم فهو يذهبه عنكم أصلاً.

﴿**وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾، هنا لو أنه قال: التطهير فقط، وسكت لكان يمكن أن يكون التطهير بمعان أخرى، مثلاً بمعنى مجازي: يطهركم مثلاً من سوء القول أو من ذنب الناس أو مثلاً من أن تقعوا في اشتباه، ولكنه استعمل تطهيراً، فإن هذا مفعول مطلق، يؤتى به لتأكيد الفعل. نعم، يطهر ذواتكم، فتصبح بريئة من العيب

---

(١) النحل: ٥١.
(٢) سبأ: ٤٦.

بنوعيه الأساسيين: الشرك والجهل.

جاء البيان الرسولي بالقول وبالفعل. أما بالقول فإنه صلى الله عليه وآله وسلم قال بوضوح: هؤلاء أهْلُ بيتي. وبالفعل، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام تحت عباءة أو كساء خيبري في بيت أم سلمة (رضي الله عنها) وقال: «اللهُمَّ إنَّ هؤلاءِ أهْلُ بَيتِي» وقرأ شطر الآية المباركة؛ وعندما أرادت أم سلمة أن تدخل معهم جذب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الرداء، فقالت: «ألستُ من أهل البيت؟» قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنك من أزواج النبي»[1] إذاً إنك من أهل البيت بالمصطلح اللغوي والعرفي، ولكن بالمصطلح الشرعي في هذه الآية أنتِ من أزواج النبي، ولستِ من أهل البيت[2].

واستمر قوله وفعله صلى الله عليه وآله وسلم ستة أو سبعة أو تسعة أشهر (على اختلاف الروايات)، يقف صلى الله عليه وآله وسلم يومياً وقت صلاة الفجر قبل أن يذهب إلى المسجد على باب علي وفاطمة عليهما السلام، وهو ملاصق لبيته، فيقول صلى الله عليه وآله وسلم بصوت مسموع: «الصلاة يا أهل البيت» ثم يقرأ الآية ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[3]، في بيان مستفيض من أجل أن يسمعه الجميع كل يوم، فلا يبقى في ذلك ريب لمرتاب أو شبهة لمشتبه أو كذب لمن يريد أن يكذب.

---

(١) مسند الإمام أحمد ج٦، ص٣٢٣، وتفسير الثعلبي.

(٢) راجع بيان زيد بن أرقم (رضي الله عنه) في صحيح مسلم، رواية ٤٤٢٥.

(٣) مسند الإمام أحمد ج٣، ص٢٥٣.

بعض مصادر البحث:

فيما يلي ذكر بعض مصادر الروايات التفسيرية أو آراء المفسرين، سواء المؤيدة لما ذهبت إليه أو المخالفة له أو المعارضة له، التي تضمنها البحث أعلاه:

تفسير الثعلبي وغيره من المفسرين؛ مسند أحمد بن حنبل ج٣ ص٢٥٩، ج٤ ص١٠٧، ج٦ ص٢٩٦، ج٦ ص٣٢٣؛ صحيح مسلم رواية ٤٤٢٥.

٣ ـ المودة:

النص المشهور يمثل الجزء الأكبر من الآية ٢٣ من سورة الشورى: ﴿**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾.

والكلام هنا في اختصار الآية: ﴿**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾.

﴿**عَلَيْهِ**﴾ بإجماع المفسرين أنه «على تبليغ الرسالة»، أي أن ضمير الغائب «الهاء» هنا لم يقل أحد: إنه ﷺ مثلاً وزع عليهم طعاماً أو ما يشبهه، فيسأل عليه أجراً، وإنما الآية تخص قضية، وهي تبليغ الرسالة، أهم قضية وأكبر نعمة عند أي مسلم، وهي نعمة الإسلام؛ فبالتالي الذي جاءه بهذه النعمة من عند ربه لا يطلب أجراً.

فما هو الذي أطلبه منكم، ﴿**لا أَسْأَلُكُمْ... إِلاَّ**﴾، «لا.. إلا» يعني فقط، فقط ﴿**الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ - المودة من التودد والحب، مع اختلاف في الألفاظ، ولكن أيهما أقوى؟ وعموماً المودة هي مشاعر الحب تجاه موضع المودة، أي تجاه المودود.

وجوه ستة لتفسير «القربى»:

ذكروا ستة وجوه/ تفسيرات، خمسة منها باطلة بأيسر نظر ما عدا الوجه السادس الصحيح[1].

الوجه السادس عليه إجماع جميع علماء الشيعة، وربما الأكثر من علماء أهل السنة، وهو أن المودة هي قرابة أهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهم عترته من أهل بيته عليهم السلام (الذين نعرفهم من التحديد النبوي القاطع أنهم علي وفاطمة وأولادهما الأئمة عليهم السلام، فإن العترة حددها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الثقلين عندما قال «**وعترتي أهل بيتي**»).

فيكون المعنى: أنني لا أسألكم أجراً على تبليغي إياكم الإسلام إلا أن تودوا قرابتي.

هؤلاء عليهم السلام -موضع المودّة- لا بد أن يكونوا ذوي مكانة خاصة ومواصفات خاصة بحيث أنه لم يطلبها لغيرهم، وأنت إن وجدت العذر أن لا تحب شخصاً أو جماعة؛ لأن فيهم شائبة ما، فهؤلاء عليهم السلام لا تجد معهم هذا العذر، إذ ليس فيهم شائبة من شرك بالله

(١) راجع مناقشتنا لها في كتاب «الأمة المسلمة في دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام».

ولا جهالة؛ لأنه ﷺ علمهم الكتاب والحكمة قبل أن يزكيهم إلى الناس (فهم الأمة المسلمة كما أثبتناه في كتاب «الأمة المسلمة في دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام»).

بعض مصادر البحث:

فيما يلي ذكر بعض مصادر الروايات التفسيرية أو آراء المفسرين، سواء المؤيدة لما ذهبت إليه أو المخالفة له أو المعارضة له، التي تضمنها البحث أعلاه:

تفسير البغوي؛ تفسير الكشاف ج٣ هامش تفسير آية مودة القربى؛ القرطبي في تفسيره ج١٣ ص٢٣، ج١٦ ص٢٦؛ الثعلبي في تفسيره ج٥ ص١٥٧؛ تفسير الجلالين؛ تفسير الدر المنثور لجلال السيوطي؛ تفسير الآلوسي ج٢٥ ص٣٨؛ شواهد التنزيل للحسكاني ج٢ ص٢٠٠؛ الطبراني في المعجم الأوسط ج٢ ص٣٣٦؛ ما أخرجه أحمد في المسند؛ ما أخرجه ابن أبي حاتم؛ الحاكم في المستدرك ج٣ ص١٧٢.

٤ـ المباهلة

الآية تأتي في سياق **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾**(١)...

ثم تأتي الآية المباركة **﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾**(٢).

سبب النزول:

جاء وفد من رجال دين من مسيحيّ نجران (شمال غرب اليمن) يباحث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في طبيعة المسيح عليه السلام هل هو إله؟ ابن إله؟ فيه صفة الألوهية؟ أم هو كما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه عبد الله تعالى؟ وبعد نقاشات مدة ثلاثة أيام بقي كلّ على موقفه، فنزلت الآيات تعطي النبي صلى الله عليه وآله وسلم حُجّة أخيرة **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾** فإذا كانت حقيقة أن عيسى عليه السلام ليس له أب تعني أن عنده جنبة ألوهية فإن آدم عليه السلام من باب أولى يكون فيه جنبة ألوهية؛ لأنه من غير أب ولا أم.

فإن استمروا في المحاججة **﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾**، توقّف، انتهت المباحثات، مع الأمر التالي:

(١) آل عمران:٥٩-٦٠.
(٢) آل: عمران ٦١.

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ نجعل الحكم في القضية لله تعالى، في حكم لا يؤجل إلى يوم القيامة، ولكن بطريقة وضعها الله تعالى أن يجعل لعنته، أي عذابه، على الكاذبين.

فماذا صنع رسول الله ﷺ؟

قال ﷺ للوفد ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾، فهناك دعوة للأبناء من هنا والأبناء من هناك، و﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾، من عندنا ومن عندكم، و﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾...

ثم نأتي إلى الفعل - ﴿ثُمَّ﴾ نتبهل بعد الدعوة، ثم بعد أن يصير الجمع هناك مدة ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

إن الإجماع قائم على أن رسول الله ﷺ ضرب للوفد النصراني موعداً فخرجوا، ودعا المسلمين، فخرجوا، ووقفوا، ثم جاءت هذه الوجوه الكريمة، رسول الله ﷺ يمشي وهو يحتضن الحسين عليه السلام (عمر الحسين عليه السلام كان خمس سنوات، ولكن كان ﷺ محتضنه)، وبيده الأخرى الحسن عليه السلام، يمشي، وخلفهما فاطمة عليها السلام، وخلف فاطمة علي عليه السلام. وبينما هم يمشون، خاطب رئيس الوفد المسيحي جماعته قائلاً:

«يا معشر النصارى إني لأرى وُجُوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا، فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة!»

فقرروا التراجع، وتوجهوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، فقالوا: إننا تراجعنا عن المباهلة، وكلّ منّا يبقى على دينه. والنتيجة أنهم وصلوا إلى اتفاق: يدفعون الضريبة باعتبار أنهم جزء من الدولة الإسلامية الوليدة.

جاء بالحسن والحسين عليهما السلام، وكان كثُر ما يقول: هذان ابناي، فإذا جاء بهذين، فإنهما يمثلان الأبناء.

بعض مصادر البحث:

فيما يلي ذكر بعض مصادر الروايات التفسيرية أو آراء المفسرين، سواء المؤيدة لما ذهبت إليه أو المخالفة له أو المعارضة له، التي تضمنها البحث أعلاه:

الزمخشري، تفسير الكشاف ج١ ص٤٨٢؛ الحاكم، المستدرك ج٢ ص١٢٠؛ الهيثمي في المجمع / ج٧ ص١١٠، وج٩ ص١٣٤؛ النسائي في الخصائص ص١٩؛ صحيح مسلم، ج٤ رواية ١٨٧١؛ سنن الترمذي، ج٥ رواية ٢٢٥؛ مسند أحمد، ج١ ص١٨٥.

٥ـ هل أتى

المشهور أنه في يوم الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام نزلت سورة «هل أتى» أو «الدهر» أو «الإنسان» في حق علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، حيث مرض الحسنان عليهما السلام، فذهب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعيادتهما، وأمر علياً وفاطمة عليهما السلام أن ينذرا أن يصوما ثلاثة أيام إن عافاهما الله، فاستجاب الله لهما، ومنّ على الحسنين عليهما السلام بالشفاء والعافية، فصاموا أربعتهم وخادمتهم فضة رضي الله عنها. وفي أول ليلة قبل أن يفطروا وقف على الباب مسكين يطلب الطعام، فقرر الإمام علي عليه السلام التصدق برغيفه، فتابعته فاطمة والحسنان عليهم السلام وفضة رضي الله عنها. وفي الليلة الثانية جاءهم سائل يتيم يطلب الطعام، ففعلوا ما فعلوه في الأولى، وفي الثالثة جاءهم أسير، وقد ترك دون طعام، ففعلوا ما فعلوه في الليلتين، فأنزل الله تعالى في حقهم سورة (هل أتى)، قال: ﴿**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا. وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا. إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا...**﴾[1].

عندما نزلت أقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى دار فاطمة عليها السلام، فرآهم في جوع شديد، والحسن والحسين عليهما السلام اللذان خرجا من المرض يرتجفان كالفراخ، ورأى فاطمة عليها السلام واقفة في محرابها، وقد

---

(١) الإنسان: ٧-١٠.

التصق بطنها الشريف بظهرها من شدة الجوع، وغارت عيناها من الضعف، فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالسورة المباركة، وهو يقول: «خذ يا محمد، هنأك الله بأهل بيتك».

بعض مصادر البحث:

روى ذلك بألفاظ متقاربة الزمخشري في تفسير الكشاف، والثعلبي في تفسيره، والواحدي في تفسيره، وغيرهم.

٦ـ الأسباط

الآيات المباركة:

١- ﴿**قُولُوا آَمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إبراهيم وَإِسماعيل وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[1].

٢- هنا في آية: ٨٤ من سورة آل عمران ﴿**قُلْ آَمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إبراهيم وَإِسماعيل وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ الإنزال «إليه» أنزل لأجله هو أو لأجل دوره، وأنزل «عليه» يعني فقط هو أنزل عليه، الذي وصل إليه بغض النظر عن دوره.

(١) البقرة: ١٣٦.

٣- ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إبراهيم وَإِسماعيل وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾ النساء:١٦٣.

الأسباط من الأنبياء عليهم السلام:

الموضع المطلوب هو كلمة «الأسباط» وأن هؤلاء الأسباط كانوا من الأنبياء؛ لأنه أنزل إلى إبراهيم والأسباط، وما أنزل على إبراهيم والأسباط، هنا هو إننا أوحينا إليك، وأوحينا إلى إبراهيم و... والأسباط.

التشخيص الرسولي:

أجمع المسلمون فيما روي من الحديث الصحيح في شأن الحسن والحسين عليهما السلام من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الحُسينُ سِبطٌ من الأسباط»[١]، «الحَسنُ والحُسينُ سبطانِ من الأسباط»[٢]، و«سبطًا هذهِ الأُمّةِ الحَسنُ والحُسينُ»[٣].

«السبط» يُطلق على الحفيد ابن البنت أو ابن الابن، لكن بشكل أخص ابن البنت. والصحابة، عندما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحدثهم بهذه الأحاديث يعلمون كلهم أن الحسن والحسين هما ابنا فاطمة عليهما السلام إذاً هما سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فمن غير المنطقي

(١) صحيح الترمذي ج٢، ص٣٠٧.
(٢) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق ج٧، ص١٢٠.
(٣) الطبراني، المعجم الصغير ج٢، ص٣١٤.

أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجلس إليهم، ويقول لهم: إن الحسن والحسين حفيداي من ابنتي فاطمة...

كلا! فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل الحسن سبط، وسكت، أو الحسين سبط، وسكت، بل يقول «الحسنُ والحسينُ سبطانِ من الأسباط»، أي أنهما يتصفان بهذه الصفة التي يعرفونها أصلاً من آيات القرآن التي كان يقرأها عليهم، أي أن هذين السبطين هما من سنخ الأسباط من آل إبراهيم عليه السلام وبما أن:

أولاً: أولئك الأسباط كانوا من الأنبياء بنص من القرآن.

وثانياً: أن النبوة والرسالة قد ختمت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلا نبي بعده، إذاً الحسن والحسين عليهما السلام ليسا نبيّين، ولكنهما من درجة ومنزلة النبوة.

بعض مصادر البحث:

فيما يلي ذكر بعض مصادر الروايات التفسيرية أو آراء المفسرين، سواء المؤيدة لما ذهبت إليه أو المخالفة له أو المعارضة له، التي تضمنها البحث أعلاه:

صحيح الترمذي ج٢، ص٣٠٧؛ الطبراني المعجم الصغير ج٢، ص٣١٤؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق ج٧، ص١٢٠.

٧ـ آية الصلاة على النبي ﷺ

﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(١).

معنى الآية المباركة:

أولاً: الآية فيها إخبار، وفيها أمر أو حثّ:

أما الإخبار فهو ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾، وأما الحثّ فهو أن يقوم المسلمون جميعاً ليس فقط بالصلاة، يعني يتابعون الله وملائكته على ذلك، ولكن أيضاً هناك التسليم.

ثانياً: أما المعاني فقد اختلفوا في معنى الصلاة. فقيل: إن الصلاة من الله هي ثناء على النبي ﷺ، ومن ملائكته هي الثناء عليه وتعظيمه ﷺ، وقيل الصلاة من الله هي الرحمة به ﷺ، ومن الملائكة الاستغفار له ﷺ، ومن الناس هي الدعاء له ﷺ.

أما السلام فجاؤوا بثلاثة أوجه:

الأول أنه السلام من النواقص والآفات، أي نذكر له بأنه ﷺ خالٍ من الآفات والنقائص.

وقيل: إن السلام هو الله تعالى، فكأنما نقول: إننا نؤمن أن الله متعهد بحفظ النبي ﷺ وحمايته وسائر شأنه.

---

(١) الأحزاب:٥٦.

والوجه الثالث أنه الانقياد، أي من المسالمة وعدم المخالفة بالانقياد له ولشريعته صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا الوجه الأخير هو الذي أجده الأكثر انسجاماً مع التعبير في الآية، وذلك لأنه يقول ﴿**وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾، و«تسليم» مفعول مطلق يؤكد الفعل، بالتسليم الكامل للأمر، والخضوع والانقياد إليه. فلو كان هو التحية لكانت «سلموا سلاماً» (سلاماً، وليس تسليماً).

البيان الرسولي:

رويت الروايات الكثيرة، بعضها بصيغة الاستجابة لسؤالهم النبي: كيف نفعل؟ فيعلمهم.

أكثرها شهرة:

«اللهُمَّ صَلِّ على محمّدٍ وآلِ مُحمّدٍ كما صَلَّيتَ على إبراهِيمَ، إنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ، وبارِك على مُحمّدٍ وآلِ مُحمَّدٍ كما بارَكتَ عَلى إبراهِيمَ، إنّكَ حَميدٌ مَجيدٌ».

وفي غيرها «... كما صَلَّيتَ على إبراهِيمَ وعَلى آلِ إبراهِيمَ، وبارَكتَ على إبراهِيمَ وعلى آلِ إبراهِيم»، وبعضها تذكر «السلام» أيضاً.

إذاً المشترك بين الروايات جميعاً أن الاستجابة لأمر الله ﴿**صَلُّوا عَلَيْهِ**﴾ هو أن الصلاة على الآل عليهم السلام جزء من الصلاة على

النبـي ﷺ.

كمـا هـي العـادة عندمـا يتعلـق الأمـر بأهـل البيـت عليهم السلام، وهنـاك اعتراضـات لا مجـال لذكرهـا، ولكـن مـن يحـب مراجعتهـا ففـي كتابـي «الأمـة المسـلمة فـي دعـاء إبراهيـم وإسـماعيل عليهما السلام».

إن النكتـة المهمـة جـداً فـي عـدم ذكـر الآل عندمـا يقـول ﴿**صَلُّـوا عَلَيْـهِ**﴾ ثـم يأتـي رسـول اللـه ﷺ، فيقـول «علـى محمّـدٍ وآلِ مُحمّـدٍ»، أن الآيـة عندمـا لـم تذكرهـم عليهم السلام فهـي تقـول: إن دور هـؤلاء هـو مـن سـنخ دور رسـول اللـه ﷺ، فهـم الذيـن يـؤدّون عنـه بحيـث إذا ذُكـر ﷺ فهـم عليهم السلام معـه كتحصيـل حاصـل.

فليـت المسـلمين ينتبهـون إلـى هـذه الحالـة مـن أجـل أن يعلمـوا أن هـؤلاء لهـم دور يجـب الالتفـات إليـه، لا سـيما أن هـذا أمـر ورد فـي التفاسـير كمـا فـي تفاسـير السـعدي والقرطبـي والزمخشـري.

نعمة كبيرة لاحظت ما سيحصل:

إنهـا كلمـة عظيمـة كبيـرة هـي مـن أعظـم نعـم اللـه سـبحانه وتعالـى علـى المسـلمين، لأنـه تعالـى علـم أن الأمـة سـتدير ظهرهـا لهـؤلاء الطاهريـن عليهم السلام، فجعـل الحـد الأدنـى أن ذكرهـم يجـري مـرات كل يـوم علـى لسـان المخالـف لهـم الـذي لا يعرفهـم عليهم السلام حسـب فقهـه.

بعض مصادر البحث:

فيما يلي ذكر بعض مصادر الروايات التفسيرية أو آراء المفسرين، سواء المؤيدة لما ذهبت إليه أو المخالفة له أو المعارضة له، التي تضمنها البحث أعلاه:

الواحدي في أسباب النزول ص٢٧١؛ القرطبي في ج١٤ ص٢٣٣ من تفسيره الجامع لأحكام القرآن؛ ابن العربي المالكي في كتاب أحكام القرآن ج١ ص١٨٤؛ الفخر الرازي في تفسيره ج٧ ص٣٩١، ج٢٥ ص٢٢٦؛ تفسير النيسابوري ج٢٢ ص٣٠؛ تفسير روح المعاني للآلوسي ج٢٢ ص٧٢؛ ابن كثير في تفسيره ج٣ ص٥٠٦؛ تفسير الطبري ج٢٢ ص٢٧؛ الحاكم في المستدرك ج٣ ص١٤٨؛ البخاري في صحيحه ج٦ ص١٢؛ الإمام الشافعي في مسنده ج٢ ص٩٧؛ ابن حجر في الصواعق ص١٤٤.

المجموعة الثانية: ما تتضمن الإمام الحسن عليه السلام من موقعه في الإمامة

١ـ الولاية

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[1].

نفهم منها أن «هؤلاء الأولياء هم الذين يقيمون الصلاة المعروفة، ويؤتون زكاة المال المعروفة، وهم راكعون». فأما أنهم يؤتون الزكاة، وهم مصلّون راكعون «عموماً»، فهذه لا معنى لها؛ لأن الركوع هو جزء لا يتجزأ من الصلاة. فلا يتبقى إلا الاحتمال الثاني، وهو أن ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ مرتبطة بـ ﴿يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾، أي يؤتون الزكاة في حالة الركوع».

فهل من تشخيص لهؤلاء أم هي عامة؟ هذا نجده في البيان الرسولي؟

وردت روايات أنه صلى الله عليه وآله وسلم عندما كان المسلمون في المسجد النبوي، وهم في حالة صلاة النافلة، يصلون فرادى، دخل سائل، فسأل، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدعاء، فتحقق الدعاء على يد علي عليه السلام؛ حيث أنه في اللحظة التي كان هذا السائل يمر بين الصفوف،

(١) المائدة: ٥٥.

ويسأل الناس المساعدة كان علي عليه السلام في حالة الركوع، فمد عليه السلام يده الكريمة، وبيده خاتم، فأشار إلى هذا السائل، ففهم، وانتزعه منه، فأعطى عليه السلام الزكاة، وهو راكع.

الحسن عليه السلام امتداد لولاية علي عليه السلام

وبما أن الحسن عليه السلام هو الإمام المتعين بعد أبيه عليه السلام[1]، فإن ولاية علي عليه السلام التي أراد الله تعالى لها أن تكون واحدة من أدلتها في القرآن حادثة الزكاة، وهو عليه السلام راكع، فهي تشمل أول ما تشمل ولده الحسن عليه السلام، كونه الإمام بعده مباشرة - فهو عليه السلام ولي المسلمين بعد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

بعض مصادر البحث:

فيما يلي ذكر بعض مصادر الروايات التفسيرية أو آراء المفسرين، سواء المؤيدة لما ذهبت إليه أو المخالفة له أو المعارضة له، التي تضمنها البحث أعلاه:

تفسير الكشاف للزمخشري ص٤٢٢؛ التفسير الكبير للرازي ج١٢ ص٢٣؛ تفسير روح المعاني للآلوسي ج٦ ص١٨٦؛ الدّرّ المنثور للسيوطي مجلد٢ ص٢٩٣؛ وأخرج مثله الطبراني في الأوسط وابن أبي حاتم وابن عساكر في تاريخ دمشق.

---

(١) وكما سنشير إلى ذلك في فصل السنة كما في فصل السيرة وفصل صلح الحسن عليه السلام.

٢ـ المنذر والهادي

يقول تبارك وتعالى في الشطر الثاني من الآية:

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[١].

هذا الشطر المهم ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ يجعل من مهمة النبي ﷺ مهمة الإنذار فقط، لأنه يقول ﴿إِنّما﴾، وكما قلنا من قبل: إن القرآن يستخدمها أحياناً للمبالغة من أجل إلفات النظر إلى أن ما يريد قوله بعدها من الأهمية الفائقة بحيث كأنه لا يريد غيره.

كيف يكون هو المنذر فقط؟ وهو الهادي أيضاً، فالقرآن نفسه يقول ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٢]. وفي آيات أخرى يقول له ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيراً﴾[٣]، إذاً هناك البشارة، وليس فقط الإنذار. فهنا إشكال وتناقض ظاهران في القرآن، فكيف نصنع؟

نذهب إلى الذي أُنيط به التوضيح في البيان: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٤]. فماذا قال؟

عن سعيد بن جبير، قال: «لما نزلت ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ

---

(١) الرعد:٧.
(٢) الشورى:٥٢.
(٣) الأحزاب:٤٥.
(٤) النحل:٤٤.

قَوْمٍ هَادٍ﴾، قال ابن عباس: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وضع يده على صدره، وقال: «أَنا الْمُنذِرُ، ولِكُلِّ قَومٍ هاد» وأومأ بيده إلى منكب علي عليه السلام، فقال: «أنتَ الهادِي يا عَليُّ، بِكَ يَهتدِي المُهتَدُونَ من بَعدِي». فكلمة «مِن بَعدِي» هذه حلّت الإشكال: ففي حياتي أنا الهادي، ولكن لكل قوم هاد، فأنت الهادي من بعدي.

هذا يعني أن الله سبحانه يريد أن ينبهنا إلى عظم منزلة علي عليه السلام في أنه هو علم الهدى بحيث يأتي بآية تستثني وظيفة الهدى من النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى ننظر، ونقول، ونتساءل؟ فيجيبنا هو ويقول: نعم، أنا في حياتي أنا المنذر وأنا الهادي، من بعدي يهتدي القوم بعلي «يَهتدِي المُهتَدُونَ من بَعدِي».

اعتراض الذين في قلوبهم مرض

إن آية مثل هذه يرى المفسرون كلهم أن فيها ما يستدعي النظر، وطبعاً بما أنه توجد هذه الرواية في علي عليه السلام فعلى ديدنهم عبر العصور، أنهم عندما يجد أحدهم في التفسيرات ذكر علي عليه السلام، فإنه يضيق صدره، فيأتي بوجوه أخرى.

ذكر ابن كثير الدمشقي، صاحب التفسير المعروف، ثمانية وجوه/ تفسيرات، خمسة منها باطلة، وواحد ممكن حيث يقول: إنه الإمام، أيّ إمام يهدي، وبالتالي يكون علي عليه السلام هو المصداق الأول بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واثنان منهما يتعلقان بعلي عليه السلام، أحدهما يقول علي عليه السلام نفسه: إنه «رجل من بني هاشم» والآخر يقول

بصراحة: إنه علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال: إن المعنى هو أيّ داعية، وهو واضح البطلان، أو أنه الله تعالى، وهو باطل؛ لأن الله هادٍ دائماً، وأيضاً لا يستثني النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مهمة الهداية، أو أنه أيّ نبي، وهو لا يحل المشكلة؛ لأنها أصلاً في حصر مهمة سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم بالإنذار، أو أنه من يدعوهم إلى الله، وهذا مثل الأخير، أو أنه -وهذه مضحكة- النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع أن الآية تحصر مهمته بالإنذار!

إذاً، هو الحديث الذي يقول: إن الهادي بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو علي عليه السلام... فماذا يصنع ابن كثير؟ قال: «وهذا الحديث فيه نكارة شديدة»، لماذا فيه نكارة شديدة؟! تلك الوجوه أوضحنا بطلانها بأقل نظر، وهذا الوجه يأتيك بشخص محدد أن به يهتدي المهتدون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيرفع التناقض عن القرآن، ولا يدع دقيقة واحدة من غير علم هدى، فمباشرة بعد موتي تبدأ وظيفتك، ويشخصه، والذي شخصه عليه الإجماع أنه في القمة، ورووا أنفسهم أنه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم «بِمَنزِلَةِ هارُونَ مِن مُوسى»، وأنه «من العترة التي من تمسك بها والقرآن الكريم فيأمن من الضلال» - فكيف في الحديث نكارة شديدة؟!

هذه المعضلة التي ليست في نكارة الإسناد، ولكن ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾[1][2].

(١) النمل: ١٤.

(٢) راجع مناقشتنا لها في كتاب «الأمة المسلمة في دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام».

الإمام الحسن عليه السلام والآية

كما قلنا في الآية السابقة، طالما أن الإمام الحسن عليه السلام دل الدليل على أنه الإمام الشرعي بعد أبيه عليه السلام، فإن الآية تقول: إن الهادي بعد علي عليه السلام هو الحسن عليه السلام، وإلا توقفت الهداية، وترك الناس في ظلمات الشك والجهل والخلاف.

بعض مصادر البحث:

فيما يلي ذكر بعض مصادر الروايات التفسيرية أو آراء المفسرين، سواء المؤيدة لما ذهبت إليه أو المخالفة له أو المعارضة له، التي تضمنها البحث أعلاه:

تفسير الطبري؛ تفسير ابن كثير؛ تفسير الدر المنثور للسيوطي؛ مستدرك الحاكم ج٣ ص١٢٩؛ كنز العمال ج١ ص٢٥١، ج٦ ص١٥٧؛ مجمع الهيثمي ج٧ ص٤١.

٣ـ آيات الغدير

هناك ثلاث آيات، أهمها آيتا إكمال الدين وآية البلاغ (أما آية السائل بعذاب واقع في أول سورة المعارج فهي أقل أهمية في أصل الموضوع، ذكرتها في الكتابين المشار إليهما من قبل).

نصوص الآيات المباركة:

النص الأول: هو نص إكمال الدين.

جزء الآية المعنيّ هو: ﴿**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[1].

الملاحظ في هذه الآية أن ما قبلها يتحدث عن محرّمات الطعام وغيرها ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ...**﴾؛

ثم يقول: ﴿**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ...**﴾؛ ثم يقول: ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾.

ومن الواضح أنه لا يمكن أن يكون يأس الذين كفروا ولا رضى الإسلام ديناً لهذه الأمور المحرمة.

---

(١) المائدة:٣.

النص الثاني: الثانية ما نسميها آية البلاغ وهي:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾(١).

أما بديل **﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾** فقالوا: إن المقصود بالرسالة هي الرسالة الإسلامية؛ وهو مردود بأبسط نظر، ونردّه بأمرين:

الأول، أن الجميع يقولون: إن هذه الآية من الآيات المتأخرة، فهل إن الله تعالى وجد منه صلى الله عليه وآله وسلم قصوراً في التبليغ؟ حاشاه صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك، فمنذ اليوم الأول لم يألُ جهداً في ذلك لحظة من حياته حتى عانى ما عانى، فما معنى أنه بعد هذه السنوات الطويلة يأتي، فيأمره بتبليغ القرآن؟

ثم نردّه بالآتي:

إن كان بلّغ ما أنزل إليه -أي الرسالة- فإن الله تعالى يقول «بلِّغ الرسالة، وإن لم تفعل فما بلغت الرسالة»! إن الشخص العادي لا يقول هذا الكلام، وليس البلغاء، فكيف بالقرآن الكريم على بلاغته العظيمة، وهذا كلام سيكون لا معنى له.

إذاً عندما يأمره **﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾** فهو يتكلم عما أنزل بشيء محدد، وأن هذا الشيء إن لم تقم بتبليغه **﴿وَإِنْ لَمْ**

(١) المائدة:٦٧.

تَفْعَلْ﴾ فكأنك لم تبلغ الرسالة كلها ﴿**فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾. فماذا يعني هذا الربط مع الرسالة؟

يعني أنك إذا بلّغته فالآن صارت الرسالة قد بُلّغت، و﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الاسْلامَ دِينًا**﴾[1]، أي أن الآية ٦٧ من سورة المائدة هي التي تلقي الضوء على الآية ٣ من نفس السورة المباركة.

فإذا بلّغت الرسالة كاملة فعندها فقط قد حصل رضا الله تعالى بالإسلام ديناً بعد أن أكمله، وأتم النعمة، وبذلك فقط يمكن القول ﴿**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ**﴾.

الآن قد تم الدين بشكل لم يعد هناك معه مجال للنيل منه بعد رسول الله ﷺ؛ لماذا نقول «بعد» رسول الله ﷺ ؟ لأن هذه آية -نحن نقول- نزلت بعد أن أتم النبي ﷺ بيعة الغدير حيث نصّب ﷺ علياً عليه السلام في ١٨ ذي الحجة في السنة العاشرة من الهجرة. وكانوا قبل ذلك يقولون: إذا مات محمد فنحن نفعل ما نشاء؛ أما الآن فلا، فقد نُصِّب التتمة من بعده، فأصبح هناك يأس في الذين كفروا أن يفعلوا شيئاً بعده ﷺ.

وعندما وقف الرسول ﷺ في الغدير قام أولاً بإشهاد الناس «أَلَسْتُ بأَولى بِكُم مِن أنفسِكُم؟» القرآن يقول ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى**

(١) المائدة:٣.

بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[1]، فقالوا: «بلى يا رسول الله»، عندها قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فَمَنْ كَنْتُ مَولاهُ فهذا عليٌّ مَولاه»، وهو رافع يد علي عليه السلام ما جعل لعلي عليه السلام الولاية على كل مسلم مقدمة على ولاية ذلك المسلم على نفسه، فيأمرك بأمر فيه هلاكك، وأنت لا يجوز أن ترمي بنفسك إلى التهلكة، فإذا جاء الأمر ممن له الولاية فعليك أن تفعل ذلك.

وكما في غيرها، نقول: إن ولاية علي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم تمتد إلى ولاية الحسن عليه السلام بعد أبيه عليه السلام؛ لأنه الشخص المعتمد من قبل الله تعالى في تبليغ الشريعة كما في حراسة الشريعة. فآيات الغدير من أهم آيات إمامة الحسن عليه السلام، وبالتالي موقعيته في الدين.

بعض مصادر البحث:

فيما يلي ذكر بعض مصادر الروايات التفسيرية أو آراء المفسرين، سواء المؤيدة لما ذهبت إليه أو المخالفة له أو المعارضة له، التي تضمنها البحث أعلاه:

الطبري في تفسيره ج٣ ص٤٢٨؛ الثعلبي في تفسيره؛ الفخر الرازي في تفسيره ج٣ ص٦٣٦؛ الآلوسي في تفسيره ج٦ ص٦١؛ أحمد بن حنبل في مسنده ج٤ ص٢٨١؛ البيهقي في سننه ج١٠ ص١٤؛ الهيثمي في مجمع الزوائد ج١ ص٩ وغيرها؛ البخاري في

(١) الأحزاب: ٦.

تاريخه ج١ ص٣٧٤ رواية ١١٩١، ج٤ ص١٩٣ ورواية ٢٤٥٨، ج٦ ص٢٤٠ رواية ٢٢٧٧؛ الذهبي في تذكرة الحفاظ ج١ ص١٠، ج٣ ص١٠٤٣؛ الشهرستاني في الملل والنحل؛ ابن عساكر في تاريخ دمشق من عشرات الروايات في الأجزاء ١٣، ١٨، ٢٥، ٤٢؛ سير أعلام النبلاء ج٨ ص٣٣٤ وج١٣ ص٣٤٠ وج١٩ ص٣٢٨ وغيرها؛ السمهودي في وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ج٢ ص١٧٣.

٤ـ آيتا أولي الأمر

نصّ الآيتين الكريمتين:

الآية الأولى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾[1]؛ وهذه آية عامة في الأمر بالطاعة.

الآية الثانية: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الامْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الامْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلاً**﴾[2]؛ كأنما يضع الأسباب لهذه الطاعة.

---

(١) النساء:٥٩.

(٢) النساء:٨٣.

فما نفهمه هنا هو الآتي:

أولاً: أن طاعة أولي الأمر طاعة دون شروط؛ لأنه لم يذكر شرطاً، ﴿**أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾، فلم يقل أولي الأمر منكم «إن عدلوا» مثلاً، أو «إن لم تفعلوا كذا».

والثانية أيضاً ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾، لم يقل إلى أولي الأمر «في حالة كذا»، وإذاً هي طاعة دون شروط.

ثانياً: أولو الأمر هؤلاء يتوفرون على العلم الشرعي الذي يستطيعون الاستنباط منه لمعرفة ماذا يفعلون؛ فلم يقل الذين **يعلمونه، أو كيف يتصرفون، ولكن الذين يعرفون «الاستنباط»**.

البيان الرسولي إلى الأمة:

إننا نذهب إلى أن هؤلاء هم أئمة أهل البيت عليهم السلام الاثنا عشر بدءاً من علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث قد زكاهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لصفاتهم الفريدة وموقعيتهم في الدين سواء:

في تفسير الآيات (التطهير، المباهلة، المودة) التي ذكرناها آنفاً، أو من خلال السيرة النبوية والسنة النبوية بشكل عام.

إن البدائل المطروحة أو الوجوه لتفسير الآية خمسة:

أن أولي الأمر هم أمراء السرايا والغزوات، أو هم العلماء، أو

هم الأمراء والولاة، أو هم أهل الرأي من الصحابة، أو هم القوّام على الناس والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

وهذه مردودة؛ لأن هؤلاء كلهم عدا «القوّام على الناس» الإجماع على أن طاعتهم مشروطة بطاعة الله وعدم معصيته، فحتى المفسرين الذين رووا هذه الوجوه قالوا: إن الطاعة لهؤلاء تكون في المعروف فقط، ويذكرون معها الحديث «لا طاعَةَ لمَخلُوقٍ في مَعصِيَةِ الخالِق»(١).

الملاحظة الثانية هي أنك إذا نظرت إلى البدائل فلا تجد أحداً على العهد النبوي تنطبق عليه غير علي عليه السلام:

◆ فقد كان من أمراء السرايا والغزوات، بل هو الأمير عليهم حتى أنه عندما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرسل سريتين يقول: عندما تجتمعون «فعَلِيٌّ على النّاس»(٢).

◆ وهو أيضاً من العلماء بل هو باب مدينة العلم، وهذا كله بتزكية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

◆ وهو من الأمراء والولاة، حيث كان الخليفة بعد ذلك.

◆ وهو من أهل الرأي من الصحابة، بل هو أعلاهم حتى في زمان الخلفاء.

---

(١) مسند أحمد ج٥، ص٦٦.

(٢) مصنّف ابن أبي شيبة كتاب الفضائل ج١٨ ح٣٢٧٨٢، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق، باب علي بن أبي طالب.

◆ وهو من القُوّام على الناس والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر حقاً؛ لأنه أول الأمة المسلمة في دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

وأجمعُ معها آية الولاية التي مرت آنفاً ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[1] والتي قالت معظم التفاسير إن لم يكن جميعها: إنها نزلت في شأن علي عليه السلام عندما تصدّق بالخاتم، وهو في حالة الركوع، فتجد أن آيتي أولي الأمر لا تنطبق إلا على علي عليه السلام، ثم الأئمة من ولده عليهم السلام، لأنهم العلماء الكاملون وأولو الرأي والآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر دون خطأ أو خطيئة، وأولهم صاحب موضوعنا هنا الإمام الحسن بن علي عليه السلام.

أخيراً هناك آية تتعلق بقضية أولي الأمر، ولكن من هم هؤلاء؟

لو ذهبت إلى الآية ٦٧ من سورة الحج، يقول تعالى: ﴿**لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ**﴾.

إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يقولان: ﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ**

(١) المائدة: ٥٥.

التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[١]، وهذه الآية تقول ﴿**لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ...** ﴾ فلا هنا «ناهية»، أي لا تنازعونه.

برواية عن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) الصحابي الأنصاري ومن كبار من بايع رسول الله ﷺ في العقبة (في أكثر الروايات يقول الذين بايعوا رسول الله ﷺ: «أن نمنعه مما نمنع منه نساءنا وأطفالنا»)، قال:

«بَايعْنَا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم علَى السَّمعِ والطَّاعةِ في العُسْرِ واليُسْرِ، والمنشَطِ والمكرَهِ، وعلى أثرةٍ علينا، وعلى أن لا نُنازعَ الأمرَ أهلَهُ إلَّا أنْ تروا كفرًا بواحًا عندكم مِنَ اللهِ -تعالَى- فيه برهانٌ، وعلَى أنْ نقولَ بالحقِّ أيْنَما كنَّا لا نخافُ في اللهِ لؤمةَ لائمٍ»[٢].

مهم جداً جداً؛ كيف؟

لأن رسول الله ﷺ كان في أشد الحاجة إلى النصرة، ويأتيه الأنصار، فيفتح الله تعالى عليه يثرب لتكون هي القاعدة له، فالمتوقع أنه لا يذكر هذه المسألة، إذ لا يعقل أن أناساً يأتون إليه يفتحون مدينتهم ومع ذلك يقول: تبايعونني أن الحكم بعيد عنكم. فهذا لا يعني سوى شيء واحد: أن ولاية الأمر من ضمن «النص الإلهي» وليس باختيار الناس.

(١) البقرة:١٢٨.

(٢) وهذا حديث مهم جداً أخرجه البخاري في صحيحه، ح٧٠٥٦، ومثله على اختلاف يسير ح٧١٩٩ مسلم في صحيحه ح١٨٤٣.

بعض مصادر البحث

فيما يلي ذكر بعض مصادر الروايات التفسيرية أو آراء المفسرين، سواء المؤيدة لما ذهبت إليه أو المخالفة له أو المعارضة له، التي تضمنها البحث أعلاه:

تفسير الطبري؛ مصنّف ابن أبي شيبة كتاب الفضائل ج١٨ ح٣٢٧٨٢؛ ابن عساكر تاريخ دمشق، باب علي بن أبي طالب؛ صحيح البخاري ح٧٠٥٦، ح٧١٩٩؛ صحيح مسلم ح١٨٤٣.

المجموعة الثالثة: ما يتعلق بالإمام عليه السلام في موضوع الآية

١ـ آيات الأمة المسلمة في دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إبراهيم الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإسماعيل رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إبراهيم إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ وَوَصَّى بِهَا إبراهيم بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[1].

هذه الآيات من سورة البقرة وموضع الكلام هو الآية ١٢٩:

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾.

وهذا فيه بحث طويل، فصّلناه في كتاب «الأمة المسلمة في دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام» ويجدر بكل باحث الاطلاع عليه؛ أذكر هنا إشارات خاطفة تعطي فكرة عن علاقة الإمام الحسن عليه السلام بالآيات المباركة.

---

(١) البقرة: ١٢٧-١٣٢.

المعنى السائد عند المسلمين

الكثير يذهبون إلى أن «الأمة المسلمة» هي الأمة الإسلامية جميعها، أي المسلمون على اختلاف أعراقهم ومذاهبهم ومشاربهم. ولكن هذا لا يمكن أن يكون؛ لأن هذه الأمة المسلمة المقصودة في آية دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام هي من ذرية إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وبالتالي فلا يمكن أن يكون والمقصود هو الأمة الإسلامية كلها.

وبالتالي فإن هذه الأمة المسلمة المقصود منها جماعة من تلك الذرية كبرت أو صغرت، وبالتأكيد هي من ذرية إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام (وهو معنى نجد استخدامه في لغة العرب كما في القرآن الكريم: ﴿**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ...**﴾[1]، وهي واضحة في أن «الأمة من الناس» التي كانت عند مورد الماء والتي لا بد أنها مجموعة صغيرة من الأشخاص).

تسمية الذرية من لدن إبراهيم عليه السلام حتى نزول القرآن

إذا ذهبنا إلى سورة الحج الآية ٧٨، فالله تعالى يخاطب، فيقول:

﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إبراهيم هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾.

(١) القصص: ٢٣.

موضع الشاهد هنا:

- ﴿**هُوَ اجْتَبَاكُمْ**﴾ اصطفاكم، ﴿**مِلَّةَ أَبِيكُمْ إبراهيم**﴾، إذاً يخاطب ذرية إبراهيم عليه السلام حصراً.

- ﴿**هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ**﴾ في تلك الآية، مع آية ﴿**وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ**﴾؛ فقد سمّاكم إبراهيم عليه السلام من قبل آلاف السنين عندما يرفع القواعد من البيت العتيق مع ولده إسماعيل عليه السلام.

﴿**وَفِي هَذَا**﴾ أي في القرآن: هذا الكلام هنا بعد نزول القرآن.

الخلاصة: أننا نجد دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في مجموعة آيات فيها هذه الآية المباركة، نقرؤها ثم نقرأ ثلاث آيات مشابهة لها، مشابهة جداً، ولكنها غير متطابقة.

الإمام الحسن عليه السلام والآيات المباركة

بما أن الدليل قام على أن هناك مجموعة في الأمة الإسلامية من ذرية إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام سماها هذان النبيان عليهما السلام «أمة مسلمة» وعلى الدرجة الأعلى من الإسلام والتسليم لله تعالى (حيث دعا النبيان عليهما السلام الله أن يصلا إلى تلك الدرجة الأعلى)، وقام الدليل على أن هناك مجموعة محددة باثني عشر خليفة/ أميراً/ قيّماً (كما سيأتي في فصل الإمام الحسن عليه السلام في السنة) بها يكون الدين عزيزاً، فإننا نستطيع القول بكل ثقة: إن هذه الأمة هي هؤلاء الاثنا عشر،

خصوصاً وأنه لم يدّع أحد من الناس غيرهم عليهم السلام تلك المكانة السامية، كما لم تدع فرقة من فرق المسلمين أن عندها اثني عشر إماماً غير الإمامية الاثني عشرية (بحيث أن اسمهم اشتق من تلك العقيدة، فإن الإمام الحسن عليه السلام هو الرجل الثاني في سلسلة الاثني عشر عليهم السلام - فتكون الآيات المباركات تشمله... ويا لها من منزلة عظمى تلك التي تربط الحسن عليه السلام بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وولده إسماعيل عليه السلام وبالخصوص وهما يبنيان البيت الحرام، في صلة متصلة بمركز التوحيد ومنطلق الرسالة المحمدية.

٢ـ خير أمة أخرجت للناس (من الدعاء أعلاه)

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾[1].

تحليل الآية

◆ القول الشائع السائد لهذه الآية، أن «الأمّة» هي الأمة الإسلامية، أي جميع من قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فهو من ضمن هذه الأمة، ومجموع هؤلاء هي هذه الأمة التي هي **﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾**. وهو قول باطل، يتضح بطلانه من أنه لا يمكن أن يكون جميع المسلمين يتصفون بهذه الصفات الثلاث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله.

---

(١) آل عمران: ١١٠.

بدائل أخرى ليست مشهورة

جاء المفسرون ببدائل أخرى، ولكنها لم تشتهر بين الناس، فلا تسمعها منهم:

أن خير أمة أخرجت للناس هم المهاجرون، أو هم الصحابة كلهم، أو أنهم المسلمون كلهم؛ لأنهم أكثر الأمم استجابة للإسلام، أو بشكل مشابه أنهم المسلمون؛ لأنهم آخر الأمم وأكرمها على الله، أو -وهذا بديل عجيب حقاً- أنهم ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأُبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل، أي وضعها في أربعة فقط هم خير أمة أخرجت للناس!

على أن من يقبل التشخيص بأربعة رجال فعليه أن يقبل تشخيصنا، ونقول: إنهم أئمة الهدى عليهم السلام من آل محمد، أو الأئمة عليهم السلام والزهراء عليها السلام، أي المعصومون من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، العترة الهادية التي قارنها بالكتاب؛ فمن يقبل أربعة ممن (أ) لم يقل أحد بكمال أفعالهم تماماً (ب) وعدم تجانس مواقفهم في الأحداث (ت) وليس لهم هذه المنزلة حتى عند المسلمين عموماً، مقارنة مع منزلة أهل البيت عليهم السلام، فعليه أن يقبل هذا من عندنا.

وهناك بديل آخر يقول: إن المعنى: أنتم خير أمة إذا كنتم بهذه الشروط، ولكن النص يقول ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ**﴾ أي أخرجت بالفعل أمةً اتصفت بهذه الصفات.

بعض مصادر البحث

فيما يلي ذكر بعض مصادر الروايات التفسيرية أو آراء المفسرين، سواء المؤيدة لما ذهبت إليه أو المخالفة له أو المعارضة له، التي تضمنها البحث أعلاه:

تفسير أبي جعفر الطبري؛ تفسير السعدي.

٣ ـ آية مع الصادقين

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[١].

قال: هذه الجماعة الصادقة أبداً، ولم يقل كونوا مع الصادقين في حالة كذا، بل كونوا مع الصادقين إن لم يفعلوا كذا. إذاً هي جماعة لا تخرج عن إطار الصدق مطلقاً.

كالعادة، ولحرف الناس عن التفسير الصحيح، فإنهم جاؤوا بتفسيرات أخرى:

أوردوا وجوهاً في التفسير غير ما نذهب إليه:

أن الصادقين هم الأنبياء، أو محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، أو المهاجرون الصادقون، أو أبو بكر وعمر حصراً، أو أبو بكر وعمر وأصحابهما.

---

(١) التوبة:١١٩.

جميع الوجوه باطلة! لماذا؟

الأنبياء هم الصادقون أبداً، لكن الآية موجهة إلى المسلمين بعد نزول القرآن، فما معنى أن يكونوا مع الأنبياء عليهم السلام الذين مضوا؟

وأما الصحابة فليسوا كلهم صادقين، فبعضهم كذّب بعضاً، فكيف تجمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم -وهو الصادق أبداً- مع الذين يصدقون، ويكذبون؟!

وأما أبو بكر وعمر فقد اختلفا في حضرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلت أصواتهما أصلاً، وهذا يدل على أنهما ليسا على تمام الصدق الذي حوله خلاف. (هذا غير تكذيب الزهراء عليها السلام للخليفة الأول في قضية ميراث الأنبياء عليهم السلام).

هذا طبعاً عن الصدق القولي، ولكن الصدق أبداً هو في القول والفعل. فإذا أردنا النظر في مواقف الرجلين نجد أن بعضها لا ينسجم مع الصدق. فالصدق يعني مبايعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الثبات في المعارك ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ**﴾[1]، وقد ولّيا الأدبار في أُحد، وولّيا الأدبار في حُنين، وعليه، فلا يمكن أن يكونا صادقين صدقاً مطلقاً.

كذا الأمر، بل أوسع، مع التفسير بالمهاجرين كلهم.

---

(١) الأنفال: ١٥.

ولكن إضافة إلى هذا، ذكروا الوجه الذي يقولون فيه: كونوا مع علي بن أبي طالب عليه السلام، أيضاً ذكروا هذا الوجه، ذكره بعض المفسرين كالثعلبي والآلوسي، وهذا الوجه كونوا مع علي بن أبي طالب عليه السلام رووه عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، على قلة ما يروون عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، رووه عنه، والإمام الباقر عليه السلام طبعاً عندنا وعند المخالفين لا يكذب، وأنه لا يتحدث إلا عن آبائه الطاهرين واحداً بعد واحد عليهم السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فإذاً في الآية المباركة قيد البحث، فإن ﴿**الصَّادِقِينَ**﴾، إما هم عليهم السلام، أو على أقل تقدير إذا كانت تقول: كونوا مع أي صادق، أنهم عليهم السلام المصداق الأعلى لذلك.

وبما أن إمامنا الحسن عليه السلام هو الامتداد الشرعي لأبيه، ولنفس المواصفات الضرورية لموقعيته في الدين، وكما قال أبوه أمير المؤمنين عليه السلام واصفاً العترة الهادية «ألسنة الصدق»[1]، فكأن الصدق عندما يتحدث فإنهم عليهم السلام هم الناطقون، فإن هذه الآية من الآيات التي تشمله عليه السلام بكل تأكيد.

---

(١) راجع كتابي «أنزلوهم بأحسن منازل القرآن» المنطلق من خطبة لعلي عليه السلام يصف فيها العترة الهادية أنهم أعلام الدين وأزمة الحق وألسنة الصدق.

بعض مصادر البحث

فيما يلي ذكر بعض مصادر الروايات التفسيرية أو آراء المفسرين، سواء المؤيدة لما ذهبت إليه أو المخالفة له أو المعارضة له، التي تضمنها البحث أعلاه:

تفسير الطبري؛ تفسير ابن كثير الدمشقي؛ الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي، آيات أهل البيت عليهم السلام.

٤ـ فاسألوا أهل الذكر

نص الآية المباركة: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ. بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[1].

ما هو الذكر؟

المعنى العام هو كل ما يُذكّر بالله تعالى، وتفاصيل العلاقة به.

والمعنى الخاص هو ما ذُكِر في القرآن، ما نزل في الذكر، الذي أنزل عليه صلى الله عليه وآله وسلم أي القرآن.

السؤال الأول: «من هم الذين لا يعلمون؟»

والسؤال الثاني: «من هم أهل الذكر الذي يتوجهون إليهم بالسؤال؟»

---

(١) سورة النحل: ٤٣-٤٤.

إن كل من لا يعلم ولو بنسبة ١٪ ينطبق عليه «لا يعلمون». فهذا الشخص سيكون عليه في هذا المحدود من العلم مهما صغر أن يسأل أهل الذكر. إذاً الذين لا يعلمون هم جميع الناس إلا قليلاً.

أما من هم أهل الذكر الذين يتوجه إليهم بالسؤال؟

فتكفي رواية ابن كثير (في تفسيره):

«وكذا قول أبي جعفر الباقر عليه السلام: "نَحْنُ أَهْلُ الذِّكر"»، إذاً الأئمة عليهم السلام هم أهل الذكر.

بدائل متعددة

هناك وجوه لتشخيص من هم أهل الذكر، بعضها معقول من سياق الآيات ومن فعل الآيات.

ثمانية من هذه الوجوه التي ذكروا: أنهم أهل التوراة، أو أهل الكتاب، أو أهل العلم بأخبار الماضي، أو اليهود والنصارى تحديداً، أو مؤمنو أهل الكتاب، أو أهل القرآن، أو أهل العلم، أو كل من يُذكر بعلم أو تحقيق. وهذان الأخيران «أهل القرآن» و«أهل العلم» هما المعقولان من هذه الوجوه، لأن هذا يمتد إلى سائر الأسئلة التي يمكن للمسلم أن يسألها.

والمسلم يذهب إلى سؤال من عنده شيء من العلم في قضية ما، فيجب طبعاً أن يكون هناك وثاقة في علميته، مصدريتها، درجتها، أي أن هناك معايير.

المصداق الأفضل

أفضل مصداق هو الوارد في رواية أبي جعفر الباقر عليه السلام «نَحْنُ أَهْلُ الذِّكْر».

ولكن في هذه الحالة ينطلق السؤال: هل هناك من توفروا على العلم بدرجة ١٠٠٪ كما هم هؤلاء عليهم السلام بحيث لم يحتاجوا إلى السؤال؟

نحن لا نجد أن أحداً، من أكابر الصحابة نزولاً، من ادّعى لنفسه ذلك، كما لم نجد من ادّعى لهم ذلك. وحدهم أئمة أهل البيت عليهم السلام من ادّعوا ذلك، إضافة إلى أنه ادّعاها لهم أصحابهم من شيعتهم، وهذا فارق مهم أنهم يدّعونها، ولا يوجد من يستطيع أن يتهمهم بالكذب، ونحن أيضاً ندّعيها لهم.

روايات أخرى

وهو قول الباقر عليه السلام أيضاً عندما سئل «إن من عندنا يزعمون أن قول الله عز وجل: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ أنهم اليهود والنصارى»، قال: «إذاً يدعونكم إلى دينهم!» ثم أردف وهو يشير إلى صدره: «نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون»[١]، ومثله ما عن الرضا عليه السلام[٢].

ومثله قول الصادق عليه السلام[٣].

---

(١) الكافي، ج١، ص٢١١، رواية ٧.
(٢) رواية ٣.
(٣) الكافي، ج١، ص٢١٠، رواية ٢.

بعض مصادر البحث

فيما يلي ذكر بعض مصادر الروايات التفسيرية أو آراء المفسرين، سواء المؤيدة لما ذهبت إليه أو المخالفة له أو المعارضة له، التي تضمنها البحث أعلاه:

تفسير الطبري؛ تفسير ابن كثير؛ تفسير القرطبي؛ الكافي، ج١ باب «إن أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة عليهم السؤال».

٥ـ آية الحسد

نص الآية الكريمة: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا**﴾[1].

تفكيك المجاهيل في الآية الكريمة

الآية لا تصرح لا باسم الحاسدين ولا من هم المحسودون ولا بموضوع الحسد.

الاستفهام: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ**﴾، هذا استفهام استنكاري، لأنه يأتي بالجواب عليه مباشرة ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ؟ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا**﴾. أي لماذا تحسدون هؤلاء على ما آتاهم الله؟ مثل ما

(١) النساء: ٥٤.

آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة والملك العظيم، آتينا هؤلاء الذين تحسدونهم.

هنا التفسير الذي يناسب والذي نفهمه مباشرة عندما يقول مثل ما آتينا آل إبراهيم فلماذا تحسدونهم؟ لا بد أن يكون هؤلاء المحسودون هم المقابل لآل إبراهيم عليهم السلام في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإلا تسقط الحجة.

لقطة قرآنية معجزة

والآية، عندما جمعت الكتاب والحكمة ثم فرقت الملك العظيم بقول «آتينا» ﴿**فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا**﴾، فلأن القرآن دقته معجزة، دقته تأخذ بالألباب - لماذا فرّق؟

وقد حصل أن الأمة قد أدارت ظهرها لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لهذه الذرية من ذرية إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فلم تستطع أن تسلبها العلم والحكمة؛ لأنه مستحيل، ولكنها سلبتها الحكم.

يقول الإمام الصادق عليه السلام «نَحنُ المَحسُودُون»[1].

---

(١) راجع كتاب الكافي، ج١، باب أن الأئمة عليهم السلام ولاة الأمر وهم الناس المحسودون، رواية ٢؛ وقريب منها رواية ٤.

وجوه تفسيرية باطلة

يقول البعض: إن المحسودين هم النبي صلى الله عليه وآله وسلم حصراً. وهذا باطل بكل وضوح؛ لأنه لو كان المحسودون هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «وآتينا إبراهيم العلم والحكمة» ولا يقول ﴿**آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ**﴾، فمن يقابل محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم هو إبراهيم عليه السلام ومن يقابل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم هم آل إبراهيم عليهم السلام. ثم ما الذي يمنع القرآن من قول ذلك، كأن يقول: «أم يحسدون النبي على ما آتاه الله من فضله»؟

الوجه الآخر أن المحسودين هم المسلمون عموماً. وهذا طبعاً باطل. إذ ليس جميع المسلمين هم من أوتي العلم والحكمة.

فمثل هذه الوجوه التي تتكلف تفسيرات واضحة البطلان تدلك -ببساطة- أنها ما أريد بها إلا الجد والاجتهاد في كتمان موقعية أهل البيت سلام الله عليهم.

تلك الموقعية التي يقف إمامنا الحسن المجتبى عليه السلام الثاني بعد أبيه عليه السلام في تلك السلسلة الذهبية السامية، التي حسدها البعض من المسلمين الأوائل، فكادوا لها كيداً عظيماً، وجرى ما جرى عليهم عليه السلام وعلى الأمة الإسلامية والبشرية جمعاء نتيجة ذلك الحسد، الذي نتج عنه المنافسة على الخلافة الدنيوية، والتي منعت الخلافة الدينية -الإمامة- من أن تمارس دورها كما أراد الحق تبارك وتعالى... كما أراده بخطته التي وضعها أمام الناس ولكن مع فتح باب التمحيص بالفتنة، لأن الدنيا دار تمحيص وليست الموقع النهائي للعباد.

بعض مصادر البحث

فيما يلي ذكر بعض مصادر الروايات التفسيرية أو آراء المفسرين، سواء المؤيدة لما ذهبت إليه أو المخالفة له أو المعارضة له، التي تضمنها البحث أعلاه:

تفسير أبي جعفر الطبري؛ تفسير السعدي؛ كتاب الكافي للشيخ الكليني.

الإمام الحسن عليه السلام في السنة

تقديم

أكرر ما قلته في بداية الفصل السابق - بما يتناسب مع أهداف الكتاب في الإلفات إلى الأدوار المهمة للإمام الحسن عليه السلام، فإن الإلفات إلى موقعيته عليه السلام في الدين لا بد منها كدليل على حجّيّة مواقفه في التشريع. ذلك أن موقعية الشخص لها المدخل الأول في أخذ ما جاء منه وعنه أو ردّه...

وبما يتناسب مع حجم الكتاب، فإن هذا الإلفات سيكون بإطلالات سريعة على الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بإمامنا المجتبى عليه السلام... وإلا فإن البحث المخصص للأدلة على موقعيته في الدين عليه أن يستطرد في هذه الأحاديث الشريفة.

فمن أراد الاستزادة، فإن في كتابي «العودة إلى الأصل - إلى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم» وكتابي «الأمة المسلمة في دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام» تفاصيل عن هذه الأحاديث الشريفة ومناقشات وإثارات جديدة، وربما عرض بطريقة جديدة فيما أحسب[1].

(١) الكتابان مع غيرهما على موقعي على الأنترنت - موقع «العودة إلى الأصل».

بخصوص الروايات الحديثية

هذه أكثر انطباقاً من الآيات القرآنية على منزلة الإمام الحسن عليه السلام وموقعيته في الدين؛ لأن الأحاديث النبوية إنما هي البيان الرسولي للقرآن الكريم، وبالتالي فإنها تكون بشكل يخصص ما يكون عاماً في القرآن أو يوضح المطلوب من آية قرآنية هي تخص شخصاً أو أكثر، ولكنها نزلت بالعموم من أجل تركيز الإطار الشامل للآية كآية من آيات القرآن العظيم التي تحيط بالمفاهيم أولاً ثم بالمصاديق ثانياً سواء أصرّحت بها أم لا.

طبعاً، الروايات الحديثية فيها جانب التعارض بين الروايات، ما يدخل البحث في دهاليز علم الرجال أو الجرح والتعديل الذي يلاحظ السند، والذي ظلمت فيه المتون التي تتوافق مع القرآن، ولكنها أهملت، أو ظلم القرآن من خلال متون «صحّ» إسنادها كما يقول علماء الحديث رغم أنها تتعارض بشكل واضح مع القرآن، الأمر الذي يعلمنا لماذا جاء الأمر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام بعرض الروايات على القرآن، ما يعني عرض متون الروايات.

إن التعارض في الروايات التي تتعلق بأهل البيت عليهم السلام كثيراً ما يكون بسبب وضع روايات تعارض الروايات الصحيحة التي نطق بها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا كان من نتاج السياسة التي ضربت موقعية أهل البيت عليهم السلام في وقت مبكر جداً بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. والتعارض من شأنه أن يشكك الناس في جميع الروايات

المتعارضة، فتتأثر الرواية الصحيحة سلباً، وربما تقع صريعة بالكلية.

على أن الله تعالى ﴿**غالبٌ على أمره**﴾[١]، وبالتالي لا بد أن يُظهر حقيقة أوليائه العظام عليهم السلام وإلا تأثرت حجته على خلقه في المرجعية الشرعية بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فمهما فعل الوضاعون فإن أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم استطاعت أن تخرج منتصرة عند البحث... نعم، لا نجدها قد انتصرت في الأثر على عموم الأمة، ولكن هذا ليس من نتاج البحث العلمي ولكن من نتاج التعصب - وبعبارة أخرى: ليست بسبب التحكيم العقلي، ولكن بسبب التحكُّم العاطفي للعلماء الذين يحسن العامة الظن بهم، وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كم من عقل أسير تحت هوى أمير»[٢].

---

(١) يوسف:٢١.

(٢) موسوعة أحاديث أهل البيت، الشيخ هادي النجفي، ج٧ رواية ٨٦٢٢.

المجموعة الأولى: ما يتضمن الإمام الحسن عليه السلام بشكل مباشر

١ـ سيد شباب أهل الجنة

أخرج أصحاب الكتب الحديثية حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشهير: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»(١).

وفي لفظ فيه زيادة «وأبوهما خير منهما»(٢).

أقول: رويت الزيادة أعلاه في حديث أخرجه الهيثمي في المجمع ج٩ ص١٨٢ وفي ص١٨١، والحاكم في المستدرك ج٣ ص١٧٠ وآخرون، في عدة روايات أن أبا بكر رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد حمل الحسن عليه السلام على عاتقه الأيمن والحسين عليه السلام على عاتقه الأيسر فعرض أبو بكر أن يحمل أحدهما، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «نِعمَ المطيّ مطيهما، ونعم الراكبان هما، وأبوهما خير منهما»(٣).

أقول: ما فتئ النبي ينبه إلى منزلة علي عليه السلام، فتراه هنا يضيف «وأبوهما خير منهما» بلا مبرر آخر غير تنبيه أبي بكر أن عليّاً عليه السلام أعلى منزلة من هذين اللذين يركبهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عاتقه الشريف؛ أو ربما كي لا

(١) صحيح الترمذي ج٢ ص٣٠٦ و٣٠٧، وغيره.
(٢) سنن ابن ماجة باب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٣٩، وغيرهما.
(٣) ذخائر العقبى ص١٣٠.

يعترض الذهن أن الحسنين عليهما السلام كونهما من نسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنهما أفضل من علي عليه السلام الذي ليس من نسله صلى الله عليه وآله وسلم، فأراد التنبيه والموعظة.

٢ـ الحسنان عليهما السلام سبطان من الأسباط

أخرج صاحب كنز العمال[١] قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ولكل أمة سبط، وسبط هذه الأمة الحسن والحسين» وبلفظ: «الحسن والحسين سبطان من الأسباط»[٢].

أقول: نبه العلماء أن تسمية النبي صلى الله عليه وآله وسلم للحسن عليه السلام والحسين عليه السلام بالأسباط لا يعني أنهما أولاد ابنته -حيث أن السبط يطلق على الحفيد، وإن كان على ولد البنت أكثر- وذلك لأن هذا من البديهيات التي يعرفها المسلمون جميعاً، لكنه أراد أن يربط بينهما وبين الأسباط الذين يعرفهم المسلمون من كتاب الله تعالى؛ وبما أن أولئك الأسباط من بني إسرائيل كانوا أنبياء معصومين في حين أن الحسنين عليهما السلام ليسا من الأنبياء، فقد ثبتت باقي الصفات العامة للأسباط، وهي العصمة ووصاية النبيين الخ، وهذا يقود إلى إمامتهما بالولاية العامة على المسلمين الذين لم تكن لهم هذه المنازل السامية كما لا يخفى. أي، يجب فهم كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه ليس من باب الفخر والمجاملات وغير ذلك لأنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يخرج منه شيء إلا في سبيل النصح للأمة وتعريفها حقوقها ومسؤولياتها.

---

(١) كنز العمال، ج٢ ص٨٨.
(٢) ج٦ ص٢٢١.

٣ـ حديث في حب الحسن عليه السلام وفي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه

من ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم إني أحبه فأحبه»[١]، أو بزيادة في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه»[٢].

إن هذه المنزلة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصرح بها قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «هذا مني»[٣]؛ وفي رواية أخرى[٤]: «هذا مني وأنا منه وهو يحرم عليه ما يحرم عليّ» أنه قاله للحسن أو للحسين عليهما السلام.

وكلمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أنا منه» مهمة جداً، لأن كلمة «هذا مني» لا يمكن أن تقتصر على الامتداد النَّسَبي، بل تعني أن ما يأتي به الحسن عليه السلام هو من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبالتالي حث غير مباشر على اتباعه؛ لأن في ذلك اتباع السنّة. أما «أنا منه» فلا يمكن تفسيرها بالنسب، إذاً هي تقول: وإني أوافق على كل موقف وقول وفعل له، وفي هذا التصريح بصحة أقوال وأفعال ومواقف الحسن عليه السلام وبالتالي الأمر باتباعها جملة وتفصيلاً.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج١٠ ص٢٦١.
(٢) صحيح البخاري كتاب البيوع باب ما ذكر في الأسواق، والبخاري في كتاب بدء الخلق باب مناقب الحسن والحسين، وابن ماجة في باب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سننه.
(٣) مسند أحمد ج٤ ص١٣٢.
(٤) كنز العمال ج٧ ص١٠٧.

٤ـ ريحانتي من الدنيا

أخرج أصحاب السنن[١] قول النبي: «إن الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا».

وأخرج أحمد[٢] الحديث بتخصيص الحسن عليه السلام وحده: «إنه ريحانتي من الدنيا».

قالوا في هذا: إن الولد يسمى الريحان، وإنه يوجد منهما ريح الجنة، والريحان ما يستراح إليه أيضًا، وقيل: سماهما بذلك؛ لأن الولد يشم كما يشم الريحان.

وفي رواية أخرى يحدث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها أم المؤمنين عائشة عن منزلة علي وفاطمة والحسنين عليهم السلام: «إن ابنتي سيدة نساء أهل الجنة، وإن بعلها لا يقاس بأحد من الناس، وإن ولديه الحسن والحسين هما ريحانتاي في الدنيا والآخرة»[٣].

---

(١) البخاري في صحيحه رواية ٣٧٥٣، والترمذي في سننه باب مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما رواية ٣٧٧٠.
(٢) المسند رواية ٢٠٥١٦.
(٣) بحار الأنوار للمجلسي ج٣٧ ص٧٨.

٥ـ إمامان قاما أو قعدا

في رواية عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا أبا ذر إنها -أي فاطمة- بضعة مني، فمن آذاها فقد آذاني، ألا أنها سيدة نساء العالمين، وبعلها سيد الوصيين وابنيها الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وإنهما إمامان قاما أو قعدا، وأبوهما خير منهما، وسوف يخرج من صلب الحسين تسعة من الأئمة قوامون بالقسط، ومنا مهدي هذه الأمة»، قال: قلت: «يا رسول الله فكم الأئمة بعدك؟» قال: «عدد نقباء بني إسرائيل»[١].

وعن أبي سعيد، قال: قلت للحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام: «يا ابن رسول الله لم داهنت معاوية وصالحته، وقد علمت أن الحق لك دونه وأن معاوية ضال باغ؟ فقال: «يا أبا سعيد ألست حجة الله تعالى ذكره على خلقه، وإماماً عليهم بعد أبي عليه السلام؟» قلت: بلى؛ قال: «ألست الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لي ولأخي: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟» قلت: بلى، قال: «فأنا إذن إمام لو قمت، وأنا إمام إذا قعدت»»[٢].

---

(١) كفاية الأثر لأبي القاسم القمّي الرازي ص٩٥.
(٢) علل الشرائع للصدوق ج١ ص٢٠٠.

المجموعة الثانية: ما يتضمن الإمام الحسن عليه السلام من موقع الإمامة

١ـ حديث الثقلين

وهو قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي، فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به -فحث على كتاب الله، ورغب فيه- ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»[١].

وورد الحديث بألفاظ مختلفة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[٢].

ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي

---

(١) صحيح مسلم رواية ٤٤٢٥.

(٢) صحيح الترمذي رواية ٣٧١٨، والنسائي ص٩٦ رواية ٧٩، ومسند أحمد الروايات ١٠٦٨١ و١٠٧٠٧ و١٠٧٧٩ و١١١٣٥ و٢٠٥٩٦، وذلك بألفاظ مختلفة قليلاً، وسنن الدارمي رواية ٣١٨٢، وغيرهم.

الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[١].

ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وأهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[٢].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني أوشك أن أدعى، فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عز وجل وعترتي؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[٣].

وقد روى مسلم هذا الحديث الحاسم في روايات أربع، قال في إحداها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الحديث في «غدير خُم» (ألمحت إلى بيعة الغدير في الفصل السابق بخصوص آية البلاغ)، وهذه هي الرواية التي ذكرناها أعلاه...

ففي باب فضائل الصحابة باب فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه حدث بسنده عن يزيد بن حيان... وذكر الحديث الذي ذكرناه أولاً أعلاه..

---

(١) أخرجه الترمذي عن زيد بن أرقم رواية ٣٧٢٠، والمتقي الهندي في كنز العمال ج١ ص١٧٢ حديث ٨٧٢ و٨٧٣.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٣ ص١٤٨ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين أي البخاري ومسلم».

(٣) رواه أحمد في مسنده ج٣ ص١٧-٢٦، وابن أبي شيبة في المصنف ج٧ ص٤١٨، وغيرهما.

وأخرج روايتين أخريين بألفاظ متشابهة.

ثم في رواية رابعة أنهم سألوه: «من أهل بيته؟ نساؤه؟ قال: لا، وايم الله! إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها، فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله، وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده».

وإذا كان التمسك بكتاب الله من الأمور البديهية عند المسلمين فإن حديث الثقلين يجعل التمسك بأهل البيت عليهم السلام بديهياً أيضاً. ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يترك ذلك للف والدوران، لذا جاءت الأحاديث بألفاظ «التمسك» كأمر واضح من النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ففي حديث المستدرك[1] يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما، وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي»، فالأمن من الضلال هو في «اتباعهما» لا القرآن وحده. ومثل ذلك ما رواه السيوطي الشافعي[2]، عن طبقات ابن سعد ومسند أحمد بن حنبل ومعجم الطبراني.

فالمسألة ليست متروكة للناس، وإنما هو أمر واضح، بلحاظ:

أولاً: الحث على التمسك بكتاب الله، وبالتالي التمسك بمن جعلهم عدلاً للكتاب

ثانياً: قوله «انظروا كيف تخلفوني فيهم» أو «فإني سائلكم عن

---

(١) ج٣ ص١٠٩.
(٢) الدر المنثور ج٢ ص٦.

اثنين...»، فإنه يقول للأمة: إنه سيطلع على كيفية تعاملهم مع الثقلين، وسيسألهم عنه يوم القيامة.

٢ـ الأمراء/ الخلفاء ١٢

وهو قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يكون بعدي اثنا عشر أميراً» أو «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة».

مما يلفت نظر كل باحث في موضوع الإمامة، ولاسيما فيما يعرضه شيعة أهل البيت عليهم السلام من حجج يبنون عليها موقفهم العقدي من الإمامة، هو هذا العدد: ١٢. فإن حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، الذي رواه المحدثون في كتبهم بألفاظ مختلفة، ينص على:

اثني عشر شخصاً يكونون بعده أمراء أو خلفاء أو قيّمين، وفي بعضها توصيف لحال الدين في ظل هؤلاء الأمراء أو الخلفاء «لا يزال هذا الدين عزيزاً» أو «الإسلام لا يزال عزيزاً» أو «لا يزال الإسلام عزيزاً منيعاً» أو «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة»؛

وفي بعضها الآخر توصيف لحال الأمة في ظل هؤلاء الاثني عشر «لا يزال أمر الناس ماضياً» أو «لا يزال أمر أمتي صالحاً».

وفي هذه الأحاديث حصر لانتماء الاثني عشر إلى قريش، وبعضها بنو هاشم، وفي بعضها الإشارة إلى خذلان الناس للاثني عشر «لا يضرّهم من خذلهم»، وأنهم في الحصيلة النهائية منتصرون «ينصرون على من ناواهم».

عدد الاثني عشر

قال جابر بن سمرة: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكون اثنا عشر أميراً»، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: «كلهم من قريش»[١].

جابر بن سمرة: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً»، ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت عليّ، فسألت أبي: ماذا قال رسول الله ﷺ؟ قال: «كلهم من قريش»[٢].

جابر بن سمرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»، فكبّر الناس وضجّوا، ثم قال كلمة خفيت، قلت لأبي: يا أبه ما قال؟ قال: «كلهم من قريش»[٣].

جابر بن سمرة: قال رسول الله ﷺ: «يكون بعدي اثنا عشر أميراً»، ثم تكلم بشيء لم أفهمه، فسألت الذي يليني، فقال: «قال كلهم من قريش»[٤].

قال ﷺ: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة، كلهم من قريش»، قيل: ثم يكون ماذا؟ فقال ﷺ: «ثم يكون الهرج»[٥].

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص١٧٥.
(٢) صحيح مسلم ج٢ ص١٩١.
(٣) سنن أبي داود ج٢ ص١٠٧.
(٤) الترمذي ج٢ ص٤٥.
(٥) أخرجه الأربعة إلا النسائي.

قال سماك بن حرب: سمعت جابر بن سمرة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ألا إن الإسلام لا يزال عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»، ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «كلهم من قريش»[١].

فمن هم هؤلاء الاثنا عشر؟

الروايات أعلاه حددت العدد باثني عشر، ولكنها لم تشخصهم. ولكن هناك روايات متعددة تحدد في بعضها قسماً منهم، وفي البعض الآخر جميعهم عليهم السلام.

من هذه الروايات الصحيحة التي رواها الصدوق بإسناده عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «تقول في سجدة الشكر "اللهم إني أشهدك، وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وجميع خلقك أنك أنت الله ربي والإسلام ومحمداً نبيي وعلياً والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والحجة بن الحسن أئمتي، بهم أتولى ومن أعدائهم أتبرأ"»[٢].

وروى الشيخ الكليني عن الإمام الجواد عليه السلام رواية بطلها الإمام الحسن عليه السلام قال: «أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ومعه الحسن بن

---

(١) صحيح أبي داود ج٢ ص١٨٠.
(٢) الوسائل للحر العاملي ج٧ ص١٥.

علي، وهو متكئ على يد سلمان، فدخل المسجد الحرام فجلس، إذ أقبل رجل حسن الهيأة واللباس، فسلم على أمير المؤمنين، فرد عليه السلام، فجلس، ثم قال: يا أمير المؤمنين أسألك عن ثلاث مسائل إن أخبرتني بهن علمت أن القوم ركبوا من أمرك ما قضى عليهم وأن ليسوا بمأمونين في دنياهم وآخرتهم، وإن تكن الأُخرى علمت أنك وهم شرع سواء! فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: سلني عما بدا لك، قال: أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه؟ وعن الرجل كيف يذكر، وينسى؟ وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال؟ فالتفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسن، فقال: يا أبا محمد أجبه! قال: فأجابه الحسن، فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلا الله، ولم أزل أشهد بها، وأشهد أن محمداً رسول الله، ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنك وصي رسول الله والقائم بحجته -أشار إلى أمير المؤمنين- ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنك وصيه والقائم بحجته - أشار إلى الحسن، وأشهد أن الحسين بن علي وصي أخيه والقائم بحجته بعده، وأشهد على علي بن الحسين أنه القائم بأمر الحسين بعده، وأشهد على محمد بن علي أنه القائم بأمر علي بن الحسين، وأشهد على جعفر بن محمد أنه القائم بأمر محمد، وأشهد على موسى أنه القائم بأمر جعفر بن محمد، وأشهد على علي بن موسى أنه القائم بأمر موسى بن جعفر، وأشهد على محمد بن علي أنه القائم بأمر علي بن موسي، وأشهد على علي بن محمد أنه القائم بأمر محمد بن علي، واشهد على الحسن بن

علي أنه القائم بأمر علي بن محمد، وأشهد على رجل من ولد الحسين لا يكنّى، ولا يسمّى حتى يظهر أمره، فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ثم قام، فمضى، فقال أمير المؤمنين: يا أبا محمد اتبعه! فانظر أين يقصد؟ فخرج الحسن بن علي عليه السلام، فقال: ما كان إلا أن وضع رجله خارجاً من المسجد، فما دريت أين أخذ من أرض الله، فرجعت إلى أمير المؤمنين، فأعلمته، فقال: يا أبا محمد، أتعرفه؟ قلت: الله ورسوله وأمير المؤمنين أعلم، قال هو الخضر»[1].

وهناك روايات من مصادر أهل السنة تحدد هؤلاء بأنهم علي وأولاده عليهم السلام، لكنها تعد ضعيفة عندهم، ولكني أشير إليها؛ لأن هؤلاء الاثني عشر الذين تحددهم يتوافقون بالضبط مع الاثني عشر الذين يستنتجون من روايات العدد أعلاه.

نذكر هنا روايتين مما أورده الشيخ سليمان القندوزي (١٢٢٠-١٢٩٤هـ)، وهو شيخ حنفي، ولكن البعض لا يعتبره حجة على أهل السنة، لأنه متصوف ومن العلماء المتأخرين، من كتابه «ينابيع المودّة» وتعليقه عليها.

أخرج[2] عن ابن عباس، قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون»».

(١) الكافي للكليني ج١ ص٥٢٥.
(٢) ينابيع المودّة، ج٢ ص٣١٥ رواية ٩١٠.

وأخرج[١] عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن النبي ﷺ قال: «يا جابر إن أوصيائي وأئمة المسلمين من بعدي أولهم علي ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف بالباقر، ستدركه يا جابر، فإذا لقيته فأقرأه مني السلام، ثم جعفر بن محمد ثم موسى بن محمد ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم القائم، اسمه اسمي وكنيته كنيتي ابن الحسن بن علي...».

قال الشيخ القندوزي[٢]: «قال بعض المحققين:... لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء من بعده من أصحابه لقلتهم عن اثني عشر، ولا يمكن أن يحمله على الملوك الأموية لزيادتهم على اثني عشر، ولظلمهم الفاحش إلا عمر بن عبد العزيز، ولكونهم غير بني هاشم في رواية عبد الملك عن جابر، وإخفاء صوته ﷺ في هذا القول يرجح هذه الرواية، لأنهم لا يحسنون خلافة بني هاشم. ولا يمكن أن يحمله على الملوك العباسية لزيادتهم على العدد المذكور، ولقلة رعايتهم الآية ﴿**قُلْ لا أسأَلُكُم عَلَيهِ أجْراً إلاّ المَوَدَّةَ في القُربى**﴾ وحديث الكساء. فلا بد من أن يحمل هذا الحديث على الأئمة الاثني عشر من أهل بيته وعترته ﷺ، لأنهم كانوا أعلم أهل زمانهم، وأجلّهم، وأورعهم، وأتقاهم، وأعلاهم نسباً، وأفضلهم حسباً وأكرمهم عند الله. وكان علمهم عن آبائهم

---

(١) المصدر نفسه، باب ٩٥ من المناقب.

(٢) ينابيع المودة ص٤٤٦.

متصلاً بجدهم صلى الله عليه وآله وسلم، وبالوراثة، واللدنية، كذا عرفهم أهل العلم والتحقيق، وأهل الكشف والتوفيق...».

وأردف: «ومما يؤكد إمامتهم عليهم السلام تتبع الحكام لهم في العهد الأموي والعباسي، مع عدم تصديهم لطلب الحكم والرئاسة، كل ذلك لما عرفه المسلمون لهم من الإمامة، لنص الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عليهم. ومما هو جدير بالذكر: أن الإمام الحسن العسكري عليه السلام استشهد، وهو في الثامنة والعشرين من عمره الشريف، فكان الطلب الحثيث من الدولة في التفتيش عن ولده، حتى أنهم حبسوا بعض جواريه خوفاً من أن يكون لدى بعضهن حمل، كل ذلك لما علموه من أن الأئمة اثنا عشر وأن آخرهم قائمهم، وإلا ما معنى الطلب الشديد على طفل في الخامسة من عمره، وما مقدار أثره على الدولة؟».

إن ما أشار إليه الشيخ سليمان القندوزي يقطع الشك في أن هؤلاء الاثني عشر لا يمكن أن يكونوا من الحكام عبر العصور. كما أن عدم إيمان أي طائفة من طوائف المسلمين باثني عشر إماماً عدا طائفة الشيعة الاثني عشرية (واسمها من هذا العدد قيد البحث) لا يجعل هناك مجالاً للخلاف فيمن هم هؤلاء؛ لأنه إن كان الاثنا عشر الذين تؤمن بهم الشيعة الاثني عشرية ليسوا أولئك الاثني عشر في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأين صار أولئك الاثنا عشر الذين أشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليهم، وهي إشارات تحدد معالم واضحة لهم؟

ويلفت القندوزي النظر إلى نقطة في غاية الأهمية، وهي تتبّع ملوك بني أمية والعباس لهؤلاء الاثني عشر، أي محاصرتهم ومراقبتهم وسجنهم واضطهادهم، مع أنهم عليهم السلام لم يطلبوا الملك. فهل يعقل أن ملوك الأمويين والعباسيين يفعلون كل تلك الأفاعيل المعرضة لعذاب الله تعالى إلا لأنهم كانوا يعلمون دور أهل البيت عليهم السلام والخطر الدائم من التفاف الناس حولهم.

النقطة الهامة الأخرى في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي التي تعطي وصفاً لحال الدين وحال الأمة في ظل هؤلاء الاثني عشر. فإن الدين يبقى «عزيزاً أو منيعاً أو قائماً»، وهذا غير مشاهد على المستوى الخارجي؛ لأن الجمود والتخلف هو الصفة الغالبة منذ قرون. فلا بد أن يكون المعنى في عزة الإسلام ومنعته هو في حقيقة الإسلام والدين الذي يمثله هؤلاء الاثنا عشر ومدرستهم بحيث لا يخشى على الدين على الرغم من كثرة الأعداء وضعف الأمة.

أما الواجب تجاهه: هل هو التفرج على ما فعله الظالمون معهم عليهم السلام على أساس أنه صراع على السلطة، أو الاصطفاف معهم، أو مع أعدائهم؟ إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا يضرهم من خذلهم» و«ينصرون على من ناواهم»، وعليه هم ليسوا الحكام المسيطرين على السلطة في الخارج.

إن أية مراجعة سريعة للتاريخ تثبت بشكل قاطع أن هؤلاء

الاثني عشر خليفة من أهل البيت عليهم السلام خذلهم معظم الأمة، وأنهم ناواهم الحكام والولاة وبعض العلماء وكثير من الناس، ولكن - في نفس الوقت - كانوا يزدادون ارتفاعاً واشتهاراً، دون أن «يضرهم من خذلهم»، وكان الأمر ينتهي بهم إلى حسن الذكر والحب الخالد عند الناس مثلما ينتهي بمن ناواهم إلى سوء الذكر لمن ناواهم عند الناس.

٣ ـ حديث الغدير

يبدو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر الثقلين في خطبته في غدير خم[١] مع إعلانه ولاية علي عليه السلام في قوله المشهور «مَنْ كُنتُ مَولاهُ فَعَلِيٌّ مَولاه». فقد روى الحاكم[٢] أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاله عندما نزل غدير خم بعد رجوعه من حجة الوداع، قال فيما قال: «كأني دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» ثم قال: «إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن» ثم أخذ بيد علي عليه السلام، فقال: «من كنت مولاه فهذا وليّه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه...»، قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين». وأيضاً عن عبد الله عن حنطب، قال: «خطبنا رسول الله بالجحفة، فقال:

---

(١) يوم ١٨ ذي الحجة بعد عودته من حجة الوداع سنة ١٠هـ.
(٢) المستدرك ج٣ ص١٠٩ وص١٣٣.

«ألست أولى بكم من أنفسكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «فإني سائلكم عن اثنين: القرآن وعترتي».

وأخرجه الطبراني[١] والسيوطي في إحياء الميت[٢].

وكما قلنا في غيره، إمامة علي عليه السلام تمتد إلى الحسن عليه السلام بعده مباشرة كونه أحد الأئمة الاثني عشر الذين يبقى الدين بهم عزيزاً، والذين حددهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأسمائهم في روايات أخرى، كما أنه عليه السلام من العترة التي قرنها بالقرآن كضمانة من السقوط في الضلال. فبيعة الإمام الحسن عليه السلام بدأت يوم غدير خُم عندما بويع أبوه عليه السلام.

٤ـ اتباع الحسن عليه السلام

رووا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الحسن عليه السلام حجة الله على الأمة، وأن «من تبعه فإنه مني، ومن عصاه فليس من»[٣].

وهذا موافق لموقعية الحسن عليه السلام كأحد الأئمة الاثني عشر الذين بهم يبقى الدين عزيزاً. كما أنه موافق لموقعيته عليه السلام كأحد أفراد العترة الطاهرة التي بالتمسك بها وبالقرآن - تركتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم - يحصل الأمن من السقوط في الضلالة.

---

(١) مجمع الهيثمي ج٥ ص١٩٥.

(٢) وغيرهما كابن الأثير في أسد الغابة ج٣ ص١٤٧، وابن كثير في البداية والنهاية ج٧ ص٣٨٦.

(٣) فرائد السمطين للحموي الشافعي ج٢ ص٣٤.

٥ـ السفينة

حديث السفينة، وهو قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، وهوى».

رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين[١] برواية أبي ذر الغفاري، والطبراني في المعجم الأوسط، الحديث ١٨ من الأربعين الخامسة والعشرين، وذلك برواية أبي سعيد الخدري، وذكره ابن حجر في الصواعق[٢] من روايات وطرق عديدة. وأخرج هذا الحديث ابن كثير في تفسيره[٣]، والسيوطي في الجامع الصغير[٤].

وفي هذا الشأن رويت أبيات للإمام الشافعي يؤكد فيها أن أهل البيت عليهم السلام هم سفينة النجاة:

ولما رأيتُ الناس قد ذهبتْ بِهِمْ مذاهبُهُمْ في أبحرُ الغَيِّ والجهلِ

ركبتُ على اسم الله في سُفُن النَّجا وهمْ أهلُ بيت المصطفى خاتمِ الرُّسلِ

إلى آخر أبياته...

ذهب الشيخ الأنطاكي (لماذا اخترت مذهب أهل البيت)

---

(١) المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٣٤٣.
(٢) الصواعق المحرقة، ص١٥١.
(٣) تفسير ابن كثير، ج٤ ص١٢٣.
(٤) الجامع الصغير، ج٣ ص٣٣٤.

إلى أن تمثيل النبي ﷺ لأهل بيته بسفينة نوح صريح في وجوب اتباعهم والاقتداء بأقوالهم وأفعالهم وحرمة اتباع من خالفهم، لأنه كما كانت سفينة نوح هي المنجية الوحيدة في تلك الأمواج المتلاطمة بحيث أن ابن نوح عندما طلب النجاة من مكان آخر غير السفينة «قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء» لم ينجُ «فكانَ من المُغرَقِين».

وإمامنا الثاني الحسن المجتبى عليه السلام أحد أعمدة السفينة، وأشرعتها، من تمسك به نجا ومن تخلف عنه غرق.

٦ـ النجوم أمان

قال النبي ﷺ: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا، فصاروا حزب إبليس»[1].

هذا الحديث الشريف يذكرنا بقول الزهراء عليها السلام في بيانها الرائع لفلسفة التشريعات الإسلامية: «و(جعل الله) طاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفُرقة».

(١) مستدرك الحاكم ج٣ ص١٤؛ قال حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم والبخاري.

٧ـ سد الأبواب

وهو أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسدّ الأبواب المشرعة على المسجد النبوي إلا باب علي عليه السلام.

قد روى ذلك الترمذي في صحيحه[١]، والسيوطي في تفسير قوله تعالى: ﴿**وما يَنطِقُ عَنِ الهَوى**﴾[٢]، والتي فيها أن الأصحاب الذين أمر بسدّ أبوابهم شقّ عليهم ذلك، ومنهم حمزة بن عبد المطلب، وأن رجلاً يقول: «ما يألو يرفع ابن عمه»، فسمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، فدعي «الصلاة جامعة» ثم صعد المنبر، وخطب خطبة بليغة، ثم قال: «يا أيها الناس ما أنا سددتها ولا أنا فتحتها ولا أنا أخرجتكم، وأسكنته» ثم تلا الآية القرآنية ﴿**والنَّجْمِ إذا هَوى ۞ ما ضَلَّ صاحِبُكُم وما غَوى ۞ وما يَنطِقُ عَنِ الهَوى ۞ إنْ هُوَ إلاّ وَحيٌ يُوحى**﴾[٣].

وسد الأبواب هذا يؤدي إلى الأمر الثاني الذي هو في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: «لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك» رواه الترمذي في صحيحه[٤] والبيهقي في سننه[٥] بسنده برواية أم سلمة رضي الله عنها حيث روت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ألا لا يحل هذا المسجد لجنب ولا لحائض إلا لرسول الله وعلي وفاطمة

---

(١) ج٢ ص٣٠١.
(٢) النجم:٣.
(٣) النجم:١-٤.
(٤) ج٢ ص٣٠٠.
(٥) ج٧ ص٦٥.

والحسن والحسين، ألا قد بيّنت لكم الأسماء أن لا تضلوا». ورواه بلفظ مختلف قليلاً في رواية أخرى.

وفيه يستفاد أمور، منها:

- المنزلة المتفردة لعلي عليه السلام وفاطمة والحسنين عليهما السلام من بين سائر الناس.

- أن بعض الأصحاب كانوا غافلين عن أن أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونهيه إنما هو وحي يوحى، فذكّرهم بآية سورة النجم.

٨ـ الزموا مودتنا، معرفة حقنا

رووا قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله، وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا»[1].

يعلق السيد شرف الدين على ذلك القول (المراجعات) بسؤال: «فأنعم النظر في قوله «لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا» ثم أخبرني ما هو حقهم الذي جعله الله شرطاً في صحة الأعمال؟ أليس هو السمع والطاعة لهم والوصول إلى الله عز وجل عن طريقهم القويم وصراطهم المستقيم؟ وأي حق غير النبوة والخلافة يكون له هذا الأثر العظيم؟»

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني ج٢ ص٣٥٩، والسيوطي في إحياء البيت، وفي مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص١٧٢.

الفصل الثالث

منزلة الحسن عليه السلام مقارنة بالحسين عليه السلام

منزلة الحسن عليه السلام مقارنة بالحسين عليه السلام

كثيراً ما سمعت من بعض الشيعة، علماء وعامة، أن الإمام الحسن عليه السلام «مظلوم من الجميع»... فكيف نقيّم هذه الجملة؟

إننا عندما ننظر إلى موقعية الإمام الحسن عليه السلام في المرجعية الشرعية للدين بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهم العترة الهادية عليهم السلام، فإننا لا نجد تفسيراً معقولاً لهذا الإهمال للإمام الحسن عليه السلام في الذكر - سواء أكان في البحوث أو استلهام الدروس والسيرة أو حتى الاحتفال... نعم، إنه عليه السلام لم يزل يتعرض للإهمال، بل الإهمال الشديد، من شيعته، فما بالك بغيرهم...

إنني أوافق على أن الحسن عليه السلام «مظلوم من الجميع»، وكلمة «الجميع» تعني الجميع - السنة والشيعة وغيرهم ممن تعرض إلى التاريخ الإسلامي من غير المسلمين. بل لقد تظاهر بعض هؤلاء مع بعض المخالفين على رسم صورة ظالمة للإمام المجتبى عليه السلام بعيدة كل البعد عنه، ليس فقط في ذاته الشريفة التي تتسامى على جميع النواقص، ولكن أيضاً في مواقفه وسيرته التي تعكز هؤلاء عليها في رسم تلك الصورة الظالمة الخطأ تماماً عنه.

الجميع يعرفون حجم الاهتمام الكبير جداً في الإمام سيد الشهداء عليه السلام، سواء في الوجدان الشيعي، وفي الممارسات، حتى

اليومية منها بحيث أن الشيعي في صلاته اليومية يسجد على تربة يسميها «تربة الحسين» (على اعتبار أنه حصل عليه من تراب المنطقة المحيطة بالقبر الشريف وما حوله من منطقة)، وبحيث أن الشيعة في جميع مآتمهم لا يمكن أن يهملوا ذكر الحسين عليه السلام والبكاء على مصيبته الكبرى، وبحيث أن الرغبة في الاستشهاد في سبيل الله عند من يرغبون فيها، ويدعون الله تعالى لتحقيقها تكون مقترنة في الغالب بالرغبة في لقاء الحسين عليه السلام... وهكذا الكثير مما يعرفه الناس.

حتى في أوساط المخالفين من أهل السنة، فإن منزلة الحسين عليه السلام أكبر من منزلة أخيه الحسن عليه السلام، نتيجة للاهتمام الذي يعيشونه، سواء عن قرب أو عن بعد، من الشيعة في الأول دون الثاني.

إلا أنه سيتبين للقارئ الكريم، من خلال مطالعته للفصول الأربعة التالية: عن السيرة، والأدوار والمواقف، والصلح وعوائده، والتعامل مع الباغي معاوية، أن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام كان أبعد ما يكون عن الصورة الضعيفة التي رسمها له بعض الأعداء أو المخالفين أو ممن لم يكن ذا هدف خبيث، ولكنه تأثر بما قاله أولئك.

بعد أن أشرت إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، الشهيرة منها وحسب، إلى منزلة الحسن عليه السلام، كجزء من العترة الهادية

للأمة المسلمة من دعاء جدّيه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وبما جاء فيه بالخصوص أو فيه وفي أخيه الحسين عليه السلام، أود أن أعقد مقارنة بين هذين الإمامين العظيمين عليهما السلام، بملاحظة المنزلة الأصيلة بغض النظر عن المواقف بملاحظة المواقف وأهمها قضية الصلح مع معاوية بن أبي سفيان.

الحسنان عليهما السلام متكافئان

مما يتوجب التنبيه إليه هو أن الحسنين عليهما السلام متكافئان - يشهد على ذلك فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المباهلة؛ كما يشهد التنويه بهما معاً.

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمشي، وقد حمل الحسين عليه السلام بيد (وإن كان عمره نحو ٥ سنوات)، وأمسك بيد الحسن عليه السلام الذي كان يسير بنفسه، وخلفهم تمشي فاطمة عليها السلام، وخلفها يمشي علي عليه السلام.

وهو صلى الله عليه وآله وسلم يأمرهم: «إذا دعوتُ فأمنُّوا».

فكان من فراسة رئيس الوفد النجراني التوقف عن المباهلة خشية نزول اللعنة التي تعني العذاب الشامل، وانتهى الأمر إلى المصالحة على دفع ضريبة الجزية وبقاء كل على دينه.

وهكذا، فإن الحسن عليه السلام كان أحد ممثلي الإسلام إزاء الأمم الأخرى، من خلال كونه العنصر الثالث في وفد الإسلام - عنصر «أبناءنا».

(فلينظر ناظر بعقله إلى أهمية كل من هؤلاء الأربعة الأبرار في وفد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي يتحدى بصفوة الأمة التي لا يمكن أن تمثلها إزاء الأمم من جانب، ولا تكون هي التي تهديها إلى الصراط المستقيم.)

وهكذا، كان الحسن عليه السلام هو «الأبناء» في وفد المباهلة.

ولكن، هل كان الحسين عليه السلام زائداً عن الحاجة؟

كلا بالتأكيد، وذلك لأمور:

أنه «يكافئ» أخاه الحسن عليه السلام، فلو لم يخرجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربما ظن الناس أنه ليس كذلك.

أنه يمثل الجانب من الإسلام الذي سيظهره بعد ذلك بخمسة عقود ونيّف في نهضته الكبرى.

أنه يقول: إن لفظة «**أبناءنا**» التي أخرجت سائر الأبناء الذين تنطبق عليهم مواصفات تمثيل الأمة، تعني أن عدم إخراج غير فاطمة عليها السلام لأن لفظة «**نساءنا**» لم ينطبق إلا عليها حصراً وإلا لكان صلى الله عليه وآله وسلم قد أخرج غيرها معها مثلما أخرج الحسين رغم وجود الحسن عليه السلام.

المصدران الأصليان للتشريع يساويان بين الاثنين عليهما السلام

في إشارتنا إلى الآيات القرآنية يمكن التأكد دون بحث في عدم وجود ولا كلمة واحدة مما نزل في القرآن جعلت للحسن عليه السلام منزلة متأخرة عن أخيه الحسين عليه السلام، مطلقاً.

فقد كان الاثنان عليهما السلام -دون فارق- من أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم.

وكان الاثنان عليهما السلام -دون فارق- من ضمن المجموعة الطيبة التي أذهب الله عنها الرجس، وطهرها تطهيراً.

وكان الاثنان عليهما السلام -دون فارق- من ضمن الأمة المسلمة التي انطلقت بدعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

وكان الاثنان - دون فارق - ضمن سائر الآيات القرآنية المتعلقة بالعترة الهادية من آل سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي إشارتنا إلى الأحاديث النبوية لم يتفوّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكلمة جعلت للحسن عليه السلام منزلة متأخرة عن أخيه الحسين عليه السلام، مطلقاً.

فقد كان الاثنان عليهما السلام سيدي شباب أهل الجنة؛ وكان الاثنان عليهما السلام ريحانتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الدنيا؛ وكان الاثنان عليهما السلام هما الإمامين مهما كانت الظروف (قاما أو قعدا).

ماذا عن العلاقة بين الحسنين عليهما السلام على أرض الواقع؟

لا شك في أنه لا الحسن عليه السلام ولا الحسين عليه السلام سيخرجان عن الذي رسمته آيات الكتاب وأحاديث جدهما صلى الله عليه وآله وسلم، سواء في داخل نفس كل منهما أو في التفاعل مع الأحداث الخارجية التي مرّا بها. فقد انعقدت نفسيتهما عليهما السلام المطهرتان من الجهل والرجس ومن الخطأ والخطيئة، على الحق والاندكاك التام بالصراط المستقيم صراط الله تعالى. من جانب آخر، فإن ذكاء كل منهما عليهما السلام، والقدرات الكبيرة التي يتمتعان عليهما السلام بها في تقييم الأمور والتعامل معها وفقاً للصالح العام دون خروج شعرة واحدة عن الصراط المستقيم، بعد التعليم المنهجي المستمر من قبل من هو أفضل منهما علماً ومنزلة، أعني أباهما أمير المؤمنين عليه السلام، باب علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصاحب السيف والبيان - كل هذه ستجعل من المستحيل مجرد الاشتباه في وقوع الخلل في سيرة أي منهما عليهما السلام.

ولكن الذين يرسمون صورة ضعيفة للإمام الحسن عليه السلام يفعلون ذلك بشكل أعم في قضية الصلح الذي عقده مع الباغي معاوية، فيقولون: إن الفارق واضح كبير بين موقفي الحسنين عليهما السلام: فالحسن عليه السلام صالح بينما الحسين عليه السلام قاتل!

هكذا، في جملة واحدة يتم التعامل مع تلك الأحداث الحاسمة وتفاصيلها الكثيرة!

دعوني أسرد هذه اللقطات كي نصل إلى نتيجة حاسمة في الأمر...

الحسن عليه السلام إمام الحسين عليه السلام

لا يمكن أن يكون الحسن عليه السلام أقل منزلة من الحسين عليه السلام ويكون إماماً عليه، لأن إمامة المفضول على الفاضل لا تجوز في مذهب أهل البيت عليهم السلام، وهي توافق العقل على أية حال.

قول الحسين عليه السلام «وأخي خير مني» قول ملفت من الإمام الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء، في حديثه مع أخته زينب عليها السلام... دعوني أذكر ملخص الرواية التي وردت في عدة مصادر... هنا من كلام إمامنا السجاد عليه السلام:

قال عليه السلام: «إني لجالس في تلك العشية التي قتل أبي في صبيحتها، وعندي عمتي زينب تمرضني، إذ اعتزل أبي في خباء له... يقول:

يا دهر أف لك من خليل كم لك بالإشراق والأصيل

من صاحب أو طالب قتيل والدهر لا يقنع بالبديل

وإنما الأمر إلى الجليل وكل حي سالك سبيلي

فأعادها مرتين أو ثلاثًا حتى فهمتها، وعرفت ما أراد، فخنقتني العبرة، فرددتها، ولزمت السكوت، وعلمت أن البلاء قد نزل.

وأما عمتي... فلم تملك نفسها أن وثبت... حتى انتهت إليه فقالت: وا ثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أمي

فاطمة وأبي علي وأخي الحسن، يا خليفة الماضي وثمال الباقي.

فنظر إليها الحسين عليه السلام... وترقرقت عيناه بالدموع.

وقال: لو ترك القطا لنام. فقالت: يا ويلتاه! أفتغتصب نفسك اغتصاباً؟!... فقام إليها الحسين عليه السلام... وقال لها: يا أختاه! اتقي الله، وتعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله... أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني، ولي ولكل مسلم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة.

فعزاها بهذا ونحوه... ثم جاء بها حتى أجلسها عندي»[1].

فهل إن قوله عليه السلام «وأخي خيرٌ منّي» يعني أن الحسن عليه السلام أفضل منه أم ماذا؟

إن الإمام، أي إمام، لا يتحدث بلسان المجاملات أو التواضع المخل بالمعنى، وبالتالي فإن قوله يعني بالضبط ما يريد...

المشكلة هنا هي أن القول بخيرية الحسن عليه السلام لا تتوافق مع التكافؤ الذي أشرنا إليه والذي استفدناه من القرآن والسنة النبوية... ولكنه قول من المعصوم لا يمكن ردّه.

وإذا تم قبوله كما هو فإنه يتوافق مع تقدم إمامة الحسن عليه السلام على إمامة الحسين عليه السلام؛ وذلك لأن تقدم الأول على الثاني لا يمكن أن يكون

---

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج٢ ص٩٣.

لأنه الأكبر سناً، أو على الأقل ليس السبب الوحيد، كما يتوافق مع ما سنقوله فيما يلي بخصوص طاعة الحسين عليه السلام للحسن عليه السلام.

طاعة الحسين عليه السلام لأخيه عليه السلام في جميع قراراته

التاريخ يخبرنا أن الحسين عليه السلام كان مطيعاً لأخيه الحسن عليه السلام في جميع مواقفه وقراراته. وكان معه، وهو يعد العدة للقتال، أو مواصلة القتال الذي بدأ في حياة أبيهما عليهما السلام. وكان معه، وهو يحاول - في الوقت نفسه- ثني الباغي معاوية عن موقفه المعادي للحسن عليه السلام. وكان معه عندما خيّر الناس بين القتال أو السلم. وكان معه عندما عزم على الصلح، وأرسل لمعاوية. وكان معه في جميع المفاصل حتى تم عقد الصلح. هذه الطاعة يمكن أن تكون لمن هو مكافئ له أو لمن هو خير منه.

ومن أهم الموارد «الصلح» والذي كان الحسين عليه السلام طرفاً في بنوده.

عندما تم عقد الصلح بين الحسن عليه السلام ومعاوية فإن الحسين عليه السلام كان حاضراً شاهداً مطلعاً على التفاصيل كلها. بل كان طرفاً في بنود الصلح، التي نصّت مادته الثانية على أن يكون الأمر للحسن عليه السلام بعد معاوية، فإن حدث به حدث فلأخيه الحسين عليه السلام، وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد[1]. فهذه الطاعة الحسينية تؤكد طاعة الحسين عليه السلام لأخيه عليه السلام في سائر الأمور.

---

(١) وإن كانت هناك صيغة أخرى نذكرها في فصل الصلح.

طاعة الحسين عليه السلام امتدت بعد الحسن عليه السلام مدة عمر معاوية

يمكن لقائل: إن يقول أن الحسين عليه السلام كان عليه أن يطيع أخاه الحسن عليه السلام إما لكونه بايعه مع المبايعين للخلافة، أو لأنه كان لا يريد حصول صدع في جبهة الحق. وهذا القول مردود من حقيقة أن الحسين عليه السلام استمر على ذات الموقف الذي اتخذه في حياة أخيه عليه السلام مدة حياة الباغي معاوية، وذلك لأن هؤلاء قوم يحفظون العهود والمواثيق حتى مع ألد أعدائهم، هذا عموماً؛ ولأن الموقف الحسيني يعني أنه عليه السلام كان مؤمناً بما قام به أخوه عليه السلام من عقد الصلح وبضرورة الحفاظ عليه طالما كان الذي عقد معه الصلح على قيد الحياة. فهذه الطاعة قرينة، إن لم تكن دليلاً، على أن الحسن عليه السلام ليس أقل من الحسين عليه السلام.

لم يخرج من الحسين عليه السلام كلمة واحدة تخالف أو تختلف مع الحسن عليه السلام في مواقفه.

بغض النظر عن طاعة الحسين عليه السلام لأخيه عليه السلام فيما اتخذه من مواقف، فإنه عليه السلام لم تخرج منه كلمة واحدة بالضد أو المخالفة أو الشكوى أو إبداء عدم الارتياح مما فعله أخوه الحسن عليه السلام. (نحن نعلم أن بعض كبار شيعة علي عليه السلام - من أمثال قيس بن سعد بن عبادة ومالك الأشتر وعدي بن حاتم الطائي - دخلوا على الإمام علي عليه السلام بعد قراره قبول التحكيم مع معاوية، وقالوا له صراحة: إنهم لا يرضون بذلك، ولكنهم سيطيعونه؛ أي ربما أطاعوا

على مضض. والإمام الحسين عليه السلام لم يفعل ذلك، لأنه كان مطيعاً مقتنعاً راضياً عن الذي اتخذه أخوه الحسن عليه السلام من مواقف، ومنها الصلح.)

ماذا عن موقف علي عليه السلام من التحكيم؟ أ ليس هو مخالف لموقف القتال الذي سبقه؟

نفس هذا التحكيم بين علي عليه السلام ومعاوية يشير إلى إمكانية صحة السير في طريق القتال أولاً ثم طريق المفاوضات بعد ذلك. هذا المثال العلوي كان نصب عين الحسين عليه السلام، وهو يعين أخاه عليه السلام على الموافقة على عقد الصلح وبنوده، فلم تكن هناك حاجة للمزيد من النظر.

ولكن، في المقابل، ماذا عن قول الحسن عليه السلام لأخيه عليه السلام «لا يوم كيومك يا أبا عبد الله»؟

هذا القول، الذي يحزن كل موالٍ إذ يرسم أمامه صورة ذلك اليوم الدامي يوم عاشوراء، وكيف أن الحسن عليه السلام ينهي كلامه مع أخيه الحسين عليه السلام الذي كان يريد منه معرفة من دس إليه السم، ولا يعني ذلك أي تفضل للحسين عليه السلام على الحسن عليه السلام، ولكن يعطي القبول لهذا الاهتمام الواسع بذكرى سيد الشهداء عليه السلام، لأن الذي حصل يوم عاشوراء سنة ٦١هـ لا نظير له في الأيام، بحيث هزّ المحبين الصادقين الذين يصدق عليهم قول الشاعر:

فأيُّ حَشاً لم يُمْسِ قبراً لجسمِهِ وفي أيِّ قلبٍ ما أُقيمتْ مَآتِمُهْ

ولكن...

ولكن، هل يقبل الحسين عليه السلام هذا الإهمال لأخيه عليه السلام، بالخصوص من شيعته؟

لا أظن ذلك، بل أقطع أنه عليه السلام لا يقبل بإهمال ذكر أخيه عليه السلام، سواء في موقعيته وأدواره ومواقفه، أو في الذي تعرض إليه من بعض أنصاره كما من أعدائه، ثم من الكثيرين على مر العصور... وكيف يقبل عليه السلام ذلك وهو الذي خاطبه بعد موته:

أَ أَدهَنُ رأسي أمْ تطيبُ مَجالسي وخدُّكَ معفورٌ وأنتَ سَليبُ؟

فليسَ حريباً من أُصيبَ بمالِهِ ولكنَّ من وارى أخاهُ حَريبُ.[1]

وللظروف الحالية أثر كبير

على أننا لا يمكن أن نتهم الجميع بهذا الإهمال والذكر الضعيف للإمام المجتبى عليه السلام، ولا سيما الشيعة، الذين لو أنه كان قبره اليوم بينهم أو كانوا هم حوله، متمكنين من التصرف بما يليق به، لكنا وجدنا الاحتفاء به والذكر له ولأيامه أكثر بكثير. ولكن سجنه عليه السلام - بأبي وأمي - في سجن النواصب منذ نحو ١٠٠ سنة (مع الأئمة الثلاثة السجاد والباقر والصادق عليهم السلام) هو المانع لما كان الشيعة سيقومون به مما يليق به، ولو جزئياً.

---

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص١٦٠.

دعوة إلى الحسن عليه السلام - تعريفاً واحتفالاً

إنني أدعو شيعة أهل البيت عليهم السلام أن يقوموا بشيء من الواجب تجاه إمامهم الثاني، سيد شباب أهل الجنة، ريحانة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الدنيا، أبي محمد الحسن المجتبى عليه السلام، بالتعريف به داخل الوسط الشيعي وخارجه، وبالاحتفال به في المناسبات المختلفة، فلا يعينوا الجهلة والمناوئين لخطه الصحيح على الذي فعلوه معه طيلة القرون، ولا يعينوا النواصب على الذي فعلوه معه عليه السلام ومع باقي العترة الطاهرة عليهم السلام منذ أن احتلوا أرض الحجاز قبل قرن من الزمان، بالتعاون مع أعداء الأمة الإسلامية كلها.

إن الإمام الحسن عليه السلام ليس بحاجة إلينا، بل نحن بأشد الحاجة إليه - في مواقفه وكلامه وسائر شؤونه، بحيث يمكن القول: إن موقفه من البغاة كان استمراراً لموقف أبيه عليه السلام ثم كان الممهد لموقف أخيه الحسين عليه السلام بعد أن افتضح أمر الباغي بما خالف ما اتفق عليه في بنود الصلح من عدم العهد لابنه الفاسق كما في عدم التعرض لشيعة علي عليه السلام وأنهم وسائر المسلمين آمنون في كل مكان. ولنعم ما قاله العلامة «السيد عبد الحسين شرف الدين» في تقديمه الرائع للكتاب الرائع «صلح الحسن» للعلامة «الشيخ راضي آل ياسين»:

«الحسن لم يبخل بنفسه، ولم يكن الحسين أسخى منه بها في سبيل الله، وإنّما صان نفسه، يجنّدها في جهاد صامت، فلمّا

حان الوقت كانت شهادة كربلاء شهادة حسنيّة قبل أن تكون حسينيّة.

وكان يوم ساباط أعرق بمعاني التضحية من يوم الطفّ لدى أولي الألباب ممّن تعمّق، لأنّ الحسن عليه السلام أُعطي من البطولة دور الصابر على احتمال المكاره في صورة مستكين قاعد.

وكانت شهادة «الطفّ» حسنيّة أوّلاً وحسينيّة ثانياً، لأنّ الحسن أنضج نتائجها، ومهّد أسبابها.»

الباب الثاني

الإمام الحسن عليه السلام في السيرة

الفصل الأول

من سيرة الإمام الحسن عليه السلام

في هذا الفصل، نطالع شيئاً من أخبار الإمام الحسن عليه السلام، أولاً في باقة متنوعة مما روي في سيرته العطرة...

ثم، في الفصل القادم، لقطات سريعة تلقي الضوء على أهمية موقعية الإمام عليه السلام في الدين - أتسلسل فيها من الولادة وحتى الوفاة، وتجتمع لتعطي صورة كبيرة عن الإمام المجتبى عليه السلام.

وأخيراً في هذا الباب، فصل هو إطلالة على قضية تزعجني شخصياً، وهي مما لم يزل المرجفون والأعداء ينالون من خلالها من هذا الإمام المظلوم - قضية الزواج والطلاق.

الشبه العملي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قال تعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً**﴾[1].

لم يجعل الله تعالى لنا أحد الأصحاب أسوة حسنة لنا، بل ولا أحد الأئمة عليهم السلام من ولد علي عليه السلام، بل ولا حتى علي عليه السلام نفسه، ولكن جعل سيد المرسلين والخلق أجمعين محمداً صلى الله عليه وآله وسلم. وبما أن مستوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن الوصول إليه، فإن الله عز

(١) الأحزاب: ٢١.

وجل إذاً رسم لنا طريقاً نستمر في العروج فيه إلى أن نلقاه.

إمامنا المجتبى عليه السلام وصفه الواصفون أنه «لم يكن أحد من الناس أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منه عليه السلام، فقد كان أشبه الناس به خلقاً وهيأة وهدياً وسؤدداً»[١]. وعليه، فإن الشبه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان على الجانبين: الخَلْقِي/ البدني والنفسي/ الشخصي.

فعلى الجانب الخَلْقِي قالوا: إنه كان يشبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ظاهره وأخلاقه، فقد كان متوسط القامة وكثيف اللحية إلى غير ذلك من الصفات[٢].

ولعل ما روي أنه مذ كان في سن سبع سنوات[٣] يجلس إلى جده صلى الله عليه وآله وسلم، ويستمع منه إلى ما نزل من الوحي ثم يذهب ويحدث أمه عليها السلام بما سمعه[٤]، ما يجعله مندمجاً بالرسالة، متلقياً للقرآن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة، محدثاً سيدة نساء العالمين نفسها عليها السلام بما تلقاه.

وعليه، فقد جمع ما حباه الله به من شبه خَلْقِي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع ما كان عليه من شخصية تتأسى به صلى الله عليه وآله وسلم، ليس فقط في الالتزام الكامل بالشريعة، فهذا مفروغ منه، ولكن في الهدي والسمت والطريقة التي تومئ إلى نفسية تحب أن تتابع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في كل شيء.

---

(١) الإرشاد للمفيد ج٢ ص٦.
(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٢٦، والمناقب لابن شهرآشوب ج٤ ص٢٨.
(٣) وإن كنت أظن أنه كان كذلك قبل ذلك.
(٤) المناقب لابن شهرآشوب ج٤ ص٧.

الحسن السبط عليه السلام والاستجابة لنداء الله تعالى

هذا التخلق بخلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهديه نجده في لقطات مختلفة من حياة الإمام عليه السلام الشريفة، ومن ذلك ما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام في وصف عمه الحسن السبط عليه السلام أنه قال: «وكان لا يقرأ بكتاب الله عز وجل ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ إلا قال: لبيك اللهم لبيك...»[1].

فإن الذي يتلو القرآن، ويحاول تدبره في قراءته يغفل عن بعض الكلمات القرآنية، لا سيما التي تتكرر، إلا أن أهل الذكر هؤلاء لا يغفلون عن شيء من ذلك. فهذه على قصرها تعطي صورة جميلة ومهمة لهذه العلاقة بين الإمام عليه السلام وبين ربه من خلال القرآن حيث نراه يعيش في حالة انتباه كامل بحيث أنه عندما يقرأ النداء يشعر أن الله سبحانه وتعالى يتكلم معه، وينادي، وبالتالي هو يعلن عن استعداده بقوله «لبيك اللهم لبيك». إن هذا المنهج لو استطاع قارئ القرآن أن يتبعه ولو في بعض الأحيان لربما وجد نفسه في حالة حديث مع الله سبحانه وفي حالة تلقٍّ منه تعالى بحيث يشعر بأنه ملزم باتباع ما نزل من عند الله عز وجل.

كان عليه السلام أعبد الناس، هكذا وصفه ابن أخيه الإمام السجاد عليه السلام بالقول: «إنّ الحسن بن علي بن أبي طالب كان أعبد الناس

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج٤٣ ص٣٣١.

في زمانه وأزهدهم وأفضلهم، وكان إذا حج حج ماشياً وربما مشى حافياً، ولا يمر في شيء من أحواله إلّا ذكر الله سبحانه، وكان أصدق الناس لهجة وأفصحهم منطقاً»[١].

ورووا في ذلك قوله عليه السلام: «أستحي من الله أن ألقاه، ولم أكن أمشي إليه نحو بيته»[٢]، حتى قالوا: إنه عليه السلام حج لله مشياً خمس عشرة مرة أو عشرين أو خمساً وعشرين مع أن الإبل كانت تقاد معه في مسيرته[٣].

حقاً، لقد كان أعبد الناس وهو يحج ماشياً وأحياناً حافياً، وكان على الدوام لله ذاكراً...

مثل هكذا عبد صالح لا نستبعد منه ما روي في أحواله مع الحق تعالى: «كان إذا توضأ ارتعدت مفاصله، واصفر لونه» وأنه يمضي إلى المسجد فإذا بلغ بابه رفع رأسه، وقال: «إلهي ضيفك ببابك، يا محسن قد أتاك المسيء، فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم»[٤].

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص٣٣١.
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ج١٣ ص٢٤٢.
(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ج٣ ص٩، والمناقب لابن شهرآشوب ج١٣ ص٢٤٢، والكافي للكليني ج٦ ص١٣٦٢، وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٥١٦.
(٤) المناقب لابن شهرآشوب ج٤ ص١٤.

تواضع الإمام عليه السلام انعكاس لتواضع جده صلى الله عليه وآله وسلم

أجمع المؤرخون وأرباب السير والمحدثون على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان مثال التواضع مع الجميع، فرووا أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يجلس مع الناس جلسة العبد، ويتصرف معهم كأحدهم على عظم هيبته وموقعيته في أنه رسول الله إليهم وكحاكم للبلاد. فلن نستغرب إذا ما وجدنا إمامنا الحسن عليه السلام يتبع جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الطريقة مع الناس. فقد رووا أنه عليه السلام مر وهو على فرسه ببعض الفقراء وهم يأكلون الخبز، فدعوه، فنزل، وجلس يأكل معهم، ثم دعاهم إلى داره، فأطعمهم، وكساهم[1].

العفو، وما بعد العفو

ما كان الحسن السبط عليه السلام ليغادر منهج جده صلى الله عليه وآله وسلم في العفو عن مستحقي العقوبة، وكيف لا وقد علم كيف أنه صلى الله عليه وآله وسلم عفا حتى عن أشد أعدائه يوم الفتح قائلاً قولته الذائعة «اذهبوا فأنتم الطلقاء». فقد رووا أن أحد الخدم قام بفعل يستوجب العقوبة، فقال الخادم للإمام عليه السلام: «والعافين عن الناس»! فقال الإمام: «عفوت عنك»؛ فطمع الخادم بالمزيد من عطاء الإمام عليه السلام، فقال: «والله يحب المحسنين»! فقال عليه السلام: «أنت حر لوجه الله» وزاد عليها عطاء الضعف لما كان يعطيه عادة![2].

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ج٤ ص٢٣.
(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج٤٣ ص٣٥٢.

مكانته عليه السلام في المجتمع

قال المؤرخ ابن إسحاق: «ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بلغ الحسن بن علي، كان يبسط له على باب داره، فإذا خرج، وجلس انقطع الطريق، فما مرّ أحد من خلق الله إجلالاً له، فإذا علم قام، ودخل بيته، فمرّ الناس»[١].

حتى في طريق الحج، كان الناس يتصرفون بذات الشاكلة من الإجلال له. فقد رووا أنه عندما كان في طريق مكة نزل عن الدابة، وصار يمشي، فتابعه جميع الناس بالنزول والمشي ومن ضمنهم بعض كبار الصحابة كسعد بن أبي وقاص[٢].

ومثله عن حال ابن عباس معه، مع أنه كان أكبر منه سناً إلا أنه كان يقوم بنفسه بتجهيز الدابة إذا ما أراد ركوبها[٣].

أما في الحج نفسه، فقط روى المؤرخون أن الناس كانوا يحيطون بإمامنا المجتبى عليه السلام طلباً للبركة، وكان الزحام يصبح شديداً إلى درجة أن بعض الرواة رأوا أخاه الحسين عليه السلام وشخصاً آخر يفرقون الناس من حوله[٤].

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ج٤ ص١٠.
(٢) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ج١ ص٥٤٣.
(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ج١٣ ص٢٣٩.
(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ج١٠ ص٤٠٦.

الكريم ابن الكرماء

اشتهر الإمام الحسن عليه السلام بالكرم حتى سماه الناس «كريم أهل البيت».

فقد كان يعين المحتاجين حتى أنه قاسم أمواله معهم ثلاث مرات. ويظهر أنه كان لا ينتظر السؤال، فقد رووا أنه ذات مرة سمع رجلاً يدعو الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم، فأمر أن يدفع له المبلغ[١].

وقد رووا أنه عليه السلام قسم أمواله بينه وبين الله تعالى ثلاث مرات، أي أعطى نصف أمواله في موارد الإنفاق على المحتاجين والمساكين[٢].

بل إنه أنفق جميع أمواله في سبيل الله مرتين[٣].

ولعلمه المستفاد من جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم كما لشخصيته المتابعة لجده صلى الله عليه وآله وسلم وكرمه الفائق رووا أنه من أجل مساعدة محتاج قام بقطع الطواف في المسجد الحرام، ولما سئل عن هذا قال: «كيف لا أذهب معه ورسول الله قال: من ذهب في حاجة أخيه المسلم فقضيت حاجته كتبت له حجة وعمرة، وإن لم تقض له كتبت له عمرة»[٤].

---

(١) كشف الغمة للأربلي ج١ ص٥٢٣.
(٢) السنن الكبرى ج٤ ص٣٣١.
(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ج٣ ص٩، وأسد الغابة لابن الأثير ج١ ص٤٩٠.
(٤) بحار الأنوار للمجلسي ج٩٤ ص١٢٩، وتاريخ دمشق لابن عساكر ج١٣ ص٢٤٨.

الإمام الحسن عليه السلام ودفع الأذى بالحلم والكرم

كانت طريقة أئمة أهل البيت عليهم السلام دفع الإساءة بالإحسان والتعامل مع الآخرين من الأعداء والمناوئين كما أمر القرآن الكريم الذي تمثلوه في حياتهم، فصاروا قرآناً متجسداً أمام الناس - قال تعالى: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾[1].

روي أن رجلاً شامياً التقى الإمام الحسن عليه السلام في الطريق فجعل يلعنه، ويشتمه، ولكن الإمام عليه السلام لم يكن يرد عليه، فلما انتهى ذلك الرجل سلم الإمام عليه السلام عليه، وهو مبتسم، وقال: «أيها الشيخ لو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كانت لك حاجة قضيناها لك، فلو حركت رحلك إلينا، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعوَدَ عليك؛ لأن لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً!»

فلما سمع الرجل هذا ندم، وبكى، وقال له: «كنتَ أنتَ وأبوك أبغض خلق الله إليّ، والآن أنت أحب خلق الله إليّ!» ثم استجاب لضيافة الإمام عليه السلام، وذهب عنده[2].

لو أردنا أن نحلل موقف الإمام عليه السلام فإننا نجد أنه أولاً لم ينفعل لموقف الرجل، ثانياً تعامل مع الرجل بشكل لا بد وأنه فاجأه بحيث

---

(١) فصلت: ٣٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٨٣، وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٤٤.

كأنه سحب البساط من تحت قدميه كما يقال. وهذا التعامل لم يتضمن موعظة في حسن الأدب وعدم التهجم على الآخرين، فإن الإمام عليه السلام ربما قدّر أن الرجل كان قد سمع أمثال هذه المواعظ، لذا عمد إلى الطريقة المجسدة للأخلاق التي يدعى إليها في مواعظ كهذه، وهي طريقة جمعت بين فسح المجال أمام الرجل لقول ما عنده ودعوته لإلقاء أي حمل عنده من الحاجة أو غير ذلك، بل وحتى الدعوة للنزول ضيفاً عند الإمام عليه السلام. فلو كان هذا الرجل من أعتى أعداء الإمام عليه السلام لما وجد مجالاً للاستمرار في العداوة الظاهرية على الأقل. وبهذا، ضمن الإمام عليه السلام تغيير عقيدة الرجل من العداء إلى الولاء، أو إلى الحياد على أقل تقدير.

في ميزان الكثير من الناس، إن الإمام عليه السلام لم يأخذ بحقه، بل خسر خسائر مالية فوق ما تعرض إليه من الاعتداء، ولكن أئمة العترة المباركة لا يهتمون بالمال بل ببناء الشخصية الراقية التي من أجلها كانوا يبذلون المال معرفة منهم عليهم السلام في تأثيره على الناس.

نسأل هنا: كم يا ترى نحن نعتبر بهذه المواقف إذا تدبرناها وعرفناها؟ لا شك في أن الكثيرين من المسلمين سمعوا بهذه المواقف من المنابر ومن الخطباء، وقرؤوا عنها، وهذه الأيام يشاهدون القنوات التلفزيونية التي تنقل مثل هذا، ولكن هل استجابتهم استجابة تغييرية؟ هل اعتبروا بهذه المواقف، ففعلوا مثل ما فعل أئمة العترة المباركة؟ سؤال مطروح لكل إنسان، لا سيما من يدعي موالاة أولئك الكرام.

أعداؤه يشيدون بحلمه عليه السلام

إن صفة «الحليم» لازمة لإمامنا الحسن عليه السلام في السير والروايات، كما في المصادر التي ذكرناها آنفاً. ذلك الحلم أقر به حتى بعض أشد أعدائه كمروان بن الحكم الذي - على الرغم من أنه اشترك مع مانعي دفن الإمام عليه السلام عند جده صلى الله عليه وآله وسلم - مشى خلف جنازته، وحملها، بحيث تعجب منه البعض فسألوه عن مواقفه المعادية أيام حياته عليه السلام، فقال: «إني كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال»(١).

مشاركة مهمة للإمام عليه السلام

موقف مهم لإمامنا الحسن عليه السلام وهو لما يكمل ثماني سنوات من عمره، عندما شارك مع والديه وأخيه الحسين عليه السلام في محاولة الوقوف بوجه التغيير الذي حصل في سقيفة بني ساعدة حيث بويع أبو بكر للخلافة في ضرب كامل لبيعة الغدير. تلك المحاولة كانت في الطواف ليلاً على بيوت الأنصار، وفي رواية بيوت المهاجرين والأنصار، وتذكيرهم بعهدهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل مع الله تعالى، قبل نحو ثلاثة أشهر فقط، عندما بايعوا علياً عليه السلام وتحت أمر وإشراف النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٠ هـ.

---

(١) أسد الغابة لابن الأثير ج١ ص٤٩٠، وطبقات ابن سعد ج١٠ ص٣٥٤، مقاتل الطالبيين ص٧٥، وغيرهم.

ذكّروهم بالبيعة والعهد مع الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام، فلم يستجب سوى سلمان وأبي ذر والمقداد والزبير[١].

وفي رواية ابن قتيبة: «وخرجَ عليٌّ (كرم الله وجهه) يحملُ فاطمةَ بنت رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم على دابَّةٍ ليلاً في مجالس الأنصار تسألُهم النصرةَ، فكانوا يقولون: يا بنتَ رسولِ الله، قد مضت بيعتُنا لهذا الرجل، ولو أنَّ زوجَك وابنَ عمِّك سبَقَ إلينا قبل فلانٍ ما عدلنا به، فيقولُ عليٌّ كرم الله وجهه: "أ فكنتُ أدعُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيتِه لم أدفنْه، وأخرجُ أنازعُ الناسَ سلطانَه؟!" فقالتْ فاطمة: "ما صنعَ أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبُهم وطالبُهم"»[٢].

هذه المشاركة الحسنية مهمة جداً في تسليط الضوء على نمو الشخصية الحسنية المقاومة للانحراف. فإنه فارق كبير بين أن تسمع من أبيك وأمك ما صنعوا وبين أن تكون قد شاركتهم الفعل. الإمام الحسن عليه السلام كان وكأنه يتحدث مع أبيه وأمه عليهما السلام مع المهاجرين والأنصار؛ بل وكان يشعر بالوضع الأمني الضاغط على العترة الطاهرة عليهم السلام إذ يخرجون للتذكير ليلاً، وليس في وضح النهار[٣].

---

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي ص٢١٦.

(٢) الإمامة والسياسة ج١ ص١٩.

(٣) وسأذكر في الفصل القادم ضمن لقطات الأدوار والمواقف كيف أن الإمام الحسن عليه السلام بقي يعيش هذا الحال بحيث وقف ذات مرة في وسط المسجد النبوي، يواجه الخليفة أن «انزل عن منبر أبي».

تذكير وشكوى

وهكذا، كلما سنحت الفرصة للإمام المجتبى عليه السلام لتذكير الناس بموقعيتهم المركزية في الدين والحياة كان يستثمرها. فقد رووا أن الإمام عليًا عليه السلام، ولا يزال في البصرة، مرض بعد معركة الجمل، فأمر الحسن عليه السلام بالقيام بصلاة الجمعة. خطب الحسن عليه السلام وكان من ضمن خطبته الأمران: موقعية أهل البيت عليهم السلام، وتقصير المسلمين في التعامل مع هذه الموقعية المنطلقة من أمر الله تعالى[١].

هل شارك الحسن عليه السلام في الفتوحات

البعض روى أن الحسن والحسين عليهما السلام شاركا في الفتوحات الإسلامية - فتح إفريقية (تونس) سنة ٢٦هـ وطبرستان سنة ٣٠هـ[٢] ولكن البعض رد هذا على أساسين: الأول أن الأئمة عليهم السلام كانوا ضد الفتوحات، وأنهما عليهما السلام توليا ميمنة جيش أبيهما عليهما السلام في صفين[٣]، والثاني أن الإمام عليًا عليه السلام كان يحمي الحسنين عليهما السلام من القتال في صفين، ويقدم أخاهما محمد بن الحنفية للقتال، وعليه فلا يجازف بحياتهما في الفتوحات[٤]. أيضاً ما رواه الرضي[٥] عندما رأى الإمام عليه السلام ولده الحسن عليه السلام يريد النزول إلى الميدان في صفين - قال:

(١) مروج الذهب للمسعودي ج٢ ص٤٣١، وأمالي الطوسي ص٨٢.
(٢) تاريخ الطبري ج٤ ص٢٦٩، وغيره.
(٣) فتوح ابن أعثم ج٣ ص٢٤، والمناقب لابن شهرآشوب ج٣ ص١٦٨.
(٤) البحار للمجلسي ج٤٢ ص١٠٦.
(٥) نهج البلاغة ج٢ ص ١٨٦.

«املكوا عني هذا الغلام لا يهدّني، فإنني أنفس بهذين -أي الحسن والحسين- على الموت، لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله».

حسبما أرى، فإن الأئمة عليهم السلام لم يكونوا ضد الفتوحات، بل كانوا ضد الممارسات التي حصلت. والأدلة على ذلك موجودة، منها سماح الإمام علي عليه السلام لكبار أصحابه - كعمار رضي الله عنه وخالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه - للذهاب وقيادة الجيوش أو الكتائب في الميدان، ومنها تدخله لمساعدة الجيش في العراق وفارس بعد أن جاءت رسالة عمار رضي الله عنه إلى الخليفة عمر أن الفرس جمعوا ١٥٠ ألفاً يريدون استرداد ما خسروه ثم الزحف على المدينة[١]. كذلك، نجد أن الإمام زين العابدين عليه السلام يدعو بأعظم دعاء للمسلمين في الثغور، وهي النقاط التي في آخر ما تم فتحه وفي مواجهة الأعداء، وهو المسمى بدعاء «أهل الثغور». أما السبب الثاني، أي حماية الإمام علي عليه السلام لولديه عليهما السلام فإني أؤيده، ولهذا أعتقد أنهما عليهما السلام لم يشاركا في الفتوحات.

ومثل ذلك ما رووه من أن الإمام الحسن عليه السلام ذهب رسولاً من أبيه عليه السلام لنقل شكوى الناس إلى الخليفة عثمان[٢] أو حتى أنه وقف يحرس دار الخليفة بعد أن حاصره الناس، وأنه عليه السلام كان يجلب الماء إليه. إني أشك في أن الإمام عليًا عليه السلام يخاطر بحياة الحسن عليه السلام من أجل عثمان الذي كان عليه السلام يعتقد أنه كان على

(١) الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٣٤.
(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ج٥ ص٥٨.

خطأ في الذي فعله طيلة سنوات حكمه أو على الأقل في النصف الثاني منها حيث ازدادت نقمة المسلمين منه ومن عماله على الأقاليم.

نعم، في التعبئة وتحريض الناس على القتال تحت راية أبيه عليه السلام كان الحسن عليه السلام يقوم بدوره كما رووا أنه عليه السلام قبل صفين ألقى خطبة يدعوهم إلى الجهاد[١].

ماذا عن معركة الجمل؟

قام الحسن عليه السلام، مع عمار بن ياسر رضي الله عنه وقيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه بتحريض الناس في الكوفة للحرب[٢]. وخطب عليه السلام ملفتاً النظر إلى موقعية أبيه عليه السلام وفضائله الجمة وأن الزبير وطلحة نقضا بيعتهما لأبيه عليه السلام، ودعاهم إلى القتال معه عليه السلام[٣].

وعندما دارت المعركة خطب بالناس يرد على تهمة عبد الله بن الزبير لأبيه عليه السلام بالتحريض على عثمان[٤].

فهذا كله في إطار التحريض والتعبئة والمحاججة.

ولكن رووا أيضاً أنه عليه السلام شارك قائد ميمنة الجيش[٥]، بل وقام

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص١١٣.
(٢) كتاب الجمل للمفيد ص٢٦٣.
(٣) الجمل للمفيد ص٢٦٣، وفتوح ابن أعثم ج٢ ص٤٦٦.
(٤) الجمل للمفيد ص٣٤٨، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٤٨٥.
(٥) المناقب لابن شهرآشوب ج٤ ص٢١.

بنفسه وطعن الجمل الملعون[١]. فهذه فيها نظر بلحاظ ما قلناه، وقاله العلماء بخصوص ضنّ أمير المؤمنين عليه السلام بولديه الحسنين عليهما السلام عن القتال.

النهروان وما بعدها

ورووا أن الحسن عليه السلام شارك في معركة النهروان ضد الخوارج[٢].

كما رووا أن أمير المؤمنين عليه السلام، عندما قرر قتال معاوية بعد فشل التحكيم بمدة عين الحسن عليه السلام قائداً على عشرة آلاف[٣].

بيعة الإمام الحسن عليه السلام بالخلافة

بويع الإمام الحسن عليه السلام بالخلافة بعد استشهاد أبيه عليه السلام يوم ٢١ رمضان سنة ٤٠هـ، بعد أن قام في الناس خطيباً، فنعى إليهم أباه عليه السلام، وذكر شيئاً من فضائله عليه السلام، وقربه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع بعض آيات الكتاب النازلة في العترة الطاهرة عليهم السلام، ثم قام عبد الله بن عباس، ودعا الناس إلى بيعته عليه السلام، ففعل الناس[٤].

كما رووا أن عبيد الله (وليس عبد الله) بن عباس تحدث وقال للناس: إن أمير المؤمنين عليه السلام قد ترك «خلفاً رضياً مباركاً

---

(١) أمالي الطوسي ص٨٢، وتاريخ المسعودي ج٢ ص٤٣١.
(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ج٣ ص٩٣٩.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٧ ص٩٣.
(٤) الإرشاد للمفيد ج٢ ص٧، ومقاتل الطالبيين لأبي الفرج ص٦٢.

حليماً، فإن أحببتم فبايعوه»[١]، فبايعه نحو أربعين ألفاً[٢].

رووا أيضاً أن أول المبايعين كان الصحابي الكبير قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري[٣].

والظاهر أن من بقي من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بايعوا الإمام عليه السلام، ومعهم -سواء ببيعة معلنة أرسلت فيما بعد أو ضمناً بالقبول أو عدم الاعتراض- أهالي الحواضر التي كانت تحت سلطة أمير المؤمنين عليه السلام مثل مكة والمدينة والكوفة والبصرة وحواضر بلاد فارس واليمن.

ورووا أن أول مبايع، وهو قيس بن سعد، اشترط على الإمام عليه السلام أن يبايع ليس فقط على الكتاب والسنة، ولكن أيضاً على حرب من أحل دماء المسلمين، فرفض الإمام عليه السلام الشرط الأخير على أساس أنه جزء من الكتاب والسنة[٤].

ولعل من أوائل الإجراءات التي اتخذها الإمام عليه السلام لمواجهة الباغي معاوية دعم الجيش بزيادة رواتبهم بنسبة مائة في المائة[٥]، وهذا يدل على أنه كان يستعد للحرب، وليس الصلح، منذ بداية عهده.

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ج٣ ص٢٨.
(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ج١ ص٣٨٥، وغيره.
(٣) تاريخ الطبري ج٥ ص١٥٨.
(٤) تاريخ الطبري ج٥ ص١٥٨.
(٥) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج ص١٦٤

الفصل الثاني

الإمام الحسن عليه السلام أدوار فريدة في الدين

إنه لمن المؤسف أن هذا الإمام المجتبى عليه السلام لم يحظ بالعناية التي يستحقها، لا من شيعته ولا من الآخرين من المسلمين، مع أنه شكل العنصر المهم في عدة أدوار شغلها هو وحده، مما كان له أبلغ الأثر في الإسلام في جوانبه الثلاثة: العقيدة والشريعة والمنظومة الأخلاقية.

لهذا، سأتعرض لهذه الأدوار، أو أهمها، بالذكر والتعريف وحسب.

١ـ المصداق الأول لسورة الكوثر

قال تعالى ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ. إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ**﴾.

فإن الرد على كلام المشركين في أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان «أبتر»، لأنه لم يرزق ولدًا ذكرًا بقي حياً، كان فاطمة عليها السلام التي كانت «الكوثر» الذي سيأتي إلى الدنيا بالكثرة الكاثرة من ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم منها.

وهكذا، كان وليدها البكر «الحسن» عليه السلام هو المصداق الأول لهذا الكوثر.

٢ـ سنن المواليد

رووا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أمرهم أن يلفوه في خرقة بيضاء، فجيء به إليه، فأخذه صلى الله عليه وآله وسلم:

وقبله، وأدخل لسانه في فيه، وأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وحلق رأسه، وتصدق بوزن شعره ورقاً (أي فضة)، وطلى رأسه بالخلوق (الطِّيب)» وعقّ صلى الله عليه وآله وسلم عنه بكبشين[١].

فصارت هذه السنن المتبعة في مواليد المسلمين جميعاً.

(مع الانتباه إلى أن إدخال اللسان خاص بهؤلاء الأطهار عليهم السلام؛ لأنه لا فائدة منه في الناس العاديين، فقد كان هذا فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع علي عليه السلام بشكل آخر، وهو أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يمضغ اللقمة قليلاً ثم يخرجها، ويضعها في فم علي عليه السلام، «وكان يمضغ الشيء، ويلقمنيه»[٢]، وهي عادة مستمرة كما يبدو بعد أن انتقل علي عليه السلام، وهو ابن ٣ سنوات إلى بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بسبب خاصية في لُعاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لها أثرها الخاص فيهم عليهم السلام؛ تلك الخاصية التي رووا أنها أفاضت بالبركة المعجزة على بضعة أقراص خبز وشيء من اللحم والمرق صنعتها زوجة جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، فأكل منها المسلمون جميعاً وممن كان يحفر الخندق قبيل معركة الأحزاب وباقي الناس في المدينة).

---

(١) الكافي للكليني ج٦ ص٣٢، وسنن النسائي ج٤ ص١٦٦، ومستدرك الحاكم ج٤ ص٢٣٧.
(٢) نهج البلاغة ج٢ الخطبة ١٩٢.

٣ـ الإمامة في آل علي عليه السلام

لولا الحسن عليه السلام لكان يمكن القول أن علياً عليه السلام إنما كان أحد الصحابة الكبار الذين صاروا خلفاء في المرحلة الأولى بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحسب.

ولكن وجود الحسن عليه السلام في الإمامة -بمعنييها الإداري والديني-، في القرآن[١] والسنة[٢]، جعل الخلافة العلوية ليست حالها حال خلافة أبي بكر وعمر وعثمان قبلها، ولا خلفاء بني أمية والعباس بعدها، ولكن جعلها الحلقة الأولى في السلسلة المباركة.

وبعبارة أخرى: ساهم الحسن عليه السلام في إثبات إمامة أبيه عليه السلام قبل إمامته هو عليه السلام.

(ثم استمر الأمر في الحسين عليه السلام والأئمة من ولد الحسين عليه السلام ليقطع دابر المتكلفين).

---

(١) آية التطهير مثلًا.

(٢) أحاديث الاثني عشر خليفة/ أميراً/ قيّماً.

٤ـ نوع إمامة أهل البيت عليهم السلام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الحسن والحسين سبطان من الأسباط»[١].

فهل كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول للناس: الحسن والحسين حفيدان من الأحفاد من ابنتي؟!

ألا يعلمون ذلك؟!

هل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول كلاماً لا فائدة منه؟

إذاً، كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول شيئاً آخر، نجده في الذكر القرآني لكلمة «سبط»، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي أنزل عليه القرآن يتكلم على ضوئه.

قال تعالى: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[٢]، ومثلها[٣]، ومثلها: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**﴾[٤]؛ فهذا يعني أن:

الحسن والحسين عليهما السلام يكافئان في النوع أسباط بني إسرائيل،

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج٦ ص٢٢١.
(٢) البقرة:١٣٦.
(٣) آل عمران:٨٤.
(٤) النساء:١٦٣.

ولكن أسباط بني إسرائيل كانوا أنبياء، والنبوة ختمت بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم؟

إذاً: الحسن والحسين عليهما السلام ليسوا أنبياء، ولكنهما من نوع الأنبياء عليهم السلام، وليس أقل.

وهذا نظير قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»[1]، فتكون هذه الحلقات الثلاث في السلسلة المباركة من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد ورد النص على أنها من المستوى الأعلى من عباد الله تعالى، وهم الذين ألقيت عليهم مسؤولية هداية العباد، إن بالوحي النبوي والرسولي، أو بالإمامة التالية للنبوة الخاتمة.

فمولانا أبو محمد الحسن عليه السلام كان - من خلال حديث جده صلى الله عليه وآله وسلم - المؤكد لنوع إمامة أهل البيت عليهم السلام.

٥ـ الإمامة العصية على الدنيا

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»[2].

كلمة من أعظم كلمات المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأشدها دقة، فهي تقول:

الحسنان عليهما السلام إمامان + الأمة ربما تدير ظهرها لهما + يبقيان عليهما السلام إمامين إذا حصل هذا.

---

(١) صحيح مسلم رواية ٢٤٠٤؛ وقريب منه في صحيح البخاري رواية ٣٧٠٦

(٢) علل الشرائع للصدوق ج١ ص٢٠٠.

وهذا = الإمامة شقّان إداري وديني.

الأمة «تستطيع أن تتجاهل الشق الإداري» فتختار آخرين غير الأئمة عليهم السلام.

ولكنها «لا تستطيع سلب الشق الديني» لأن الأمة عاجزة عن توفير العلم الديني لمن تختاره برأيها القاصر.

فهذا نداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليكم أيها المسلمون، فهل تسيرون خلف الإمامين الحسنين عليهما السلام اللذين تمت تهيئتهما للإمامة فتجعلونهما «قاما»، أم خلف هذا وذاك ممن لم يهيَّأوا، فتجعلونهما «قعدا»؟

من كرامات الله تعالى لأهل هذا البيت الطاهر، بل من لطفه للعباد جميعاً كي يتعرفوا عليهم عليهم السلام بشتى الوسائل، أن صفة «إمام» لم يستخدمها حتى غير أتباع أهل البيت عليهم السلام مع أحد من الصحابة غير علي عليه السلام! فتجد وصف علي عليه السلام بالإمام شيئاً تلقائياً عند المسلمين السنة - السنة، وليس الوهابية. لأن الوهابية شيء آخر، فقد تركوا هذه الصفة الكبرى، فهربت هذه الصفة منهم تماماً، فلا تجد وهابياً يصفه عليه السلام بالإمام، وهذا من فضل الله العظيم على عبده الكريم عليه السلام!

٦ـ إتمام تمثيل الإسلام مع الأمم

يجمع المفسرون على أن الإمام الحسن عليه السلام كان أحد المجموعة المباركة أبطال هذه الحادثة[١] في أواخر حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم (المشهور هو ٢٤ من ذي الحجة من السنة ٩ للهجرة)، كما نص على هذا المحدثون[٢]، حيث جاء وفد من نصارى نجران، شمال اليمن، إلى المدينة، برئاسة رجال الدين، يحاور النبي صلى الله عليه وآله وسلم حول المسيح عليه السلام وطبيعته، وعقدت لقاءات حوار عدة أيام.

كان الموقف النبوي على هدي القرآن:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٣].

ولما بقي الطرفان كل على رأيه، نزل الوحي بالأمر التالي:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٤]،

فضرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم معهم موعداً خارج المدينة لـ «المُلاعنة/

---

(١) من ذلك تفسير الكشاف للزمخشري ج١ ص٤٨٢.

(٢) كما في صحيح مسلم رواية ٢٤٠٤، ومسند أحمد، فضائل الصحابة وفضائل الحسن والحسين رواية ١٣٣٢، وسنن الترمذي رواية ٢٩٩٩، وغيرهم.

(٣) آل عمران:٥٩.

(٤) آل عمران:٦١.

المُباهلة»، وأعلن ذلك للمسلمين كي يخرجوا للشهادة عليها.

وفي الموعد، وقفت الجموع الغفيرة من المسلمين، ووقف الوفد النجراني، ينتظرون، إلى أن أطلت تلك الوجوه الكريمة والذوات الفاضلة.

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمشي وقد حمل الحسين عليه السلام بيد (وإن كان عمره نحو ٥ سنوات)، وأمسك بيد الحسن عليه السلام الذي كان يسير بنفسه، وخلفهم تمشي فاطمة عليها السلام، وخلفها يمشي علي عليه السلام، وهو صلى الله عليه وآله وسلم يأمرهم: «إذا دعوتُ فأمنّوا».

فكان من فراسة رئيس الوفد النجراني التوقف عن المباهلة خشية نزول اللعنة التي تعني العذاب الشامل، قائلاً لأصحابه «إنّي لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً عن مكانه لأزاله بها، فلا تُباهلوا فتهلكوا»!

وانتهى الأمر إلى المصالحة على دفع ضريبة الجزية وبقاء كل على دينه كما يشاء.

وهكذا، فإن الحسن عليه السلام كان أحد ممثلي الإسلام إزاء الأمم الأخرى، فكان العنصر الثالث في وفد الإسلام - عنصر «أبناءنا».

فلينظر ناظر بعقله إلى أهمية كل من هؤلاء الأربعة الأبرار في وفد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي يتحدى الآخرين بهم، وليفكر كيف أن هؤلاء هم صفوة الأمة، بل الصفوة في الأمة، التي لا تجد لها مثيلًا في الأمم.

وهكذا، كان الحسن عليه السلام هو «الأبناء» في وفد المباهلة.

(علماً أن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن «زائداً» عن الحاجة في المباهلة، بل كانت الحاجة إليه فيها لأمور:

أنه «يكافئ» أخاه الحسن عليه السلام، فلو لم يخرجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربما ظن الناس أنه ليس كذلك

أنه يمثل الجانب من الإسلام الذي سيظهره بعد ذلك بخمسة عقود ونيّف في نهضته الكبرى.

٧ـ التنبيه إلى الحق بصورة دراماتيكية

رووا[١] بإسناد «أن أبا بكر رضي الله عنه خطب يوماً فجاء الحسن، فصعد إليه المنبر، فقال: «انزل عن منبر أبي»، فقال علي: «إن هذا لشيء عن غير ملإ منا» (إي «إملاء/ تعليم» منا).

وروى ابن حجر في الصواعق المحرقة[٢]: «وأخرج الدارقطني أن الحسن جاء لأبي بكر، وهو على منبر رسول الله، فقال: «انزل عن مجلس أبي!» فقال: صدقت والله إنه لمجلس أبيك! ثم أخذه، وأجلسه في حجره، وبكى، فقال علي: «أما والله ما كان عن رأيي!» فقال: صدقت والله ما اتهمتك».

وبصيغة أخرى: «انزل عن منبر أبي، واجلس على منبر أبيك!» فقال له أبو بكر: «نعم إنه منبر أبيك وأبي لا منبر له، وإن كل ما عندنا منكم، فهل أنبت الشعر على رؤوسنا إلا الله وأنتم»[٣].

واضح أن ما قصد الحسن عليه السلام أنه منبر «علي عليه السلام»، لأنه لو قصد منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم (والجد أب أيضاً) لما قال أبو بكر لعلي عليه السلام «ما اتهمتك» فإن «التهمة» تكون إذا كان قصد الحسن منبر أبيه عليه السلام المتنازع عليه.

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ج٣ ص٢٦، والطبقات لابن سعد ج١٠ ص٣٠٠

(٢) الصواعق المحرقة ج٢ ص٥١٥.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ج٣٠ ص٣٠٧، وكنز العمال ج٥ ص٦١٦.

٨ـ عقد الصلح مع البغاة

على الرغم من أن الإمام عليًا عليه السلام هو الذي بدأ بالصلح مع البغاة عندما وافق على التحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان، ولكن ذلك فيه:

أنه حصل منه مجبراً بعد خروج الخوارج بالألوف من الجيش وتهديدهم إياه بالقتل.

فالقضية فشلت مع خطوة التحكيم نفسها، لهذا عاد عليه السلام لتعبئة الناس.

أما صلح الإمام الحسن عليه السلام فكانت فيه عناصر مهمة خصصت له الباب التالي؛ ولكن يكفي القول: إنه عليه السلام أعلن تشريع الصلح مع البغاة داخل الأمة، وذلك في الجانبين:

الجانب الأول: الفكرة ذاتها.

الجانب الثاني: تفاصيل وثيقة الصلح، التي كان فيها أعظم الفوائد للأمة.

٩ـ تقديم السلم في الأمة على الذات

بعد أن سُقي السّمّ (واحدة من مؤامرات الصحابي الجليل!) وأيقن بالموت، أوصى أخاه الحسين عليه السلام أن يدفنه إلى جنب جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، قائلاً:

«وأن تدفنني مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإني أحق به وببيته، ممن أدخل بيته بغير إذنه، ولا كتاب جاءهم من بعده، قال الله فيما أنزله على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في كتابه: «يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم» فوالله ما أذن لهم في الدخول عليه في حياته بغير إذنه، ولا جاءهم الإذن في ذلك من بعد وفاته، ونحن مأذون لنا في التصرف فيما ورثناه من بعده. فإن أبت عليك الامرأة فأنشدك الله بالقرابة التي قرب الله عز وجل منك والرحم الماسة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تهريق فيّ محجمة من دم، حتى نلقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فنختصم إليه، ونخبره بما كان من الناس إلينا بعده...»[1].

وفعلاً، كما توقع عليه السلام - فقد رفض الناس...

روى الواقدي[2]: «عن ابن عمر، قال: حضرت موت الحسن، فقلت للحسين: اتق الله، ولا تثر فتنة، ولا تسفك الدماء، ادفن

(١) ملخصاً من أمالي الطوسي عن بحار الأنوار ج٤٤ ص١٥١ رواية ٢٢؛ كذلك أنساب الأشراف للبلاذري ج٣ ص٦٠ وغيرهما.

(٢) سير أعلام النبلاء، باب ومن صغار الصحابة، الحسن بن علي بن أبي طالب، ص٢٧٤-٢٧٥.

أخاك إلى جنب أمه، فإنه قد عهد بذلك إليك». وروى أيضاً: «عن أبي حازم، قال لما حُضر (أي احتضر) الحسن، قال للحسين: «ادفني عند أبي»، يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم «إلا أن تخافوا الدماء، فادفني في مقابر المسلمين»، فلما قبض، تسلح الحسين، وجمع مواليه، فقال له أبو هريرة: أنشدك الله ووصية أخيك، فإن القوم لن يدعوك حتى يكون بينكم دماء، فدفنه بالبقيع، فقال أبو هريرة: أرأيتم لو جيء بابن موسى ليدفن مع أبيه، فمنع، أكانوا قد ظلموه؟! فقالوا: نعم! قال: فهذا ابن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قد جيء ليدفن مع أبيه». وروى أيضاً: «قال أبو هريرة مرة يوم دفن الحسن: قاتل الله مروان، قال: والله ما كنت لأدع ابن أبي تراب يدفن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد دفن عثمان بالبقيع». فقد رووا قول مروان هذا «يدفن أمير المؤمنين الشهيد القتيل (يعني عثمان) ظلماً بالبقيع بشرّ مكان (حيث رفض الصحابة أن يدفن في البقيع مع الصحابة، فدفنوه في مقبرة حُش كوكب اليهودية، والتي أدخلت فيما بعد في البقيع)، ويدفن الحسن مع رسول الله؟ لا يكون ذلك أبدًا حتى تكسر السيوف بيننا، وتنقصف الرماح، وينفد النبل»[1].

ولم يكتف بنو أمية بالثورة لمنع دفنه عليه السلام عند جده صلى الله عليه وآله وسلم، بل قاموا برمي جنازته عليه السلام بسهام بلغت سبعين سهماً[2].

وهكذا ابن عمر دائماً، يسير بالاتجاه الآخر. فبدلاً من أن

(١) أمالي الطوسي عن بحار الأنوار ج٤٤ ص١٥١ رواية ٢٢.
(٢) المناقب لابن شهرآشوب ج٤ ص٤٤.

يصطف مع الحسين عليه السلام ضد الممانعين لدفن أخيه عليه السلام عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، تجده يضغط عليه من أجل تحقيق البديل الثاني الأقل الذي في وصية الحسن لأخيه عليه السلام.

أما أبو هريرة، فقد قرّعهم على موقفهم المخزي اللئيم مع ذلك المسجّى الكريم عليه السلام.

على أن الإنصاف يقتضي القول: إن الضربة لم تأت من بني أمية وحسب، ولكن جاءت من غيرهم أيضاً.

فقد رووا عن ابن عباس، أنه بعد دفن الإمام عليه السلام عند جدته فاطمة بنت أسد رضي الله عنها في البقيع، وعادوا - قال: «وكنت أول من انصرف، فسمعت اللغط، وخفت أن يعجل الحسين على من قد أقبل، ورأيت شخصاً علمت الشر فيه، فأقبلت مبادراً، فإذا أنا بعائشة في أربعين راكباً على بغل مرحل تقدمهم، وتأمرهم بالقتال. فلما رأتني قالت: إلي إلي يا ابن عباس! لقد اجترأتم علي في الدنيا، تؤذونني مرة بعد أخرى! تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أهوى ولا أحب!

فقلت: وا سوأتاه يوم على بغل، ويوم على جمل! تريدين أن تطفئي نور الله، وتقاتلي أولياء الله، وتحولي بين رسول الله وبين حبيبه أن يدفن معه، ارجعي فقد كفى الله عز وجل المؤنة، ودفن الحسن عليه السلام إلى جنب أمه، فلم يزدد من الله تعالى إلا قرباً، وما ازددتم منه والله إلا بعداً، يا سوأتاه انصرفي، فقد رأيت ما سرّك. قال: فقطبت في وجهي، ونادت بأعلى صوتها: أَوَما نسيتم الجمل!

يا ابن عباس إنكم لذوو أحقاد! فقلت: أما والله ما نسيته أهل السماء، فكيف تنساه أهل الأرض، فانصرفت، وهي تقول:

فألقت عصاها واستقرت بها النوى

كما قُرّ عيناً بالإياب المسافرُ»[١].

يعضد ذلك رواية أبي الفرج «أن عائشة ركبت بغلة، وأتت إلى التشييع، تُحرّض بني أمية على عدم دفنه عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

إلا أن البلاذري روى ما فيه محاولة ربما لدرء أصل المنع عن السيدة، فقد روى أنها لما رأت أن القتال سينشب بين الحسين عليه السلام والهاشميين ومروان وبني أمية قالت: «البيت بيتي، ولا آذن لأحد أن يدفن فيه»[٣].

وعلى فرض صحة الرواية، فإن السيدة عائشة تصرفت ببيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكأنها الوارثة له، مع أنها كانت زوجة من تسع زوجات توفي صلى الله عليه وآله وسلم عنهن، فليس لها إلا تُسع الثمن، في حين أن الحسن عليه السلام له أكثر من ذلك بكثير وراثة عن أمه الزهراء عليها السلام عن أبيها صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما أنها فعلت ذلك لدرء الدماء فإن يوم الجمل ينبئك بما هو المخالف لهذا.

---

(١) أمالي الطوسي عن بحار الأنوار ج٤٤ ص١٥١ رواية ٢٢.
(٢) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ص٨٢.
(٣) أنساب الأشراف ج٣ ص٦١.

المهم هو أن أبا محمد عليه السلام قدم السلم في أمة جده محمد صلى الله عليه وآله وسلم على رغبته الخاصة، وذهب ملتحقاً بجده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في أعلى العلى عند الله تعالى؛ فأدى أحد أهم أدوار الإمامة الحقة في الإسلام.

١٠ـ الشهادة الدائمة على النواصب

قبل ١٠٠ سنة عجاف عاشها الحجاز تحت الظل الأسود للحلف السعودي-الوهابي المنحرف، وبفتوى من ابن بليهد وآخرين، قام الإخوان الوهابيون بهدم قباب مقبرة بقيع الغرقد، القباب المقامة على قبور الصحابة والتابعين وأمهات المؤمنين رضي الله عنهم، والقباب المقامة على قبور أئمة الهدى الحسن السبط وعلي السجاد ومحمد الباقر وجعفر الصادق عليهم السلام، ليستمروا في العيش أسرى عند هؤلاء الهمج.

إن هدم قبة الأئمة الأربعة وعلى رأسهم مولانا الحسن السبط عليه السلام بقي شاهداً على النصب لأهل البيت الطاهر، الذي اتخذ أشكالاً مختلفة عبر العصور، لينتهي إلى محاولة مسح آثارهم الحجازية جملة وتفصيلاً.

وسيبقى هذا شاهداً عليهم وما فعلوه مع أهل البيت عليهم السلام وأمهات المؤمنين والصحابة الكرام.

الفصل الثالث

هل كان الحسن عليه السلام مزواجاً مطلاقاً حقاً ؟

لولا أن من أهداف الكتاب، بل من أهم أهدافه، هو الإشارة إلى الظلم الذي لحق بإمامنا الحسن المجتبى عليه السلام لما كان يهمني التعليق على هذه الفرية التي أطلقها الأعداء في القديم، ونجحوا في تسويقها بحيث بقي لها صدى إلى اليوم.

وإلا، هل يعقل أن الإمام عليًا عليه السلام يقف على المنبر يحذر الناس من تزويج ابنه الحسن عليه السلام لأنه مطلاق؟! لماذا لم يقم بنصح ابنه سرّاً والضغط عليه من أجل أن يتوقف عن هذا المنهاج؟! وهل إنه عليه السلام نصحه، ولكن الحسن عليه السلام عاند، واستمر على طريقته؟!

وإذا صحت الرواية عن الصادق عليه السلام، وهي «أن الله عز وجل يبغض كل مطلاق»[1]، فمن المؤكد أن الحسن عليه السلام يعلمها، فكيف يوقع نفسه في بغض الله عز وجل؟! هذا ناهيك عن المشهور عند المسلمين كافة أن الطلاق يهتز له العرش.

أكثر من ذلك، افتروا - جازاهم الله بما قالوا - أن المجتبى عليه السلام كان يقف في الشارع، ويعرض نفسه للزواج! فهل كان مجهول

(١) الكافي للكليني ج٢ ص٩٦.

النسب أم ضعيف المكانة أم مستهتراً بنفسه وعشيرته كي يفعل ذلك؟! وإذا كان قد تزوج الكثيرات فما الداعي له لعرض نفسه بهذه الطريقة؟! واللطيف أنهم أضافوا أنه عرض نفسه للزواج في الشارع وإذا بمجموعة من النساء يجبنه أنهن كلهن طليقاته؟!

كما قيل: حدث العاقل بما لا يعقل، فإن صدقك فلا عقل له.

الاختلاف في عدد الزوجات

إنه لمن المضحك حقاً أن تشط بعض المصادر بعيداً في الكذب بحيث تذكر أرقاماً مهولة لعدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام. وإلا، كيف يمكن تصديق هذه الأرقام، ولا سيما مع الاختلاف الشديد فيما بينها: ٧٠ زوجة، أو ٩٠، أو ٢٠٠ أو ٢٥٠؟!

والغريب أن المصادر الأخرى تضع العدد ١٨ كحد أعلى[١].

الذين درسوا القضية أشكلوا على هذه الأعداد، ووجدوا أن هذه الأعداد بدأت من المؤرخ علي بن محمد المدائني (١٣٢-٢٢٥هـ) الذي كذب في نقل رأي النسابة محمد بن السائب الكلبي (٥٥-١٤٦هـ) أن للإمام عليه السلام ١١ زوجة، وأن ٥ منهنّ في زواجه عليه السلام منهن شك[٢].

---

(١) حياة الإمام الحسن بن علي عليه السلام للقرشي ج٢ ص٤٥٥.

(٢) كتاب حضرة محمد صلى الله عليه وآله وسلم للألماني ولفريد مادلونج ت٢٠٢٣م.

عدد الأولاد يكذب عدد الزوجات

في الفصل السابق ذكرت أن إمامنا الحسن عليه السلام كان التطبيق الأول لسورة الكوثر المباركة، إذ كان الوليد الأول للزهراء عليها السلام، فسيكون -قطعاً- ممن سيكثر الله تعالى من نسله المبارك؛ ولقد حصل هذا بالفعل، إذ ها هم الحسنيون بكثرة كاثرة في كل مكان من البلدان الإسلامية كافة، وأيضاً خارجها.

على أن هذا لم يحصل إلا من بضعة أفراد من أولاد الإمام عليه السلام: الحسن المثنى (حيث أن اسمه الحسن بن الحسن عليه السلام) وزيد والحسين وعمر، وبعد مدة انقطع نسله من الأخيرين، وبقي في الأولين: الحسن المثنى وزيد[١].

فكم كان عدد أولاده؟

العدد الكلي لأولاده كان ما بين ١٥ [٢] و١٧ [٣].

فكيف يمكن التصديق بتلك الأعداد المهولة من الزوجات مقارنة بهذا العدد العادي من الأولاد؟ كيف يمكن لعشرات الزوجات، بل المئات (!)، أن لا يلدن إلا ما هو دون العشرين من الأولاد؟

---

(١) أنساب الطالبيين للمجدي ص٢٠٢.
(٢) الإرشاد للشيخ المفيد ج٢ ص٢٠.
(٣) إعلام الورى للطبرسي ج١ ص٤١٦.

نعم، وجدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تلد له غير خديجة عليها السلام ومارية رضي الله عنها، ولكن هذا كان لما يبدو من الحكمة الإلهية بمنع وجود ولد ذكر له صلى الله عليه وآله وسلم وإخراج الذرية المباركة من بضعته الزهراء عليها السلام حصراً. أما في حالة غيره فإن الأمر مختلف.

ففي حالة الأئمة عليهم السلام، أكثرهم ذرية الإمام موسى الكاظم عليه السلام، إذ عدوا له ما يقرب من ٤٠ بين ذكر وأنثى، وقد تزوج العشرات فيما ذكروا. فحتى على هذا، فإن معدل ولد واحد لكل زوجة، على قلّته، هو أكثر بكثير من ١٥-١٧ ولداً من ٧٠-٢٥٠ زوجة ذكروها للإمام الحسن عليه السلام.

إن هذا العدد المنخفض يكذّب عدد الزوجات المبالغ فيه كثيراً.

فلماذا الفرية أصلاً؟

لم ينجُ أحد من الطاهرين المعصومين ممن يفترون عليه. فبدءاً من سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، افترى عليه المشركون أنه كان كذاباً وشاعراً ومجنوناً، ثم افترى عليه المسلمون أنه كان ينسى آيات من القرآن (المنزل عليه هو!) فيتذكرها عندما يسمع صحابياً يقرأها، وأنه فكر بالانتحار، ومراراً، وأنه فعل، وفعل. ثم افتروا على علي عليه السلام ما افتروا إلى درجة أن أهل الشام كانوا يعتقدون أنه لم يكن يصلي! والحسين عليه السلام قتل بالعدل؛ لأنه نازع الخليفة

الشرعي، والإمام الصادق عليه السلام لم يكن صادقاً، والإمام الكاظم عليه السلام كان شيعته يزعمون أنه لن يموت، وهكذا وصولاً إلى رمي الإمام العسكري عليه السلام بالعقم أو على أية حال لم يخلف ذرية، ما يعني الافتراء على إمامنا وأملنا المنتظر عليه السلام أنه ما كان إلا أسطورة من الأساطير.

فلا غرابة في أنهم افتروا على إمامنا المظلوم الحسن عليه السلام بأنواع المفتريات، ومنها هذه الفرية: مزواج مطلاق!

فإذا كانت الافتراءات على سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام هي من نسج الأعداء، وفي مقدمهم الحكام الظلمة، فالحسن عليه السلام حاله حالهم. ولهذا يذهب بعض الباحثين أن فرية كثرة الزواج والطلاق إنما كانت من وضع العباسيين نكاية بذريته عليه السلام من الحسنيين الذين ثاروا ضد المنصور (محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى، ثم أخوه إبراهيم، ثم يحيى)[1].

ويشير الباحثون إلى أن المصادر الشيعية التي ذكرت بعض هذه الأعداد عن زوجات الإمام عليه السلام قد تطرقت هذه الأخبار إليهم مما قاله المدائني وغيره (كالواقدي ١٣٠-٢٠٧هـ) من مؤرخي أهل السنة في ذلك العصر.

---

(١) حياة الإمام الحسن بن علي للقرشي ج٢ ص٤٥٣، وتاريخ الطبري ج٨ ص٩٣، ومروج الذهب المسعودي ج٣ ص٣٠٠.

فرية تشبه أخرى

هذه الفرية، التي مصدرها العصر العباسي، تشابه فرية أخرى انطلقت من نفس العصر العباسي، وهي فرية أن أبا طالب عليه السلام لم يؤمن بالإسلام، ومات مشركاً. فلو كان ذلك صحيحاً ما كان يمكن لمعاوية إلا أن يستغله في مراسلاته مع أمير المؤمنين عليه السلام التي كان الأمير عليه السلام يقارن فيها بين بني هاشم وبني أمية فيصف أسلاف معاوية بما كانوا عليه من الشرك؛ ولكننا لم نجد أثراً لكلمة واحدة من معاوية يطعن فيها بإسلام أبي طالب عليه السلام، ما يعني أنها كانت ستكون فرية مردودة تماماً؛ لأن الكثير من الصحابة والتابعين كانوا يعرفون حق المعرفة ما كان عليه أبو طالب عليه السلام من كمال الإيمان والسابقة في التصديق بابن أخيه (هذا ناهيك عن اعتقادنا الجازم أنه لم يشرك في حياته طرفة عين يوماً، بل كان كآبائه من قبل على دين التوحيد الإبراهيمي والحنيفية البيضاء)، فكانوا سيفضحون تلك الفرية في وقتها.

افتراء ظالم

الخلاصة أن ما يصفون به الحسن المجتبى عليه السلام أنه كان مزواجاً مطلاقاً هو افتراء ظالم لا تصمد تفاصيله أمام البحث...

ولإمامنا الحسن عليه السلام الأسوة الحسنة بجده سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وبأبيه المرتضى عليه السلام وأخيه الحسين عليه السلام بما افتروه عليهم - وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

الباب الثالث

صلح الإمام الحسن عليه السلام

الإمام الحسن عليه السلام والباغي معاوية بن أبي سفيان

أقدم هنا ملخصاً لما فعله معه، وقاله في المسجد وغيره رداً عليه... تاركاً رسالته المهمة إليه للفصل القادم، أوردها وأعلق على فقراتها، لما لها من الأهمية في إلقاء الضوء على شخصية المجتبى عليه السلام وعلى محاولته الأولى مع ذلك الباغي من أجل لملمة الأوضاع ومنع افتراق الأمة...

كما أن هذا الملخص يعطي الصورة الحقيقية لعنفوان المجتبى عليه السلام وكيفية تعامله العالي مع الباغي من جهة، وإصراره على تثبيت الحق السليب من جهة ثانية، وتثبيت حق الأمة المحفوظ من خلاله هو عليه السلام بحيث لا يتعامل حوله إلا بما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبلحاظ الظروف الراهنة من جهة ثالثة.

المعارك والمؤامرات

بعد بدء خلافته بنحو شهرين[1] بدأ تحرك الإمام الحسن عليه السلام، حيث وردت الأخبار بتحرك جيش الشام، فخرج بجيشه من الكوفة لملاقاته[2].

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ج٣ ص٢٩.

(٢) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ص٧١.

كان على رأس جيش الإمام عليه السلام ابن عم أبيه عبيد الله بن العباس. بدأت مؤامرات معاوية عندما مالت كفة القتال إلى صالح الإمام عليه السلام، بإرسال رسالة إلى عبيد الله أن الحسن عليه السلام يريد الصلح، ووعده بمليون درهم إن تخلى عن الإمام عليه السلام، ففعل، وذهب إلى معاوية، فتولى قيس بن سعد قيادة الجيش[١]، فحاول معاوية استمالة قيس كما فعل مع عبيد، الله ولكنه فشل[٢].

إنه لمن الواضح أن الإمام الحسن عليه السلام كان يعلم ما كان عليه الناس؛ لأنه كان يجبههم بكذب ادعائهم نصرته. ولكن عليه السلام كان يعمل بظاهر الحال، ويتعامل مع ادعائهم النصرة بالتهيئة للقتال وتجهيز الكتائب.

الرواية التالية تعطي صورة عن الحال:

«لمّا مات عليّ عليه السلام جاء الناس إلى الحسن عليه السلام، وقالوا: أنت خليفة أبيك ووصيّه، ونحن السامعون المطيعون لك، فمرنا بأمرك، فقال عليه السلام: «كذبتم، والله، ما وفيتم لمن كان خيراً منّي، فكيف تفون لي؟ وكيف أطمئنّ إليكم، ولا أثق بكم؟ إن كنتم صادقين فموعد ما بيني وبينكم معسكر المدائن، فوافوا إلى هناك». فركب عليه السلام، وركب معه من أراد الخروج، وتخلّف عنه كثير، فما وفوا بما قالوه وبما وعدوه، وغرّوه كما غرّوا أمير المؤمنين عليه السلام من قبله، فقام خطيباً، وقال عليه السلام: «غررتموني كما غررتم من كان من

(١) مقاتل الطالبيين ص٧٣.
(٢) أنساب الأشراف ج٣ ص٣٨.

قبلي، مع أيّ إمام تقاتلون بعدي، مع الكافر الظالم الذي لم يؤمن بالله ولا برسوله قطّ، ولا أظهر الإسلام هو وبني أميّة إلّا فرقاً من السيف؟ ولو لم يبق لبني أميّة إلّا عجوز درداء لبغت دين الله عوجاً، وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[١].

وبالفعل، تكمل الرواية أنه عليه السلام بعد أن بعث رجلاً من كندة في أربعة آلاف مقاتل، وأمره أن يعكسر في الأنبار، وعلم معاوية بذلك، بعث إلى الكندي رسلاً، وكتب: «إنّك إن أقبلت إليّ أولّك بعض كور الشام والجزيرة، غير منفس عليك، وأرسل إليه بخمسمائة ألف درهم»، فقبض الكندي عدوّ الله المال، وقلب على الحسن عليه السلام، وصار إلى معاوية في مائتي رجل من خاصّته وأهل بيته».

فبلغ ذلك الحسن عليه السلام، فقام خطيباً، وقال: ««هذا الكندي توجّه إلى معاوية، وغدر بي وبكم، وقد أخبرتكم مرّة بعد مرّة أنّه لا وفاء لكم، أنتم عبيد الدنيا؛ وأنا موجّه رجلاً آخر مكانه، وإنّي أعلم أنّه سيفعل بي وبكم ما فعل صاحبه، ولا يراقب الله فيّ ولا فيكم». فبعث إليه رجلاً من مراد في أربعة آلاف، وتقدّم إليه بمشهد من الناس، وتوكّد عليه، وأخبره أنّه سيغدر كما غدر الكندي، فحلف له بالأيمان التي لا تقوم لها الجبال أنّه لا يفعل». فخطب عليه السلام بهم قائلاً: "قد أخبرتكم مرّة بعد أخرى أنّكم لا تفون لله بعهود، وهذا صاحبكم المرادي، غدر بي وبكم، وصار إلى معاوية"»[٢].

---

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص٤٣.

(٢) بحار الأنوار ج٤٤ ص٤٤.

هنا حاول معاوية استغلال الذي حصل -وقد كان من تدبيره أصلاً-، فكتب إلى الحسن عليه السلام: «يا بن عمّ، لا تقطع الرحم الذي بينك وبيني، فإنّ الناس قد غدروا بك وبأبيك من قبلك».

ولكن الناس عادوا للوعد، وأنهم سيفون للإمام عليه السلام، فقال لهم: «لأعودنّ هذه المرّة فيما بيني وبينكم، وإنّي لأعلم أنّكم غادرون ما بيني وبينكم، إنّ معسكري بالنخيلة، فوافوني هناك، والله، لا تفون لي بعهدي، ولتنقضنّ الميثاق بيني وبينكم».

هذه المرة، عسكر في الطريق إلى النخيلة عشرة أيام فلم يأت سوى أربعة آلاف، فعاد إلى الكوفة، وخطب فيهم: «يا عجباً من قوم لا حياء لهم ولا دين! ولو سلّمت له الأمر - فأيم الله- لا ترون فرجاً أبداً مع بني أميّة؛ والله، ليسومونكم سوء العذاب حتّى تتمنّوا أنّ عليكم جيشاً جيشاً، ولو وجدت أعواناً ما سلّمت له الأمر؛ لأنّه محرّم على بني أميّة، فأفّ وترحاً يا عبيد الدنيا!»[1].

ثم اشتد اهتزاز جيش الإمام عليه السلام بما اختلف حوله المؤرخون. فقد روى البعض أن الإمام عليه السلام، في منطقة ساباط حيث يعسكرون، خطب في أصحابه، فقال فيما قال: «ألا وإنّ ما تكرهون في الجماعة خير لكم ممّا تحبّون في الفرقة، ألا وإنّي ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردّوا عليّ رأيي، غفر الله لي ولكم، وأرشدني وإيّاكم لما فيه المحبّة والرضا»، ففهموا

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص٤٥.

منه -خطأً- أنه يريد الصلح، فهجموا على خيمته ونهبوها[١]، والبعض الآخر روى أن معاوية أرسل وفداً إلى الإمام عليه السلام ولما خرج الوفد صاروا يتحدثون بصوت عال أن الإمام عليه السلام حقن الله به الدماء، ففهم أصحاب الإمام عليه السلام أنه قرر الصلح، فهجموا على خيمته ونهبوها[٢]. ونتيجة لذلك، قام أحد الخوارج بالهجوم على الإمام عليه السلام وطعنه في فخذه بحيث سقط الإمام من على فرسه[٣].

وروي أن البعض، بل الأكثر من أهل الكوفة، كتب إلى معاوية بالولاء - رووا: «وكتب أكثر أهل الكوفة إلى معاوية: فإنّا معك، وإن شئت أخذنا الحسن عليه السلام وبعثناه إليك، ثمّ أغاروا على فسطاطه، وضربوه بحربة، وأخذ مجروحاً»[٤].

هؤلاء هم الذين قصدهم الإمام عليه السلام عندما كتب إلى معاوية: «إنّما هذا الأمر لي والخلافة لي ولأهل بيتي، وإنّها لمحرّمة عليك وعلى أهل بيتك، سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والله، لو وجدت صابرين عارفين بحقّي غير منكرين ما سلّمت لك ولا أعطيتك ما تريد»[٥].

وربما لولا نصرة بعض شيعته فربما كانوا قد قتلوا الإمام عليه السلام[٦].

---

(١) الإرشاد للمفيد ج٢ ص١١.
(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢١٤.
(٣) الأخبار الطوال للدينوري ص٢١٧، والإرشاد للمفيد ج٢ ص١٢.
(٤) بحار الأنوار ج٤٤ ص٤٥.
(٥) بحار الأنوار ج٤٤ ص٤٦.
(٦) بحار الأنوار ج٤٤ ص٤٧.

مكاتبات وتحذيرات قبل الصلح

بعد انكشاف اتصالات معاوية ببعض رؤوسهم وما كان يمنيهم مقابل انقلابهم ضد الإمام الحسن عليه السلام قام الإمام عليه السلام بتنبيههم إلى حقيقة وعود الباغي: «ويلكم، والله، إنّ معاوية لا يفي لأحد منكم بما ضمنه في قتلي، وإنّي أظنّ أنّي إن وضعت يدي في يده، فأسالمه لم يتركني أدين لدين جدّي صلى الله عليه وآله وسلم، وإنّي أقدر أن أعبد الله عزّ وجلّ وحدي، ولكنّي كأنّي أنظر إلى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم، يستسقونهم ويستطعمونهم، بما جعله الله لهم، فلا يسقون، ولا يطعمون، فبعداً وسحقاً لما كسبته أيديهم «وَسَيَعلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ»» فصاروا يعتذرون!

ثم إنه عليه السلام كتب إلى معاوية يقول: «أمّا بعد، فإنّ خطبي انتهى إلى اليأس من حقّ أحييه وباطل أميته، وخطبك خطب من انتهى إلى مراده، وإنّني أعتزل هذا الأمر وأخلّيه لك، وإن كان تخليتي إيّاه شرّاً لك في معادك، ولي شروط أشترطها، لا تبهظنّك إن وفيت لي بها بعهد، ولا تخفّ إن غدرت - وكتب الشروط في كتاب آخر فيه يمنّيه بالوفاء، وترك الغدر - وستندم يا معاوية، كما ندم غيرك»[1].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٤٧.

بعد عقد الصلح

سأعرض، في الفصلين القادمين، ملخصاً لعقد الصلح، ثم لعوائد الصلح، ولكن هنا أشير إلى موقف الإمام الحسن عليه السلام من معاوية كمؤشر على نظرته عليه السلام إليه كما في تعامله بذات العنفوان حتى بعد إبرام الصلح.

فقد اجتمع بعض الخوارج، والإمام عليه السلام لما يزل في الكوفة قبل الارتحال عنها إلى المدينة، ووصلت أخبار عيون معاوية إليه، فأرسل إلى الإمام عليه السلام يطلب منه قتالهم، فرفض عليه السلام وأنه لو أراد قتال أحد لقاتل معاوية[1].

ثم حصل هذا بعد ذلك مع جماعة أخرى من الخوارج، وطلب معاوية من الإمام عليه السلام مقاتلتهم، ورفض عليه السلام أيضاً[2].

على المنبر

رووا كلمات رائعة للإمام الحسن عليه السلام في تنبيه الناس إلى الفارق الهائل بينه - في شخصيته وموقعيته - والباغي الذي استطاع أن يخدع البعض منهم، ويهز البعض الآخر... كلمات تنبئك عن عنفوان إمامنا المجتبى عليه السلام الذي يريد المغرضون أن يخدعوا الناس بعكسه...

---

(١) الكامل لابن الأثير ج٣ ص٤٠٩.
(٢) كشف الغمة للأربلي ج١ ص٥٣٦.

فبعد الصلح طلب معاوية من الإمام عليه السلام أن «اذكر فضلنا»! فقام الإمام عليه السلام خطيباً، فقال، بعد حمد الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن المصطفى بالرسالة، أنا ابن من صلّت عليه الملائكة، أنا ابن من شرفت به الأمّة، أنا ابن من كان جبرئيل السفير من الله إليه، أنا ابن من بعث رحمة للعالمين، صلّى الله عليه وآله أجمعين..».

ثم، بعد مداخلة سخيفة لمعاوية لحرف الأنظار، أكمل عليه السلام: «أنا ابن المستجاب الدعوة، أنا ابن من كان من ربّه كقاب قوسين أو أدنى، أنا ابن الشفيع المطاع، أنا ابن مكّة ومنى، أنا ابن من خضعت له قريش رغماً، أنا ابن من سعد تابعه، وشقي خاذله، أنا ابن من جعلت الأرض له طهوراً ومسجداً، أنا ابن من كانت أخبار السماء إليه تترى، أنا ابن من أذهب الله عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً».

هذا الفخر الرائع بجده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم جعل معاوية يتضايق بحيث ذهب إلى أصل القضية، فقال: «أظنّ نفسك يا حسن تنازعك إلى الخلافة!»

فأجابه عليه السلام: «ويلك يا معاوية، إنّما الخليفة من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعمل بطاعة الله، ولعمري، إنّا لأعلام الهدى ومنار التقى، ولكنّك يا معاوية، ممّن أباد السنن، وأحيى البدع،

واتّخذ عباد الله خولاً، ودين الله لعباً، فكأن قد أخمل ما أنت فيه، فعشت يسيراً، وبقيت عليك تبعاته»[١].

معاوية يكشف حقيقته

بعد الصلح، دخل الباغي معاوية إلى منطقة النخيلة، وخطب في الناس، فقال: «إنّي والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، إنّكم لتفعلون ذلك، ولكنّي قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك، وأنتم له كارهون، ألا وإنّي كنت منّيت الحسن، وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدميّ لا أفي بشيء منها له!»[٢].

بعدها دخل الكوفة، وصعد المنبر، وكان الحسنان عليهما السلام حاضرين، فخطب، وذكر علياً عليه السلام والحسن عليه السلام، ونال منهما، فأراد الحسين عليه السلام أن يقوم له، فمنعه الحسن عليه السلام، ثم قام، وقال: «أيّها الذاكر عليّاً عليه السلام؛ أنا الحسن وأبي عليّ، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمّي فاطمة وأمّك هند، وجدّي رسول الله وجدّك حرب، وجدّتي خديجة وجدّتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً وألأمنا حسباً وشرّنا قدماً وأقدمنا كفراً ونفاقاً»، قال الراوي: «فقالت طوائف من أهل المسجد: آمين آمين»[٣].

---

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص٤١-٤٢.
(٢) بحار الأنوار ج٤٤ ص٤٨.
(٣) بحار الأنوار ج٤٤ ص٤٩.

ورووا أيضاً أن معاوية قام على المنبر، فقال: «إنّ الحسن بن علي رآني للخلافة أهلاً، ولم ير نفسه لها أهلاً!».

فلمّا انتهى قام الحسن عليه السلام، فحمد الله، ثم طفق يذكر الناس ببعض فضائلهم عليهم السلام بادئاً بالمباهلة: «فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأنفس بأبي، ومن الأبناء بي وبأخي، ومن النساء بأمّي، وكنّا أهله ونحن آله، وهو منّا ونحن منه؛ ولمّا نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كساء لأمّ سلمة رضي الله عنها خيبري، ثمّ قال: اللهمّ، هؤلاء أهل بيتي وعترتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً، فلم يكن أحد في الكساء غيري وأخي وأبي وأمّي؛ ولم يكن أحد تصيبه جنابة في المسجد، ويولد فيه إلّا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأبي، تكرمة من الله لنا وتفضيلاً منه لنا؛ وقد رأيتم مكان منزلنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمر بسدّ الأبواب، فسدّها، وترك بابنا، فقيل له في ذلك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أما إنّي لم أسدّها، وأفتح بابه، ولكنّ الله عزّ وجلّ أمرني أن أسدّها وأفتح بابه»؛ وإنّ معاوية زعم لكم أنّي رأيته للخلافة أهلاً، ولم أر نفسي لها أهلاً، فكذب معاوية! نحن أولى بالناس في كتاب الله عزّ وجلّ وعلى لسان نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، ولم نزل أهل البيت مظلومين منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فالله بيننا وبين من ظلمنا حقّنا، وتوثّب على رقابنا، وحمل الناس علينا، ومنعنا سهمنا من الفيء، ومنع أمّنا وما جعل لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص٦٢.

الفصل الثاني

قراءة في رسالة الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية

بعد رحيل الإمام علي عليه السلام ومبايعة الحسن عليه السلام خلفاً له، بقيت الأراضي التي تحت سلطة الغصب بيد الباغي معاوية بن أبي سفيان، فقام الإمام الحسن عليه السلام بواجبه الشرعي في محاولة تصحيح الأوضاع سلماً قبل اللجوء إلى الحرب. فكتب بضع رسائل، مع علمه عليه السلام -فيما أحسب- أن ذلك الباغي الغاوي لا ينفع معه الكلام، ولكنه كان يقوم بالواجب الشرعي مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾[1].

أي، أولاً إبراء الذمة أمام الله تعالى «معذرة إلى ربكم»، وثانياً عسى أن يرجع عن غيه «لعلهم يتقون».

فإنه عليه السلام من تلك الأمة المسلمة الطاهرة المصطفاة الذين لا يحتّمون شيئاً على الله، مهما علم من الأمر، ومهما كان ذكاؤه الحاد وفراسته النافذة، فإنه عليه السلام يبقي الأمر مفتوحاً لتقدير الله وإرادته.

من أهم الرسائل هي التي أتناولها في هذا الفصل، أولاً بنصها، ثم بالتعليق عليها.

---

(١) الأعراف: ١٦٤.

نص الرسالة

«من الحسن بن عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، سلام عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو،

أمّا بعد فإنّ الله جلّ جلاله بعث محمداً رحمةً للعالمين، ومنّةً للمؤمنين، وكافّةً للناس أجمعين، (لينذر من كان حيّاً، ويحقّ القول على الكافرين)، فبلّغ رسالات الله، وقام بأمر الله حتى توفّاه الله غير مقصّر ولا وان، وبعد أن أظهر الله به الحقّ، ومحق به الشرك، وخصّ به قريشاً خاصة، فقال له: (وإنّه لذكرٌ لك ولقومك).

فلمّا توفي تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته وأُسرته وأولياؤه، ولا يحلّ لكم أن تنازعونا سلطان محمد وحقّه، فرأت العرب أنّ القول ما قالت قريش، وأنّ الحجّة في ذلك لهم على من نازعهم أمر محمد، فأنعمت لهم، وسلّمت اليهم.

ثم حاججنا قريشاً بمثل ما حاججت به العرب، فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها، إنّهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالانتصاف والاحتجاج، فلمّا صرنا أهل بيت محمد وأولياءه إلى محاجّتهم، وطلب النَّصَف منهم؛ باعدونا، واستولوا بالإجماع على ظُلمِنا ومَراغمتنا والعَنَت منهم لنا، فالموعد الله، وهو الولي النصير. ولقد كنّا تعجبنا لتوثّب المتوثّبين علينا في حقّنا وسلطان نبيّنا، وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، وأمسكنا

عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب في ذلك مغمزاً يثلمون به، أو يكون لهم بذلك سببٌ إلى ما أرادوا من إفساده.

فاليوم فليتعجّب المتعجّب من توثّبك يا معاوية على أمر لست من أهله، لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكتابه، والله حسيبك، فستردُّ، فتعلم لمن عقبى الدار، وبالله لتلقينَّ عن قليل ربّك، ثمّ ليجزينّك بما قدّمت يداك، وما الله بظلام للعبيد. إنّ عليّاً لمّا مضى لسبيله - رحمة الله عليه - يوم قبض ويوم منّ الله عليه بالإسلام ويوم يبعث حيّاً ولاني المسلمون الأمر بعده، فأسأل الله ألا يؤتينا في الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به في الآخرة ممّا عنده من كرامة.

وإنّما حملني على الكتاب إليك الإعذار فيما بيني وبين الله عزّ وجلّ في أمرك، ولك في ذلك إن فعلته الحظّ الجسيم، والصلاح للمسلمين،

فدعِ التمادي في الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس مِن بيعتي، فإنّك تعلم أنّي أحقّ بهذا الأمر منك عند الله وعند كلّ أوّاب حفيظ، ومن له قلب منيب.

واتّق الله، ودعِ البغي، واحقن دماء المسلمين، فوالله ما لك خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر ممّا أنت لاقيه به، وادخل

في السلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله ومَن هو أحقّ به منك ليطفئ الله النائرة بذلك، ويجمع الكلمة، ويصلح ذات البين.

وإن أنت أبيت إلا التمادي في غيّك سِرتُ إليك بالمسلمين، فحاكمتك، حتى يحكم الله بيننا، وهو خير الحاكمين»[1].

والآن، أعلق على هذه الرسالة الجامعة الهامة، التي وحدها يمكنها أن تلفت النظر إلى موقعية ذلك العبد الصالح عليه السلام في موقفه ومنطقه وحدبه على الإسلام والمسلمين.

١- ابتدأ الإمام الحسن عليه السلام بتسمية نفسه بإمرة المؤمنين، تثبيتاً لموقعيته بعد البيعة (فقد جمع الاثنتين: الاختيار الإلهي + البيعة الاختيارية من الناس).

ثم لا يتكلم قبل التحميد والتهليل، فإن الله - عنده عليه السلام - هو المحيط بهذه القضية كلها.

٢- ثم يذكر البعثة المحمدية الشاملة للناس، وكيف أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلغ، ولم يقصر.

ويذكره بفضل الله تعالى على قوم معاوية - قريش - بما كان من البعثة النبوية نفسها، وكيف أنها أبقت ذكرهم خالداً أبد الدهر.

٣- يذكر عليه السلام النزاع بين قريش والأنصار (بصفة العرب)، وكيف

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج٤٤ ص٣٩.

أن قريشًا انتصرت من خلال ما قدمته من حجّة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو منهم - قبيلة وأسرة وأولياء - وبالتالي فإن الحق لهم دون الناس (وهذا هو الإطار العشائري الجاهلي الذي لم تستطع قريش التخلص منه، وفازت فيه على الأنصار الذين لم يستطيعوا دفعه).

٤- يقول الإمام عليه السلام: قمنا نحن بمتابعة قريش على طريقتها، أليست حاججت العرب بالقربة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ ولكن قريشاً رفضت ذلك، فرغم أن الآخرين قبلوا حجة قريش، ولكن عندما قبلوها (ليسوا كلهم طبعاً) فهم لم يعاندوا، وعندما جاء الدور علينا، واحتججنا على قريش بنفس الحجة، حيث أننا - أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم - الأقرب داخل قريش كما أن قريشاً عامة هي الأقرب داخل المسلمين، لم ينصفونا، ورفضوا ذلك.

٥- لم يكتفوا بهذا، ولكنهم "أجمعوا على الظلم والإرغام" لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فكأن قريشًا المسلمة اتفقت مع قريش الكافرة التي أسلمت يوم الفتح على قضية مشتركة: ظلم آل محمد عليهم السلام وإخضاعهم!

٦- والإمام عليه السلام لم يعف عنهم، لقوله «فالموعد الله، وهو الولي النصير»، فهو يتوعد قريشاً بحساب الله في الآخرة.

٧- يعلن الإمام عليه السلام أن أهل البيت عليهم السلام كانوا يعجبون كيف قفز البعض على حقهم عليهم السلام - أبو بكر وعمر وعثمان ومن أعانهم، واصطف معهم - مع أن هؤلاء كانوا أصحاب فضيلة وسابقة؛ وفي هذا أمران:

الأول: تأكيد ما نقوله أن خلافة الثلاثة قبل علي عليه السلام كانت غير شرعية بنظر أهل البيت عليهم السلام على الأقل.

الثاني: لقطة جميلة من الإمام عليه السلام، فهو يعلمنا أن لا يأخذنا العداء لأحد ولا الشعور بالمظلومية من أحد أن لا نذكرهم كما هم، فهو يذكر سابقة أبي بكر وعمر وعثمان وحزبهم في الإسلام حيث سبقوا زمنياً على من دخل الإسلام بعد الهجرة ثم بعد فتح مكة، ويذكر ما لهم من فضيلة، وهذا سواء على مستوى الإنفاق الذي روي من عثمان بن عفان أو غير ذلك، حتى وإن كانوا قد خطفوا حقهم عليهم السلام.

٨- ثم يعلن أنهم عليهم السلام إنما توقفوا عن المنازعة ليس لأنهم أعطوا الشرعية للخلفاء الثلاثة، ولكن خوفاً على الدين من المنافقين والكتل التي تتحين بالدين الفرص، فربما كانوا سيجدون في منازعة أهل البيت عليهم السلام للسلطة التي حصلت فرصة للدخول والانقضاض على الدين.

٩- فإذا كان ذلك هو الحال مع ذوي السابقة من الصحابة الكبار، فكيف سيكون مع شخص مثل معاوية: لا علاقة له بالدين في سابقة، ولا في فضل، ولا عمل جيد، بل هو ابن أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن العظيم، ويا له من بيت عداوة لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

١٠- هنا نجد جملة اعتراضية من الإمام عليه السلام، قبل أن يدعوه

إلى الطاعة، يحذره من عقاب الله تعالى على الجرائم التي اقترفها؛ فكأن الإمام عليه السلام يقول له: هذا هو منشؤك، وهذا هو عملك، وهذه هي عاقبتك في الآخرة نتيجة موقفك من الإسلام، فكيف تفكر مجرد التفكير في أن تكون لك الخلافة على المسلمين؟!

١١- ثم انظر كيف يذكر عليه السلام أباه علياً عليه السلام، فيترحم عليه في أيام ثلاثة:

يوم موته، ويوم دخل الإسلام، يذكر ذلك بالفضل الإلهي عليه عليه السلام، ويوم بعثه.

ويذكر تأكيداً أنه عليه السلام قد حصل على البيعة من المسلمين، فهذا تأكيد ثان على البيعة من بعد الأول عندما بدأ بصفة «أمير المؤمنين».

١٢- ويستدرك - من أجل السامعين - مباشرة أن هذه البيعة وهذا الاستخلاف، الذي يفتح الدنيا أمامه، ليس شأنه، بل يدعو الله تعالى أن يحيد عنه أي شيء من الدنيا الذي يمكن أن ينقص من الكرامة والنعم في الآخرة، فإن الإمام عليه السلام عينه على الآخرة، فلا خلافة جاءت ولا خلافة ذهبت تزلزله شعرة.

١٣- يقول له: على الرغم من أنني قد صرت الخليفة المبايع، ما يعني أن من حقي إجبارك على الطاعة بالقوة، ولكني أردت من هذه الرسالة أن أقوم بواجبي الشرعي بإبراء ذمتي أمام الله فيك (كيلا تقول: إنك تريد الطاعة، ولكني بدأت بالحرب دون دعوة إلى السلام).

١٤- إعذاره عليه السلام لا بد وأن يكون تاماً، لهذا فهو يذكر له - مشجعاً - أن استجابة معاوية لدعوة الطاعة فيها حظ وخير له، وفيها صلاح للمسلمين؛ فإن طاعة ولي الأمر الشرعي عليه السلام بعد البيعة وحقن دماء المسلمين من أعظم الأعمال.

١٥- فلا تستمر في الباطل، بل غيّر من اتجاهك، وادخل في الطاعة... لماذا؟

لأن الحسن بن علي عليه السلام أحق بالخلافة منك، وذلك بما تعرفه أنت، وبما يعرفه من وصفهم عليهم السلام بصفة «أواب» أي عائد إلى الله في طاعة الله فيما أمر، ومنه الأمر في ولاية أهل البيت عليهم السلام وطاعتهم، وصفة «حفيظ» من حفظ هذا الأمر والنص النبوي بالوصية على ولايتهم عليهم السلام، وصفة «من له قلب منيب» عائد إلى الله في متابعة الحق، حتى ولو ابتعد عنه شيئاً أو برهة من الزمن، فإن العائد إلى الله قد ابتعد عن الباطل الذي كان فيه.

(وهذه دعوة باقية أبد الدهر إلى جميع من كتموا عنهم حقيقة أهل هذا البيت عليهم السلام أن يعودوا إليهم، فإن فيهم الحق، ومعهم الراحة والفوز العظيم).

١٦- يدعوه إلى التقوى وترك البغي عليه عليه السلام وحقن دماء المسلمين، وإلا فأي خير لهذا الباغي في إهراق مزيد من الدماء على ما أهرقه من قبل طلباً للملك؛ دخوله السلم وطاعة الحسن عليه السلام وترك المنازعة مع أصحاب الحق يؤدي إلى إطفاء الفتنة

والخلاف القائم، بل يجمع الكلمة، ويصلح ما بين العدوين.

١٧ - أخيراً، بعد أن عرض عليه أن يؤدي يمين الطاعة، ويترك الخلاف، وأطمعه بما هو خير له من عدم ركوب المزيد من الظلم وسفك المزيد من الدماء، يهدده أنه عليه السلام لا يزال بيده الخيار الآخر: خيار الحرب. يهدده أنه سيسير إليه بجيش المسلمين، للنزال، ودع الله تعالى هو الذي يحكم بيننا في هذا الخيار.

والملاحظة هنا مهمة في وصف الإمام عليه السلام لجيشه بصفة «المسلمين»، فإن هذا الوصف يعني بشكل غير مباشر أن الجهة الأخرى إن أصرت على الحرب فإنها ستكون محاربة للمسلمين وقائدهم الشرعي، فتخرج عن صفة الإسلام الحقيقي. ولم يقل الإمام عليه السلام سآتيك بجيش العراق، وأحاربك أنت وجيش الشام كما صار المصطلح عند المؤرخين في هذه القضية، ربما كي يموّعوا القضية -كعادتهم- فلا تعود بين حق ظاهر واضح وباطل ظاهر واضح، ولكن «سرتُ إليك بالمسلمين».

فسلام على مولانا الحسن المجتبى عليه السلام في سائر أحواله التي نحاول تصورها، وهو يخوض في تلك الأوضاع المتقلبة، ضد البغاة والظالمين الذين لم يتوقفوا يوماً عن التآمر والتخطيط والتنفيذ ضد ذلك البيت الطاهر، ويحاول لمّ الشعث وإصلاح ذات البين وإطفاء الفتنة، فهو من ذلك الرسول الكريم الذي ما أرسله تعالى «إلا رحمة للعالمين».

الفصل الثالث

صلح الإمام الحسن عليه السلام – ملّخص

ذكرت في آخر الفصل السابق تأكيد الإمام الحسن عليه السلام أنه هو إمام الحق وهو خليفة الوقت بحق من خلال التذكير ببعض فضائل أهل البيت عليهم السلام التي ترفعهم فوق الآخرين أجمعين، وبالتالي فلم يكن أحد أولى بقيادة المجتمع، في وقته، منه عليه السلام، فهم «أولى بالناس في كتاب الله عزّ وجلّ وعلى لسان نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم»[1]. ولكن الذي حصل من المجتمع، ومن جيشه، بل ومن بعض رؤساء جيشه، نتيجة الاهتزاز مثل نتيجة الاستجابة لأعطيات الباغي معاوية ومواعيده لهم، هو الذي جعل الإمام عليه السلام يقتنع أن الأمر صار منتهياً. كان هذا بعد أن وعدوه مراراً أنهم سيقومون معه للحرب، ولكن يسقطون مرة إثر مرة، إلى أن وصل الأمر بهم إلى الهجوم عليه وطعنه. عندها، لم يجد الإمام عليه السلام بداً من الاستجابة لعرض معاوية الصلح.

تظافر الأسباب

روي أن أحد الأصحاب واسمه زيد بن وهب الجهني قال له الإمام عليه السلام (أثناء علاجه في المدائن من الطعن): «والله إن حاربت معاوية لأخذ أهل العراق بعنقي، وسلموني إليه! أقسم

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص٦٢.

بالله إن الصلح بالعزة مع معاوية خير من أن أصبح أسيراً بيده أو أقتل أو يمُنّ علي معاوية، ويتجاوز عن قتلي، فيبقى هذا العار على بني هاشم إلى الأبد»[١].

هذا وكان معاوية لم يزل يمارس شتى أنواع المؤامرات والألاعيب، كما في نشره أن الحسن عليه السلام يريد الصلح[٢]، أو أن «قيس بن سعد بن عبادة»، وهو من خلص شيعته وشيعة أبيه عليه السلام، ذهب إلى معاوية[٣]. كما أنه أثبت للحسن عليه السلام ما عليه الناس عندما أطلعه على الرسائل التي كان بعض رؤوس الكوفة يرسلونها إليه. هنا، قرر الإمام عليه السلام الدخول في الصلح الذي يعني نزوله عن الخلافة إلى معاوية.

معاوية يعرض الصلح

رووا أن معاوية أرسل يعرض الصلح، ببنود وشروط معينة[٤]، كما رووا أن معاوية لم يكتب أي شيء بل أرسل ورقة بيضاء مختومة، وطلب من الإمام عليه السلام أن يكتب ما يحب من بنود وشروط[٥].

ولا شك في أن الإمام عليه السلام يعرف معاوية جيداً في كذبه

(١) الاحتجاج للطبرسي ج٢ ص٢٩٠.
(٢) مما ذكرته في الفصل السابق.
(٣) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢١٤.
(٤) الإرشاد للمفيد ج٢ ص١٣.
(٥) أنساب الأشراف للبلاذري ج٣ ص٤١.

وغدره وألاعيبه، ولكن الحال وصل إلى ما أشرت إليه بما لم يدع مجالاً للإمام عليه السلام غير القبول. مع ذلك عرض الشروط على الناس من أجل معرفة موقفهم: هل يوافقون أو يقاتلون. فقام في الناس خطيباً، وطلب موقفهم، مخيراً إياهم بين القبول بالصلح أو معاودة القتال، فصاروا يعلنون بكل صراحة «البقية البقية» - أي نريد الإبقاء على أنفسنا، وبمعنى آخر: نريد الصلح[1].

تاريخ توقيع معاهدة الصلح

جرى الصلح سنة ٤١هـ بعد نحو ستة إلى تسعة أشهر من خلافة الإمام الحسن عليه السلام، على خلاف الروايات بين ٢٥ من شهر ربيع الأول أو ربيع الثاني أو جمادى الآخرة[2].

بنود معاهدة الصلح

هذه البنود لم يجدها المؤرخون مكتوبة في الوثيقة بتمامها، ولكن متناثرة هنا وهناك، ولهذا كان لزاماً على الباحث التدقيق فيها، لا سيما عندما يكون فيها بعض التعارض.

---

(١) تاريخ دمشق بابن عساكر ج١٣ ص٢٦٨.

(٢) تاريخ الذهبي ج٤ ص٥.

صورة المعاهدة التي وقعها الفريقان

المادة الأولى: تسليم الأمر إلى معاوية، على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وسيرة الخلفاء الصالحين؛

المادة الثانية: أن يكون الأمر للحسن من بعده، فإن حدث به حدث فلأخيه الحسين، وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد؛

المادة الثالثة: أن يترك سبَّ أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة، وأن لا يذكر علياً إلا بخير؛

المادة الرابعة: استثناء ما في بيت مال الكوفة، وتحديد مبالغ معينة إلى أهل البيت عليهم السلام وذوي قتلى صفين من جيش علي عليه السلام؛

المادة الخامسة: «على أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمّنَ الأسود والأحمر، وأن يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم، وأن لا يتبع أحداً بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق بإِحنة». «وعلى أمان أصحاب عليّ حيث كانوا، وأن لا ينال أحداً من شيعة علي بمكروه، وأن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن لا يتعقب عليهم شيئاً، ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق حقه، وعلى ما أصاب أصحاب عليّ حيث كانوا..». «وعلى أن لا يبغي للحسن بن علي، ولا لأخيه الحسين، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله، غائلةً،

سرّاً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم، في أفق من الآفاق»[١].

ومما يجدر ذكره العهد الغليظ على معاوية في المصدر في آخر الفقرة الخامسة: «وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه، وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء، وبما أعطى الله من نفسه»[٢].

وأضافوا إلى ذلك ما رواه الصدوق أن «الإمام الحسن عليه السلام عندما سلّم الخلافة إلى معاوية اشترط عليه أن لا يُسميه بأمير المؤمنين، ولا يقيم عنده شهادة وعلى أن لا يتعقب على شيعة علي شيئاً وعلى أن يفرّق في أولاد من قتل مع أبيه يوم الجمل وأولاد من قتل مع أبيه بصفين ألف ألف درهم»[٣].

هذا، مع اختلاف في فقرة مهمة جداً، المادة الثانية، وهي ما الذي يفعلونه بعد وفاة معاوية؟:

هناك شكلان

الأول: الذي ذكرته أعلاه، يعود الأمر إلى الحسن عليه السلام، فإن حدث فيه شيء (أي الموت) فإنه للحسين عليه السلام.

الثاني: يكون الأمر شورى بين المسلمين.

---

(١) صلح الحسن للشيخ راضي آل ياسين ص٢٥٨-٢٦١.
(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج٤٤ ص٦٥.
(٣) علل الشرائع ج١ ص٢١٢.

حيث ذكروا النص «وعلى أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده، وأن يكون الأمر شورى بين المسلمين»[١].

فإذا ناقشنا هذا، فإن «الشورى» لم تكن يوماً مما ذكره أهل البيت عليهم السلام أنه المطلوب شرعاً مع وجودهم عليهم السلام، فحتى دخول علي عليه السلام في شورى الستة بعد مقتل عمر أوضحه هو لعمه العباس أنه كان من أجل أن يسقط كلام عمر أن الخلافة لا تجتمع مع النبوة في بني هاشم، وإلا فقد علم أنها «ستخرج منّا» بنص إخباره للعباس.

ولم نزل نسأل أن يدلونا على الشورى بتعليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذ من المستحيل أن تكون هي طريقة اختيار الحاكم والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يسكت عنها سكوتاً تاماً مطلقاً.

ثم كيف يمكن أن يتنازل الحسن عليه السلام لمعاوية من أجل المصالح العليا للأمة ثم يقبل بالتنازل من بعد موت معاوية، ويدخل الأمة في النفق الضبابي للشورى؟!

فلا شك في أن الشكل الثاني هو الصحيح، وعندها يتأكد أمران:

الأول: أن الحسن عليه السلام هو الخليفة الشرعي الذي تعود إليه الخلافة بموت معاوية الذي إنما صار خليفة بعد تنازل الخليفة الشرعي وليس لأي سبب آخر.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج٤٤ ص٦٥.

الثاني: أن الحسين عليه السلام هو الوريث الشرعي للحسن عليه السلام، ما يؤكد إمامة أهل البيت عليهم السلام أنها تكون من بعد الحسنين عليهما السلام في ذرية الحسين عليه السلام.

عدم وفاء معاوية بالشروط

ذكرت في فصل سابق شيئاً من عدم وفاء معاوية بالشروط، بل مجاهرته علناً بذلك، في قوله مخاطباً أهل الكوفة: «إنّي والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، إنّكم لتفعلون ذلك، ولكنّي قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك، وأنتم له كارهون، ألا وإنّي كنت منّيت الحسن، وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدميّ لا أفي بشيء منها له!»[١].

بل زاد على ذلك ملاحقة شيعة علي عليه السلام إلى درجة التصفية، حيث قتل الكثير منهم، وأشهرهم كان العابد الزاهد حجر بن عدي[٢].

كما أنه لم يف بعدم العهد إلى أحد من بعده، حيث عين ولده يزيد ولياً للعهد كما هو معروف.

إن عدم وفائه بالشروط معروف مشهور ذكرته المصادر المختلفة[٣].

---

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص٤٨.
(٢) صلح الحسن لراضي آل ياسين ص٢٥٩، وتاريخ الطبري ج٥ ص٢٧٥.
(٣) إمتاع الأسماع للمقريزي ج٥ ص٣٦٠، وأعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ج١ ص٢٧.

عوائد الصلح

أقدم أولاً الاتجاهات في النظرة إلى الصلح، ومنها نخلص إلى «عوائد الصلح» العظيمة، عسى أن نقدر مولانا المجتبى عليه السلام حق قدره.

النظرة إلى الصلح

هناك ثلاثة اتجاهات في النظرة إلى صلح الإمام الحسن عليه السلام والباغي معاوية:

الأول: أنه عليه السلام صالح لأن الخيار العسكري لم يكن متاحاً نتيجة ضعف جيشه.

الثاني: أنه عليه السلام صالح لأنه يحب الدعة والسلم والهدوء.

الثالث: لأنه عليه السلام اختار الصلح بعد أن وجد أن عوائد الصلح أفضل من الحرب.

شخصياً أختار الثالث، وذلك استناداً إلى أمور، أذكرها بالإشارة:

حال عاصمته الكوفة / في تشتت قبائلها وأهوائها، وغياب معظم صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين صحبوا علياً عليه السلام من المدينة، فلم

يبق بعد استشهاد ٨٠ بدرياً إلا قلائل ولا بعد استشهاد نحو ٧٠٠ رضواني إلا القليل، وهؤلاء معظمهم من الأنصار، وهم أعرف الناس بعلي عليه السلام، وهم «الخيرة التي اختارها الله لنا أهل البيت» حسب وصف الزهراء عليها السلام إياهم في خطبتها الشهيرة [1].

حال جيشه الذي ورثه عن أبيه عليه السلام / وقد تعب من الحروب وأنهكته حرب صفين.

حال العدو في الجغرافية وطبيعة الرعية والجيش وطبيعة القائد / جغرافية واسعة جميع بلاد الشام ومصر وشمال إفريقية، مع التوسعة من خلال الغارات؛ والرعية المطيعة طاعة عمياء؛ والجيش الذي وإن كان تعب هو الآخر من القتال، ولكنه مستعد نتيجة للطاعة العمياء هذه؛ والقائد الذي لا يعرف شيئاً عن مُثل وقيم ومبادئ لا يجد مشكلة في قتل عشرات الألوف من المسلمين، بل إن ذلك مما تقر به عينه.

علم الحسن عليه السلام بحتمية استمرار الانحدار في الأمة بعد بدء الانحراف الأول / فقد سمع جده صلى الله عليه وآله وسلم يخبر علياً عليه السلام بمآلات الأمور؛ فكأن النتيجة الحتمية تشجع على اتخاذ الاتجاه الذي «يقلل من الخسائر ما أمكن»، الأمر الذي يقوم به كل قائد حصيف، ناهيك عن إمام معصوم مسؤول عن حفظ الأمة في شريعتها وفي أنفسها.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٦ ص٢١١ وص٢٤٩، وبلاغات النساء لابن طيفور، ومنال الطالب لابن الأثير ص٥٠١-٥٠٧، وغيرهم.

شخصية الإمام الحسن عليه السلام كرجل له القدر الأعلى من (أ) عزّة المؤمنين وعنفوانهم و(ب) وذكاء وفطنة الأذكياء و(ت) معرفة حسن التدبير و(ث) بعد النظر إلى مآلات الأمور.

وكل من هذه أقولها مع التدقيق وليس كلاماً إنشائياً.

وهذه نستطيع تلمسها فيه عليه السلام دون مشكلة، ولكن أهمها هنا هو ما يرد على الاتجاه الثاني أنه كان يحب الموادعة والسلم ولا مزاج له بالحرب، ما وصفته بـ «عزة المؤمنين وعنفوانهم»، وهو في أعلاه عند سادة المؤمنين .

المثال الأول: ما ذكرته سابقاً من وقوفه أمام الخليفة الأول، وهو على المنبر ليقول له: «انزل عن منبر أبي»[1]، مع أن الرجال خضعوا وما كانت نصرتهم للإمام علي عليه السلام إلا أضعف ما يكون، وهذا غلام لا يتجاوز عمره ٩ سنوات يقف بكل عنفوان ليعلن الحق من جهة، ويأمر بإزالة الباطل ومن خلال ٤ كلمات وحسب.

المثال الثاني: -وهو الأهم-، ما ذكرته في فصل سابق، فهو مع نفس الشخص الباغي صاحب المشكلة -معاوية- وفي أول بيعته عليه السلام للخلافة، إذ أرسل إليه رسالة أكرر منها فقط أجزاء منها:

«فلما توفي - أي النبي صلى الله عليه وآله وسلم -، تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه،... فلما صرنا آل بيت محمد

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ج٣ ص٢٦، والطبقات لابن سعد ج١٠ ص٣٠٠.

وأولياءه إلى محاجتّهم وطلب النصف منهم، باعدونا، واستولوا على الخلافة بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا...» فهو يسمي عليه السلام الأشياء بأسمائها دون مجاملات.

«ولقد كنّا تعجبنا لتوثّب المتوثّبين علينا في حقّنا وسلطان نبيّنا، وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، وأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدّين أن يجد المنافقون والأحزاب في ذلك مغمزاً يثلمونه به، أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من إفساده».

فهو يذكر الاثنين:

١- «حقّنا» أي التصدّي للمسؤولية الشرعية.

٢- «سلطان نبينا»، آلية التنفيذ من خلال بسط اليد في السلطة.

- «فاليوم فليتعجَّب المتعجِّب من توثّبك يا معاوية على أمر لست من أهله، لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكتابه؛ والله حسيبك، فسترد غداً على الله فتعلم لمن عقبى الدار، وبالله لتلقينّ عن قليل ربّك، ثم ليجزينّك بما قدمت يداك»؛ فهل هذا كلام رجل يحب الموادعة، ولا يريد المواجهة؟

- ثم يستمر معه بذات العنفوان والتهديد بالحرب هذه المرة:

«... فدع التمادي في الباطل، وادخل في ما دخل فيه الناس

من بيعتي... واتق الله، ودع البغي، واحقن دماء المسلمين... وادخل في السِّلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله ومن هو أحق به منك، ليطفئ الله النائرة، ويجمع الكلمة، ويصلح ذات البين. وإن أنت أبيت إلا التمادي في غيّك، سرت إليك بالمسلمين فحاكمتك، حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين»؛ فيدعوه إلى بيعته عليه السلام، وإذا أصر على العناد فإن الإمام عليه السلام يهدده بالحرب حتى يحكم الله. هذا وإن قوله عليه السلام أنه يسير إليه «بالمسلمين» إشارة إلى أن جماعة المسلمين إنما هي مع إمام الحق، ومن يقف عدواً محارباً له ولهم يخرج من هذه الجماعة[1].

عوائد الصلح

هنا، ستكون الاستفادة من الذين يعتمدون الاتجاه الثالث -أن الإمام عليه السلام اختار الصلح، لأنه سيكون أكثر فائدة- ولا أجد خيراً من بحث سماحة السيد سامي البدري في سردها...

ذلك أنه حتى الشيعة يركزون على أن الإمام عليه السلام إنما دخل في الصلح من أجل فضح معاوية لا غير، ويهملون ما صرح به هو بنفسه عليه السلام من الدواعي التي سيكون لها الأثر الضروري للأمة الإسلامية عموماً وللشيعة بالخصوص.

نعم، نقطة فضح ذلك الباغي، مهمة للغاية، لأنها ضمن سياق

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج٤٤ ص٣٩.

السنن الإلهية في التمحيص عن طريق الفتنة ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾[1]، ولكنها ليست الوحيدة، وإلا لكان قرار الإمام عليه السلام يتعلق بفتح باب الفتنة، أو بإبقاء باب الفتنة المفتوح أصلاً مفتوحاً بدرجة أوسع، دون تحقيق أية فوائد أخرى.

أختصر بعناوين ما ذكره سماحة العلامة السيد سامي البدري من الجديد في بحثه الموسوم «صلح الإمام الحسن عليه السلام - قراءة جديدة في الخلفيات والنتائج»:

١- الروايات الطاعنة في شخصية الحسن عليه السلام وفي الكوفيين وضعت من العباسيين لمواجهة خصومهم الحسنيين الثائرين، وإن الروايات الصحيحة تبرز أن أهل العراق كانوا أوفياء ومخلصين لعلي عليه السلام والحسن عليه السلام وأنهم قدموا ما لم يقدمه غيرهم في وقته.

٢- شروط الحسن عليه السلام وأهمها أمان شيعة علي عليه السلام في الكوفة كانت منفّذة لـ ١٠ سنوات وإن غدر معاوية بالحسن عليه السلام وشيعته كان في سنة ٥٠ هـ وليس سنة ٤١هـ، وكان نقضه للشروط قد بدأ بدس السم للحسن عليه السلام نفسه ثم إعادة لعن علي عليه السلام وقتل شيعته وصولاً إلى نقض شرط تعيين الحسين عليه السلام عندما عين ولده يزيد.

---

(١) العنكبوت: ٢-٣.

وفي ضوء هذه الحقيقة الكبيرة كان لابد من البحث عن دوافع أخرى للصلح غير ما تبناه الباحثون، والتي سيجدها في حفظ شيعة علي عليه السلام من جانب ونشر روايات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أهل البيت عليهم السلام من جانب آخر.

٣- الصلح منع الانشقاق في الأمة، فإن الصلح كان طلبه معاوية أولاً، وأن يبقى كل طرف على بلاده التي بايعته، ولكن الحسن عليه السلام رفض هذه الصيغة؛ لأنها تكرس الانشقاق في الأمة، وتكرس الرؤية السلبية التي أوجدها الإعلام الأموي أن علياً عليه السلام كان طالب سلطة حاله حال غيره، فكما أن الصلح كان أداة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مواجهة الافتراء فإنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يريد الملك على قريش وكذلك فعل الحسن عليه السلام، وتقدم بصيغة الصلح التي تحقق له أمرين:

الأول: معالجة الانشقاق في الأمة وإقامة تجربة حكم مدني في المجتمع الإسلامي كله، ووضع الحسن عليه السلام للحكم المدني شروطه، ومنها ألا تتدخل السلطة في الشؤون الدينية.

الثاني: تأسيس ظاهرة المرجعية الدينية المستقلة عن السلطة، سواء كانت مرجعية علي عليه السلام أو مرجعية قريش المسلمة التي تمثلت بالخلفاء الثلاثة، ويكون الناس بالخيار في العمل بفتاوى هذه المرجعية أو تلك.

من هذا نستفيد الأمور الثلاثة الأهم:

الأول: بقاء الأمة موحّدة

فربما هذا ما يشير إليه الإمام الباقر عليه السلام لسدير، حيث ذكر العلم الذي عند الحسن عليه السلام من جده صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه عليه السلام، فقال سدير: «كيف يكون بتلك المنزلة، وقد كان منه ما كان دفْعها إلى معاوية؟» فأجاب الباقر عليه السلام مغضباً فيما يظهر: «اسكت! فإنه أعلم بما صنع؛ لولا ما صنع لكان أمر عظيم»[1].

لعل هدف وحدة الأمة الإسلامية هو السبب من وراء عدم ذكر القرآن الكريم لأسماء الأئمة عليهم السلام بالتشخيص، علماً من الله تعالى بما سيجري، فكان أن حفظ موقعيتهم وفي نفس الوقت تشخيصهم في القرآن الكريم بأروع وأجمل وأدق من التصريح.

الثاني: حفظ شيعة علي عليه السلام

ما أوضحه الإمام الحسن عليه السلام نفسه في قوله لبعض المعترضين:

«علّة مصالحتي لمعاوية علّة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبني ضمرة وبني أشجع، ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية...»

ونحن نعلم أن البعض اعترض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومها، لأنهم يجهلون المصلحة العليا والأهداف الكبرى من الصلح، وها هو

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق ج١ ص٢١٠.

إمامنا المظلوم عليه السلام يواجه نفس الاعتراضات.

(حيث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل شرط موفد قريش سهيل بن عمرو أنه «لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وخليت بيننا وبينه، ولكن لا يفعل العكس»؛ وبالفعل امتحن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأبي جندل، وهو ابن سهيل بن عمرو الذي جاءه مسلماً فردّه، بعد محاولاته صلى الله عليه وآله وسلم أن يجيزه سهيل، ويتركه ورفضه ذلك. وكما اعترضوا على الحسن عليه السلام اعترضوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذ قال عمر بن الخطاب: «ألست نبي الله حقاً؟» قال صلى الله عليه وآله وسلم: «بلى»؛ قلت: «ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟» قال صلى الله عليه وآله وسلم: «بلى»؛ قلت: «فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟» قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري»[1]. وهكذا لم يزل المعصومون عليهم السلام يزايد عليهم من لا يمتلك من علمهم ومنزلتهم شيئاً).

ثم قال: «إذا كنتُ إماماً من قِبَل الله تعالى ذكره، لم يجب أن يسفّه رأيي فيما أتيتُه من مهادنة أو محاربة، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبساً.. ألا ترى الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى عليه السلام فعلَه، لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي؟ هكذا أنا، سخطتم عليّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه».

ثم موضع الشاهد في تمام قوله: «ولولا ما أتيتُ لما تُرك من شيعتنا على وجه الأرض أحدٌ إلا قُتل»[2].

(١) صحيح البخاري ج٢ ص٩٧٤ رواية ٢٥٨١ كتاب الشروط.
(٢) علل الشرائع للشيخ الصدوق ج١ ص٢١١.

هكذا، من أجل أن تبقى الجماعة المؤمنة التي اختارت أن تلتف حول القيادة الشرعية مهما كانت التضحيات.

هذا، مع أنه عليه السلام أشار إلى أنه ينتظر فرصة مناسبة في المستقبل للقتال. فقد روي أن الإمام عليه السلام قال: «إنّي رأيت هوى أعظم النّاس في الصّلح، وكرهوا الحرب؛ فلم أحبّ أن أحملهم على ما يكرهون، فصالحت بقياً على شيعتنا خاصّة من القتل، ورأيت دفع هذه الحرب إلى يوم ما، فإنّ الله كلّ يوم هو في شأن»[1]. فهو عليه السلام، إذاً، يدفع الحرب «ورأيت دفع هذه الحرب إلى يوم ما» يوم يكون الناس فيه مستعدين للجهاد والتضحية وبثبات، لا للضعف والخيانة.

الثالث: تثبيت موقعية أهل البيت عليهم السلام

من خلال نشر أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيهم، حيث تمتع الشيعة من الصحابة والتابعين وغيرهم بالحرية مدة تسع سنوات يحدثون الناس بما وصلهم من حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته عليهم السلام، ولولا هذا ربما لم يكن سيصل شيء مما نجده في أمهات كتب الحديث عند أهل السنة، ناهيك عن التي عند الشيعة.

فسلام الله على ذلك العبد الصالح، الذي كم تحمل من الظلم من الموالي والمخالف مع أن فضله عليه السلام عليهم جميعاً مما لا يعرف عظمته إلا الله تعالى.

---

(١) الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ص٢٢١

الفصل الخامس

اختلاف موقفي الحسنين عليهما السلام

مما يؤسف له أن البعض من أولياء أهل البيت عليهم السلام يتحدثون بلغة الجهل بحقيقة موقف إمامنا المجتبى عليه السلام، وكأنهم صدى لمن يجهل موقعيته وموقعية أهل البيت عليهم السلام من المسلمين أتباع المذاهب الأخرى. هؤلاء ليسوا فقط يرمون الإمام عليه السلام بما ذكرناه آنفاً، ولكنهم يزيدون عليه أن موقفه عليه السلام كان مخالفاً لموقف أخيه الحسين عليه السلام فيما بعد، أو الأصح يقولون إن الحسين عليه السلام خالف موقف أخيه الحسن عليه السلام عندما قاتل هو بعد أن كان الحسن عليه السلام قد صالح. هؤلاء لا يلتفتون إلى البديهيات من كيفية النظر في الأمور - في زمانها، وظروفها، وأبطالها، وبداياتها، ونتائجها.

سأنقل في هذا الفصل المزيد من كلام الإمام عليه السلام في إجاباته لبعض أصحابه ممن اعترض عليه أو تساءل عن السبب وراء مصالحته الباغي معاوية؛ كما أنقل كلام بعض الأعلام من علمائنا (رحمهم الله)؛ ثم أبين ما علمته، وعلمه الناس كلهم من موقف سيد الشهداء الحسين عليه السلام طيلة حياته الشريفة مع أخيه الحسن عليه السلام وبعده، ليتبين للجميع وحدة الموقف الحسني الحسيني في إطار إمامتهما التي قد حمّلها الله تعالى مسؤولية الشريعة في حدّيها: بيان الشريعة، وحراسة الشريعة.

تذمر بعض أصحاب الإمام عليه السلام

قبل ذلك أذكر ما ذكرته بعض الروايات من موقف بعض الأصحاب الذين أعربوا عن تذمرهم وعدم رضاهم بموقف الإمام الحسن عليه السلام[١].

من ذلك أن حجر بن عديّ رضي الله عنه قال للإمام عليه السلام في مجلس معاوية: «أما والله، لوددت أنّك متّ في ذلك اليوم ومتنا معك ولم نر هذا اليوم! فإنّا رجعنا راغمين بما كرهنا، ورجعوا مسرورين بما أحبّوا». فلمّا خلا به الإمام عليه السلام قال: «يا حجر، قد سمعت كلامك في مجلس معاوية، وليس كل إنسان يحب ما تحب، ولا رأيه كرأيك، وإنّي لم أفعل ما فعلت إلا إبقاء عليكم، والله تعالى "كل يوم هو في شأن"»[٢].

بل وصل الأمر إلى حد رمي الإمام عليه السلام أنه «مُذلّ المؤمنين!»[٣].

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ج١٣ ص٢٦٨.
(٢) بحار الأنوار للمجلسي ج٤٤ ص٥٧.
(٣) مروج الذهب للمسعودي ج٢ ص٤٢٦.

توضيحات الإمام الحسن عليه السلام

أجملت في الفصل السابق (عوائد الصلح) أن النتائج الإيجابية، بل الكبيرة جداً في إيجابيتها، هي:

أولاً: بقاء الأمة موحّدة.

ثانياً: حفظ شيعة علي عليه السلام.

ثالثاً: تثبيت موقعية أهل البيت عليهم السلام.

(وذكرت روايات تثبته كما تبين أسباب قرار الإمام عليه السلام بالصلح، فلتراجع هناك).

فيما يلي أذكر المزيد من الروايات التي ترسم صورة مكتملة لما كانت عليه ظروف الإمام عليه السلام.

وشكايا من الإمام عليه السلام توضح أكثر فأكثر، وهناك تفاصيل تلقي المزيد من الأضواء على الحال التي واجهها إمامنا المظلوم عليه السلام وما وجده من المصلحة في الصلح نتيجة لذلك...

ففي رواية يقول الإمام عليه السلام بعد أن طعنوه: «أرى والله معاوية خيراً لي من هؤلاء! يزعمون أنهم لي شيعة ابتغوا قتلي، وانتهبوا ثقلي، وأخذوا مالي! والله لئن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي، وآمن به في أهلي خير من أن يقتلوني، فتضيع أهل بيتي وأهلي. والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه

سلماً! فو الله لئن أُسالمه، وأنا عزيز خير من أن يقتلني، وأنا أسيره، أو يمنّ، عليّ فتكون سبّةً على بني هاشم إلى آخر الدهر»..

ساعد الله الإمام المظلوم عليه السلام - وصل الأمر أنه وجد أن العدو الباغي معاوية خير له من الذين يفترض أنه جنده وسلاحه لمواجهته... وأنه عليه السلام صار يتخير بين أن يخاطر ليس فقط بحياته، فهذا يؤدي به إلى الشهادة التي هي أقصى مناه، ولكن أن يخاطر بسمعة تلك الأسرة المصطفاة من هاشم عليهم السلام وبالخصوص العترة الهادية من آل عبد المطلب عليهم السلام، أو يصالح بما يحفظ له سمعة عشيرته الأقربين من بني هاشم. ولو كان هذا من أجل نصرة الإسلام والمسلمين لما تأخر عن هذا، ولكنه عليه السلام وجد الصلح يؤدي إلى نتائج أفضل بكثير (بما قدمته آنفاً من عوائد الصلح).

تستمر الرواية بتساؤل السائل: «تترك يا بن رسول الله شيعتك كالغنم ليس لهم راع؟»

أجاب عليه السلام: «وما أصنع يا أخا جهينة! إني والله أعلم بأمر قد أُدِّي به إليّ عن ثقاته: إن أمير المؤمنين قال لي ذات يوم، وقد رآني فرحاً: يا حسن أتفرح؟ كيف بك إذا رأيت أباك قتيلاً؟ أم كيف بك إذا ولي هذا الأمر بنو أمية وأميرها الرحب البلعوم الواسع الأعفاج (المصارين)؟ يأكل ولا يشبع، يموت وليس له في السماء ناصر ولا في الأرض عاذر، ثم يستولي على غربها وشرقها، تدين

له العباد ويطول ملكه، يستنّ بسنن البدع والضلال ويميت الحق وسُنّة رسول الله ﷺ، يقسم المال في أهل ولايته، ويمنعه من هو أحق به، ويذل في ملكه المؤمن، ويقوى في سلطانه الفاسق، ويجعل المال بين أنصاره دُولاً، ويتخذ عباد الله خِوَلاً، ويدرس في سلطانه الحق، ويظهر الباطل، ويلعن الصالحون، ويقتل من ناواه على الحق، ويدين من والاه على الباطل» ثم يتم كلامه عليه السلام بالبشارة بصاحب الأمر عليه السلام في آخر الزمان[1].

هنا، ليس فقط الحال الضعيف لجنده وشيعته على العموم، ولكن استشراف المستقبل بما عهد له أبوه عليه السلام، الذي كان يقيناً عهداً من رسول الله ﷺ - فصار الإمام عليه السلام يقلب الأمر في الظروف التي صار في وسطها، وما أمامه من خيارين، وما في أحدهما من خطورة القتل دون أي فائدة بل ربما مع الإهانة والذلة بما سيصيبه، ويصيب عشيرته -وقد كان وقتها كبيرهم- وما في ثانيهما من العوائد المرجوة، أيضاً بما هو واقع لا محالة من إخبار أبيه أمير المؤمنين عليه السلام من ظهور الباغي معاوية؛ عندها يصبح الخيار واضحاً.

ذلك الحال الضعيف لجنده يبينه عليه السلام بأوضح ما يكون، في المقارنة التي كانوا عليها أولاً ثم ما صاروا فيها. ففي خطبة له عليه السلام قال: «أما والله ما ثنانا عن قتال أهل الشام ذلّة ولا قّلة، ولكن كنا نقاتلهم بالسلامة والصبر، فشِيب السلامة بالعداوة والصبر بالجزع؛

(١) الاحتجاج للطبرسي ص١٤٨.

وكنتم تتوجهون معنا، ودينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم الآن، ودنياكم أمام دينكم؛ وكنّا لكم، وكنتم لنا، وقد صرتم اليوم علينا؛ ثم أصبحتم تصدّون قتيلين: قتيلاً بصفين تبكون عليهم وقتيلاً بالنهروان تطلبون بثأرهم، فأما الباكي فخاذل، وأما الطالب فثائر!».

كلام لا يحتاج إلى شرح.

مع ذلك، خيرهم الإمام عليه السلام بين القتال والسلم، حيث أردف: «وإن معاوية قد دعا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الحياة قبلناه منه، وأغضضنا على القذى، وإن أردتم الموت بذلناه في ذات الله، وحاكمناه إلى الله»، يقول الراوي: «فنادى القوم بأجمعهم: بل البقية والحياة!»[1].

وهناك رواية تذكر ما ذكره الإمام عليه السلام عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، هذه المرة برواية الإمام الباقر عليه السلام.

قال عليه السلام: «جاء رجل من أصحاب الحسن عليه السلام يقال له سفيان بن ليلى، وهو على راحلة له، فدخل على الحسن عليه السلام، وهو محتب في فناء داره، فقال له: السلام عليك يا مُذلّ المؤمنين! فقال له الحسن: انزل، ولا تعجل. فنزل، فعقل راحلته في الدار، وأقبل يمشي حتى انتهى إليه. فقال له الحسن: ما قلت؟ قال: قلت: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين! قال: وما علمك بذلك؟ قال: عمدت إلى أمر الأمة، فخلعته من عنقك، وقلدته هذا

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج٤٤ ص٢١.

الطاغية، يحكم بغير ما أنزل الله؛ فقال له الحسن عليه السلام: سأخبرك لِمَ فعلت ذلك... قال: سمعت أبي عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لن تذهب الأيام والليالي حتى يلي أمر هذه الأمة رجل واسع البلعوم رحب الصدر، يأكل، ولا يشبع، وهو معاوية، فلذلك فعلت. ما جاء بك؟ قال: حُبّك؛ قال: الله؟ قال: الله.. فقال الحسن عليه السلام: والله لا يحبّنا عبد أبداً -ولو كان أسيراً في الديلم- إلا نفعه حبّنا، وإن حبّنا ليساقط الذنوب من بني آدم كما يساقط الريح الورق من الشجر»[1].

توضيح بشكوى بحضور الباغي

وهناك توضيح من الإمام الحسن عليه السلام، بحضور عدوه معاوية، وبشكل عام حيث قام خطيباً، ورد على معاوية رداً صريحاً طاعناً به، وأكد موقعيته في الدين، وأخبرهم بما خسروه من عدم طاعته ونصرته، وأبلغهم بما سيحدث في المستقبل نتيجة ما قدمت أيديهم، معيداً الناس إلى خذلان أمير المؤمنين عليه السلام، بل وما فعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تغيير العمل عندما تغيرت الظروف، بأنها كلمات جامعة شاملة من أروع ما كان من المجتبى عليه السلام، اسمع إليه يقول عليه السلام:

«أيها الناس! إن معاوية زعم أني رأيته للخلافة أهلاً، ولم أر نفسي لها أهلاً، وكذب معاوية! أنا أولى الناس بالناس: في كتاب الله، وعلى لسان نبي الله.

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج٤٤ ص٢٣.

فأقسم بالله لو أن الناس بايعوني، وأطاعوني، ونصروني لأعطتهم السماء قطرها والأرض بركتها، ولما طمعتَ فيها يا معاوية، قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما ولّت أمة أمرها رجلاً قط، وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفالاً حتى يرجعوا إلى ملّة عبدة العجل، وقد ترك بنو إسرائيل هارون، واعتكفوا على العجل، وهم يعلمون أن هارون خليفة موسى، وقد تركت الأمة علياً عليه السلام وقد سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي عليه السلام: أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير النبوة فلا نبي بعدي.

وقد هرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قومه، وهو يدعوهم إلى الله، حتى فرّ إلى الغار، ولو وجد عليهم أعواناً ما هرب منهم، ولو وجدت أنا أعواناً ما بايعتك يا معاوية.

وقد جعل الله هارون في سعة حين استضعفوه، وكادوا يقتلونه، ولم يجد عليهم أعواناً، وقد جعل الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سعة حين فرّ من قومه لمّا لم يجد أعواناً عليهم، وكذلك أنا وأبي في سعة من الله حين تركتنا الأمة، وبايعت غيرنا، ولم نجد أعواناً... وإنما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضاً. أيها الناس! إنكم لو التمستم فيما بين المشرق والمغرب لم تجدوا رجلاً من ولد نبي غيري وغير أخي»[1].

(١) الاحتجاج ج٤٤ ص٢٢.

نقاش السيد المرتضى رحمه الله

في كتابه «تنزيه الأنبياء عليهم السلام» ناقش السيد المرتضى رحمه الله (علي بن الحسين ٣٥٥-٤٣٦ هـ، من أكابر علماء الإمامية والمرجع بعد قليل من بدء الغيبة الكبرى لصاحب الأمر عليه السلام) ما طعنوا الإمام الحسن عليه السلام به من طعون، ورد عليها واحدة واحدة - أذكر ما قاله باختصار فيما يتعلق بموضوعنا.

قال: «فإن قال قائل: "ما العذر له عليه السلام في خلع نفسه من الإمامة، وتسليمها إلى معاوية مع ظهور فجوره وبعده عن أسباب الإمامة، وتعرّيه من صفات مستحقها، ثم في بيعته... وإظهار موالاته والقول بإمامته، هذا مع توفر أنصاره واجتماع أصحابه ومبايعة من كان يبذل عنه دمه وماله، حتى سموه مذلّ المؤمنين، وعابوه في وجهه عليه السلام؟" أجاب أولاً بتثبيت الإطار العام لما يجب عليه المؤمن في نظرته إلى الإمام الذي فرض الله طاعته - قال: «قد ثبت أنه عليه السلام الإمام المعصوم المؤيّد الموفق بالحجج الظاهرة، والأدلة القاهرة، فلا بد من التسليم لجميع أفعاله، وحملها على الصحة وإن كان فيها ما لا يُعرف وجهه على التفصيل، أو كان له ظاهر ربما نفرت النفس عنه...».

ثم رد الطعون بما ملخصه:

«وبعد فإن الذي جرى منه عليه السلام كان السبب فيه ظاهراً... لأن المجتمعين له من الأصحاب وإن كانوا كثيري العدد فقد كانت

قلوب أكثرهم نغلة غير صافية، وقد كانوا صَبَوا إلى دنيا معاوية... فأظهروا له عليه السلام النصرة، وحملوه على المحاربة والاستعداد لها طمعاً في أن يورّطوه، ويسلّموه، فأحس بهذا منهم قبل التولّج والتلبّس، فتخلّى من الأمر... وقد صرّح بهذه الجملة، وبكثير من تفصيلها في مواقف كثيرة، وبألفاظ مختلفة، وقال عليه السلام: «إنما هادنتُ حقناً للدماء، وضنّاً بها، وإشفاقاً على نفسي وأهلي، والمخلصين من أصحابي...».

وفي ذكر موقفهم من القتال أن الإمام عليه السلام «خطب أصحابه بالكوفة يحضّهم على الجهاد... وأمرهم أن يخرجوا إلى معسكرهم، فما أجابه أحد. فقال لهم عدي بن حاتم: سبحان الله ألا تجيبون إمامكم!»

وذكر بعدها طعنتهم الإمام عليه السلام في فخذه في ساباط، فلما حمل إلى المدائن للعلاج، وعليها سعد بن مسعود عمّ المختار، وكان عامل الإمام علي عليه السلام، أشار المختار على عمه أن يوثق الإمام عليه السلام، ويأخذه إلى معاوية! فرفض العم قائلاً: «أنا عامل أبيه، وقد ائتمنني وشرّفني... أأنسى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا أحفظه في ابن ابنته وحبيبته؟!» وذكر توضيح الإمام عليه السلام لحجر بن عدي عندما اعترض[1].

وفيما يتعلق بوجود قوة قتالية للإمام عليه السلام، ذكر المرتضى ما تكلم به سليمان بن صرد الخزاعي مع الإمام عليه السلام بعد سنتين من

(١) ذكرته سابقاً فراجع.

عقد الصلح، قال: «ما ينقضي تعجبنا من بيعتك معاوية، ومعك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة، كلهم يأخذ العطاء، وهم على أبواب منازلهم، ومعهم مثلهم من أبنائهم وأتباعهم، سوى شيعتك من أهل البصرة والحجاز، ثم لم تأخذ لنفسك ثقة في العقد، ولا حظّاً من العطية!... فإذا شئت فأعد الحرب خدعة، وائذن لي في تقدّمك إلى الكوفة، فأخرج عنها عامله، وأظهر خلعه، وتنبذ إليه على سواء...» فقال الحسن عليه السلام: «أنتم شيعتنا وأهل مودتنا، فلو كنت بالحزم في أمر الدنيا أعمل ولسلطانها أركض، وأنصب ما كان معاوية بأبأس مني بأساً... ولكني أرى غير ما رأيتم، وما أردت بما فعلت إلا حقن الدماء، فارضوا بقضاء الله... والزموا بيوتكم...» وقد روي أنه عليه السلام لما طالبه معاوية بأن يتكلم على الناس... قام فقال فيما قال: «... إن معاوية نازعني حقاً هو لي، فتركته لصلاح الأمة وحقن دمائها، وقد بايعتموني على أن تسالموا من سالمت، فقد رأيت أن أسالمه، ورأيت أن ما حقن الدماء خير مما سفكها... وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين». ثم تناول المرتضى تهمة أنه عليه السلام خلع نفسه من الإمامة، فقال: «معاذ الله! لأن الإمامة بعد حصولها للإمام لا يخرج عنه بقوله، وعند أكثر مخالفينا أيضاً في الإمامة أنّ خلْعَ الإمام نفسه لا يؤثّر في خروجه من الإمامة، وإنما ينخلع من الإمامة عندهم بالأحداث والكبائر».

وأما بخصوص البيعة فقال: «فإن أريد بها الصفقة وإظهار الرضا والكفّ عن المنازعة فقد كان ذلك، لكنا قد بيّنا جهة

وقوعه، والأسباب المحوجة إليه، ولا حجة في ذلك عليه صلوات الله عليه، كما لم يكن في مثله حجة على أبيه صلوات الله عليهما لمّا بايع المتقدمين عليه، وكفّ عن نزاعهم... وإن أريد بالبيعة الرضا وطيب النفس فالحال شاهد بخلاف ذلك، وكلامه المشهور كله يدل على أنه أُحوج وأُحرج، وأن الأمر له، وهو أحق الناس به، وإنما كف عن المنازعة فيه للغلبة والقهر والخوف على الدين والمسلمين». كما تناول ما زعموه من إظهار لموالا لمعاوية قائلاً: «ما أظهر عليه السلام من ذلك شيئاً، كما لم يبطنه، وكلامه عليه السلام فيه بمشهد معاوية ومغيبه معروف ظاهر» يعني ردوده عليه السلام على معاوية التي ذكرت بعضها آنفاً.

ثم قال: «وأعجب من هذا كله دعوى القول بإمامته، ومعلوم ضرورة منه عليه السلام خلاف ذلك، فإنه كان يعتقد ويصرّح بأن معاوية لا يصلح أن يكون بعض ولاة الإمام وأتباعه، فضلاً عن الإمامة نفسها...»[1].

أحب أن أضيف توضيحاً بخصوص الخروج من الخلافة والخروج من الإمامة، حيث يشتبه الأمر على الكثيرين. إن الإمامة اختيار من الله عز وجل لمن اصطفاه من العباد المخلِصين المخلَصين، وجعلٌ منه ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾[2]، في حين أن الخلافة إنما هي المجيء بخليفة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في إدارة البلاد والعباد حسب مقتضيات

(١) تنزيه الأنبياء ص٢٢٢-٢٢٧.
(٢) الأنبياء:٧٣.

تلك الإمامة. وبما أن الناس يستطيعون، بالكيد والتآمر والغلبة من الأعداء وبالخضوع والضعف والاهتزاز من المجتمع، أن يمنعوا الإمام من منصب الخلافة، فإن ذلك الإمام الحق عليه السلام يحاول منع ذلك بمختلف الوسائل، فإن لم يستطع فإنه يتخذ الأقل ضرراً من الخيارات. فإن كان ذلك التنازل عن منصب الخلافة إلى العدو الباغي فإن الإمامة تبقى كما هي في شخصه، يهتدي بنورها من يريد ويتركها من يريد، ليبقى هو عليه السلام الإمام الحق الذي لا ينازع مطلقاً. ولهذا، نحن نؤمن بإمامة الأئمة من الحسين عليه السلام وحتى العسكري عليه السلام مع أنهم لم يستخلفوا في منصب الحكم والإدارة، في حين تركهم المخالفون تماماً، واتخذوا من غيرهم أئمة رضي عنهم الخلفاء الذين سلبوا أئمتنا عليهم السلام حق الحكم والإدارة.

موقف الإمام الحسين عليه السلام

لو نظرنا في سيرة سيد الشهداء عليه السلام من المهد إلى اللحد، فيما يخص موضوع البحث، لوجدناها كالآتي:

على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

نشأ -كنشأة أخيه الأكبر عليه السلام- في كنف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبيت علي وفاطمة عليهما السلام، محاطين بعبق الوحي والرسالة وتعليم سادة الناس بالكلمة وبالفعل. كما شارك في يوم المباهلة التاريخي كأحد أفراد الأسرة المصطفاة التي بها يواجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأمم.

في حياة الزهراء عليها السلام

بعد أبيها عليها السلام، عاصر - كأخيه الأكبر عليه السلام - الظلم الذي صُبّ على أمه وأبيه عليهما السلام، وشارك - كأخيه الأكبر عليه السلام - في محاولة والديه عليهما السلام تذكير المسلمين ببيعة الغدير.

في حياة أمير المؤمنين عليه السلام حتى بيعته بالخلافة

مذ كان صبياً حتى صار شاباً، فرجلاً، يشهد - كأخيه الأكبر عليه السلام - الذي جرى على أبيهما عليهما السلام من استمرار الظلم العظيم بدفعه عن موقعيته في خلافة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحكم والإدارة، شاهداً على أنواع الطرق التي تحايلوا بها لإبقاء أمير المؤمنين عليه السلام بعيداً عن الحكم وما حصل نتيجة لذلك وغيره من تبديل للأحكام الشرعية ومن تقليص لمكانتهم عليهم السلام في الأمة.

في أيام خلافة أمير المؤمنين عليه السلام

شهد -كأخيه الأكبر عليه السلام- المشاكل والثورة على الخليفة الثالث عثمان بن عفان، ثم البيعة العامة لأبيهما عليهما السلام، ثم انتفاض بعض كبار الصحابة ضده ما أدى إلى حرب الجمل أولاً ثم حرب صفين ثانياً ثم معركة النهروان ثالثاً، وما بين ذلك من مراسلات وكلام ومواقف لأمير المؤمنين عليه السلام في شؤون الحكم على أرض الواقع كما في نشر ما استطاع نشره من علوم سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم. وفي آخر عهد أبيه عليه السلام، ولا سيما بعد طعنة الشقي ابن ملجم، كانت الوصية العلوية لأخيه الأكبر الحسن عليه السلام وتسليمه مواريث النبوة والإعلان العام لخلافته من بعد أبيه عليه السلام.

في أيام خلافة الحسن عليه السلام

كان عوناً لأخيه الأكبر عليه السلام، مطيعاً له تماماً، مؤيداً لمقتضيات ائتمامه به. ومن ذلك، وهو من أهم ما جرى، هو أنه كان:

أولاً: شاهداً على جميع تحركات أخيه الأكبر عليه السلام والخليفة الشرعي، سلماً وحرباً.

ثانياً: شريكاً في عقد الصلح نفسه، حيث ورد في الفقرة الثانية أن معاوية لا يعهد لأحد من بعده بل الأمر يعود إلى الحسن عليه السلام فإن حدث فيه شيء (إشارة إلى وفاته) فالأمر للحسين عليه السلام.

وعلى أن الموافقة التلقائية للحسين عليه السلام على جميع ما قام به الحسن عليه السلام من البديهيات، وذلك لأنهما عليهما السلام من سلسلة الإمامة المحمدية المسؤولة عن ذات الشريعة الخاتمة، فإنه حسب الاطلاع لم يروَ شيء يقول: إن الحسين عليه السلام اختلف مع أخيه الحسن عليه السلام أو اعترض عليه، ومن ضمن ذلك بخصوص عقد الصلح، وما قبله وما بعده.

بعد الصلح

انتقل الإمام الحسين عليه السلام مع أخيه الحسن عليه السلام عائدين إلى مدينة جدهما صلى الله عليه وآله وسلم، وبقي على طاعته ومرافقته لأخيه الأكبر عليه السلام حتى استشهاده سنة ٥٠هـ.

بعد الحسن عليه السلام وحتى محاولة معاوية أخذ البيعة لولده

وهذه أهم مرحلة تثبت موقف الحسين عليه السلام من جميع ما قام به الحسن عليه السلام؛ لأنه عليه السلام بقي على ذات الموقف الموافق المتفق مع جميع ما قام به الحسن عليه السلام ومن ضمنه عقد الصلح مع الباغي، رغم أنه عليه السلام صار هو الإمام على الناس فيما يتعلق بالمرجعية الشرعية بعد أخيه عليه السلام، وبالتالي له أن يتصرف بما يجده مناسباً وفق الموازين الشرعية ومهماته التي تتلخص في الأمرين: بيان الشريعة وحراسة الشريعة. ولم يُسقِط معاهدة الصلح، حتى مع قيام معاوية بارتكاب الجرائم العظام بحق شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، إلى درجة أن الإمام الحسين عليه السلام خاطبه بالقول: إنه صار يخشى الله في ترك قتال معاوية!

فقد روي أنه عليه السلام كتب رسالة جوابية إلى معاوية من ضمن ما جاء فيها: «... وأمّا ما ذَكرتَ أنَّهُ رُقيَ إليكَ عنِّي، فإنَّهُ إنَّما رقَّاهُ إليكَ الملاّقونَ المشَّاؤونَ بالنَّميمةِ، المفرِّقونَ بينَ الجَمعِ، وكَذِبَ المعادونَ، ما أردْتُ حَرْباً ولا عليك خِلافاً، وإنِّي لأخشَى اللهَ في تَرْكِ ذلكَ مِنكَ ومِنَ الأعذارِ فيهِ إليكَ، وإلى أوليائِكَ القاسِطينَ الملحدينَ، حزبِ الظَّلَمَةِ وأولياءِ الشَّياطين...».

إلى أن يقول له: «وإني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعلم نظراً لنفسي ولديني ولأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلينا أفضل من أن أجاهدك، فإن فعلت فإنه قربة إلى الله، وإن

تركته فإني أستغفر الله لديني، وأسأله توفيقه لإرشاد أمري»[١].

ثم يذكر بعض جرائم الباغي معاوية بقتله حجر بن عدي وعمرو بن الحمق وغيرهما، وادعاءه زياد بن أبيه إليه، ما يوضح لماذا أن الإمام عليه السلام قال له «وإني لأخشى الله في ترك ذلك... ولا أعلم نظراً لنفسي ولديني ولأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلينا أفضل من أن أجاهدك».

وهذا أعظم تعبير عن موقفه الرافض والمتألم من الحال، ولكن الحكم الشرعي الذي يتوجب عليه عليه السلام هو الوفاء بمعاهدة الصلح رجاء استمرار الاستفادة من عوائدها بأعلى درجة ممكنة، بل وحتى بالحد الأدنى، بحيث أنه أجاب بعض الأصحاب الذين كانوا يطلبون منه الخروج على الباغي في حياة أخيه عليه السلام أن يلزموا بيوتهم ولا يتحركون للثورة. واللطيف في علاقة ذلك بموضوعنا أن الحسين عليه السلام أمرهم بهذا مع تصدير الكلام بتثبيت صحة ما قام به أخوه الحسن عليه السلام، فقد رووا قوله عليه السلام: «صدق أبو محمّد -يعني الحسن عليه السلام-، فليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام هذا الإنسان -يعني معاوية- حيّاً»[٢]. وفي رواية أخرى ربما تكون بعد استشهاد الحسن عليه السلام: «فالصقوا رحمكم الله بالأرض، واكمنوا في البيوت، واحترسوا من الظنّة ما دام معاوية حيّاً»[٣].

---

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص٢١٢.
(٢) الأخبار الطوال للدينوري ص٢٢١.
(٣) الأخبار الطوال للدينوري ص٢٢٢.

بعد معاوية

ذكرت في الفصل السابق أن الإمام الحسن عليه السلام كان ينتظر توافر الظروف للقتال، حيث رووا قوله عليه السلام: «إنّي رأيت هوى أعظم النّاس في الصّلح، وكرهوا الحرب؛... ورأيت دفع هذه الحرب إلى يوم ما...»[1]، يوم يكون الناس فيه مستعدين للجهاد والتضحية وبثبات، لا للضعف والخيانة. فهل تغيرت الظروف بحيث صار الناس مستعدين كي يقوم الحسين عليه السلام بثورته الكبرى؟

يقول الباحثون إن من أهم المتغيرات هي شخصية يزيد بن معاوية مقارنة بأبيه. فقد كان أبوه خبيراً بالمؤامرات والمداراة والخطط وتحمل الخصوم والنظر البعيد في الأمور (طبعاً على مستوى الدنيا، وإلا على مستوى النظر البعيد الحقيقي، أي الآخرة، كان الرجل لا يحفل بها مطلقاً)، في حين كان ابنه سفيهاً مستهتراً نشأ على الدعة واللعب واللهو، إضافة إلى خلو شخصيته مما كان لأبيه مما ذكرت أعلاه. ولهذا، فإن الإمام الحسين عليه السلام عندما صار متخففاً من عبء معاهدة الصلح المعقودة مع معاوية أولاً، وصارت الأمة - ولا سيما بعد انتهاء عهد الصحابة الذين يعرفون فضل علي وآل علي عليه السلام - طيعة بيد أولئك الطغاة وبدأ ترسخ التغيير في الدين والانحراف عنه ثانياً بما يحتم على الإمام عليه السلام النهوض بالصدمة اللازمة، فإن عهد يزيد صار مناسباً، بل متعيناً، للقيام بالعمل التغييري، الذي يحقق المراد إنْ في ذلك الوقت أو في المستقبل.

(١) الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ص٢٢١.

هـذا، ولقـد بـدأت بـوادر الحاجـة إلـى النهـوض ومعاويـة لا يـزال فـي الحكـم، ربمـا لافتضـاح أمـره عنـد الغافليـن أو بعضهـم، وربمـا لتحـرك الغيـرة الدينيـة عنـد البعـض كـرد فعـل علـى الجرائـم التـي كان يرتكبهـا، بحيـث أن مـروان بـن الحكـم كتـب إلـى معاويـة محـذراً «أمـا بعـد فـإن عمـرو بـن عثمـان ذكـر أن رجـالاً مـن أهـل العـراق ووجـوه أهـل الحجـاز يختلفـون إلـى الحسـين بـن علـي، وذكـر أنـه لا يأمـن وثوبـه، وقـد بحثـت عـن ذلـك، فبلغنـي أنـه لا يريـد الخـلاف يومـه هـذا، ولسـت آمـن أن يكـون هـذا أيضـاً لمـا بعـده فاكتـب إلـي برأيـك»[1].

(احتـاط معاويـة لهـذا بكتابتـه رسـالة إلـى الحسـين عليه السلام يحـذره مـن جانـب، ويحثـه مـن جانـب آخـر علـى درء الفتنـة، فكتـب إليـه الإمـام عليه السلام جوابـاً ناقشـه الحسـاب بدقـة ذاكـراً جرائمـه بمـا ذكرتـه آنفـاً).

هذه نستفيد منها أمرين:

الأول: أن الإمـام الحسـين عليه السلام ربمـا بـدأ يفكـر، ويخطـط للقيـام بعـد مـوت معاويـة دون تأخيـر (لأنـه أمـر النـاس الذيـن طلبـوا منـه القيـام حـالاً أن يكمنـوا فـي البيـوت، ويصبـروا كمـا ذكرنـا فـي أعـلاه)؛

الثانـي: أن الإمـام الحسـين عليه السلام بقـي علـى الهـدوء حسـبما تبيـن لمـروان مـن جهـاز التجسـس عنـده، أي أنـه عليه السلام بقـي يعتقـد بوجـوب الصبـر، وفـاء للعهـد الـذي عقـده أخـوه عليه السلام مـن جانـب، وخشـية

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص٢١٢.

التعرض لما تعرض له الكثيرون ومنهم أخوه عليه السلام من القتل غيلة بالسم كما عرف، واشتهر من أعمال معاوية ضد الخصوم، وبذلك لن يكون قد حقق شيئاً.

وبذلك، فإن الحسين عليه السلام بقي سائراً على نهج أخيه الحسن عليه السلام إلى آخر يوم من حياة الباغي الذي عقد معه الحسن عليه السلام الصلح.

حركة الحسين عليه السلام إلى يوم عاشوراء

أما بعد معاوية، فقد تغير الحال بتغير شخصية الحاكم، الذي كان مستهتراً لا يتمتع بدهاء أبيه «لا يهم بشيء إلى ركبه» حسب تعبير المؤرخين[1]، وسيقوم بالتعامل مع الأحداث بشكل متوقع.

وعليه، فإن قال قائل: إن الإمام الحسن عليه السلام أخطأ في عقد الصلح والالتزام به تسع سنوات، فإنه يقول أن الإمام الحسين عليه السلام أخطأ أكثر في الالتزام بالصلح تسع عشرة سنة وبعد أن أظهر معاوية حقيقته للناس جميعاً...

معاذ الله أن يكون أي من سيدي شباب أهل الجنة عليهما السلام قد أخطأ، وكيف ذلك وهما المطهران المعصومان من تلك الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام التي كانت إعداداً من الله لهداية الناس، وعلى المستوى الأعلى من «الإسلام» إلى الله

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ج٤ قسم٢ ص١.

تعالى بحيث دعا إليه النبيان العظيمان عليهما السلام «واجعلنا مسلمَين لك» ثم ﴿**ومن ذريتنا أمة مسلمة لك**﴾[1] على ذات الدرجة من الإسلام في أعلى درجاته...

كلا! لقد تصرف كل منهما عليهما السلام في حياة معاوية كما ينبغي له، ثم تصرف سيد الشهداء عليه السلام بعد معاوية كما ينبغي له...

وحقق كل منهما عليهما السلام الكثير للناس: المسلمين عموماً، وشيعة علي عليه السلام خصوصاً، والبشرية الحائرة بشكل عام، بما سمحت به الظروف، في كل مقطع من حياتهما الشريفة...

---

(١) البقرة:١٢٨.

نتيجة البحث في الموقفين

إذاً ما الفارق؟

لقد كان موقف الحسنين عليهما السلام ليس فقط متشابهاً بل متطابقاً تماماً إلى الحلقة الأخيرة من كل من سيرتيهما عليهما السلام - أي عقد الصلح مقابل يوم عاشوراء..

أما قيام الحسين عليه السلام فقد كان بعد معاوية الذي عُقِد معه الصلح، وتغير شخصية الحاكم بعده، واشتداد مسيرة الانحراف، ليس فقط بالسنوات التي تمر مرسخة ذلك وبذهاب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين عرفوا أهل البيت عليهم السلام على أرض الواقع، ولكن أيضاً بصعود حاكم مستهتر علناً بالدين ما يستدعي وقفة حازمة تجاه ذلك.

هذا الموقف الحازم بدأت إرهاصاته قبل بضع سنوات عندما حاول معاوية أخذ البيعة لولده يزيد من الحسين عليه السلام ووجوه أبناء الصحابة خصوصاً عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير. ولكنهم رفضوا، وكان موقف الحسن عليه السلام صارماً، كما كان موقف عبد الرحمن الذي أدى به إلى الموت فجأة، ربما بسم أسقيه بأمر معاوية.

المهم هو تثبيت حقائق أعلام الهدى ومنار التقى وقد صارت موقعيتهم في الدين يتهددها طول العهد وغياب من اطلع عليها من الصحابة. من أجل هذا، قام الإمام الحسين عليه السلام بالحج، وذلك

قبل موت معاوية بسنتين، وجمع بني هاشم والأنصار وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأولادهم والتابعين ممن يعرف دينهم وتقواهم، فكانوا أكثر من ألف رجل، فخطبهم قائلاً: «فإنّ الطاغية قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم، وإنّي أريد أن أسألكم عن أشياء، فإن صدقت فصدّقوني، وإن كذبت فكذّبوني. اسمعوا مقالتي، واكتموا قولي، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم من أمنتموه ووثقتم به، فادعوهم إلى ما تعلمون، فإني أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون». يقول الرواة: «فما ترك الحسين عليه السلام شيئاً أنزل الله فيهم -أي أهل البيت عليهم السلام- من القرآن إلا قاله وفسّره، ولا شيئاً قاله الرسول في أبيه وأمه وأهل بيته إلا رواه. وفي كل ذلك يقول الصحابة: اللهم نعم، قد سمعناه وشهدناه، ويقول التابعون: اللهم قد حدّثنا من نصدقه، ونأتمنه، حتى لم يترك شيئاً إلا قاله. ثم قال: «أنشدكم بالله إلا رجعتم، وحدثتم به من تثقون به»[1].

بل فعل مثل ذلك في مجلس معاوية. فقد رووا أن الأخير طلب من الإمام الحسين عليه السلام أن يصعد المنبر ويخطب، فقام عليه السلام، وقال: «نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأقربون، وأهل بيته الطيبون، وأحد الثقلين الذين جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثاني كتاب الله تبارك وتعالى، الذي فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعوّل علينا في تفسيره، لا يبطينا

(١) الاحتجاج للطبرسي ص٢٩٧.

تأويله، بل نتبع حقايقه، فأطيعونا، فإنّ طاعتنا مفروضة، أن كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة - قال الله عزّ وجلّ: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول»، وقال: "ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتّبعتم الشيطان إلا قليلاً"»[1].

فلولا تلك السنوات التسع بالخصوص، بين عقد الصلح واستشهاد الحسن عليه السلام -وهي من عوائد الصلح- لما كان وصل إلينا ربما ربع ما وصل من حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته عليهم السلام؛ وكيف لا وكان الحديث النبوي قد منع تدوينه، بل التحديث به، منذ بداية خلافة أبي بكر (إلى اليوم نجد صدى ذلك باستناد البعض إلى رواية موضوعة قطعاً أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تكتبوا عني غير القرآن - وكأنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يعلم أن الله تعالى فوض إليه بيان القرآن ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾[2]، أو كأنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يعلم بآيات طاعة الله المقرونة بطاعته هو صلى الله عليه وآله وسلم، أو لا يعلم أن الذي يصد عن بيانه - وهو الحديث الشريف - يسقط في النفاق «وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله» وهو نص القرآن «وإلى الرسول» وهو الحديث الشريف ﴿**رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً**﴾[3]).

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ص٢٩٨.

(٢) النحل: ٤٤.

(٣) النساء: ٦١.

فسلام الله على الإمامين الحسنين عليهما السلام اللذين استفرغا الوسع في النظر للأمة والنصح لها وبذل النفس من أجل الدين.

وما أجمل التفاتة صاحبة قصيدة سأذكرها في الباب الأخير:

فبَرهنَ المُجتبى للناسِ يومئذٍ بمنطقِ الصبرِ أنَّ الحُكمَ قد فَسدا

تاللهِ ما صبرُه أدنى بمَنزلةٍ من صَبرِ يومِ أخيهِ سيّدِ الشُّهدا

أو كما قال السيد شرف الدين رحمه الله في مقدمته لكتاب «صلح الحسن» تأليف الشيخ راضي آل ياسين رحمه الله:

«كانت شهادة الطف حسنية أولاً، وحسينية ثانياً؛ وكان يوم ساباط -أي دخول المنافقين على الحسن عليه السلام في الخيمة وطعنه- أعرق بمعاني الشهادة والتضحية من يوم الطف عند من تعمق واعتدل وأنصف».

الباب الرابع

من التراث العلمي للإمام الحسن عليه السلام

الفصل الأول

من خطب الإمام الحسن عليه السلام

المرجعية العلمية

روى المؤرخون أن مرجعية الإمام الحسن عليه السلام كانت حاضرة في المدينة المنورة. من ذلك أن الحاضرين لصلاة الفجر في المسجد كانوا يأتون إلى الإمام عليه السلام بعد انتهائه من تعقيباته بعد طلوع الشمس لسؤاله عن المسائل الشرعية، وأنه عليه السلام كان له مجلس مشابه مساء[١].

وكان يدعو الناس إلى مرجعيته. فكما كان يقول أبوه أمير المؤمنين عليه السلام «لم يقل أحد من الصحابة «سلوني» غير علي بن أبي طالب»[٢] كان الحسن عليه السلام ينبه الناس إلى علمه الغزير بقوله: «أيها الناس، إنكم لو طلبتم ما بين جابُلقا وجابِرسا رجلاً جده رسول الله ما وجدتم غيري وغير أخي، وإن معاوية نازعني حقاً هو لي فتركته لصلاح الأمة وحقن دمائها»[٣]، رابطاً بين صلته برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبحقه في إمامة المسلمين التي تعني ضمناً القدرة العلمية السامية التي تحتاجها الأمة.

وصلنا عن الإمام المجتبى عليه السلام روايات في العقائد والفقه وكلمات وخطب وحوارات وأدعية، متناثرة في أمهات الكتب، وجمعت في كتاب «مسند الإمام المجتبى عليه السلام» (أي مع ذكر

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ج٣ ص٢١، وتاريخ دمشق لابن عساكر ج١٣ ص٢٤١، وطبقات ابن سعد ج١٠ ص٢٩٧.
(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ج٣ ص٤٠.
(٣) المناقب لابن شهرآشوب ج٤ ص٣٤.

السند) (الشيخ عزيز الله العطاردي، عالم إيراني له مؤلفات مهمة مسانيد لعلوم أهل البيت عليهم السلام، توفي ٢٠١٥م).

كما جمعت الروايات مع الأشعار التي نسبت إلى الإمام عليه السلام في كتاب «بلاغة الإمام الحسن عليه السلام» للشيخ عبد الرضا الصافي (توفي ١٩٨٨م).

كما جمعت رسائله، وعددها خمس عشرة رسالة، في كتاب «مكاتيب الأئمة عليهم السلام» للشيخ علي الأحمدي الميانجي (توفي ٢٠٠٠م). وتضمن الكتاب وصاياه عليه السلام إلى أخيه الحسين عليه السلام وغيره.

في هذا الفصل أورد بعض خطبه عليه السلام التي لم أذكرها في الفصول السابقة، وفي الفصل التالي أذكر بعض الأحاديث التي رويت عنه عليه السلام.

في حياة أمير المؤمنين عليه السلام

رويت خطب للإمام المجتبى عليه السلام في حياة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، تعطي صورة عن علميته عليه السلام كأحد أفراد الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام المعدّة لهداية الناس، وبالتالي فإن علميته عليه السلام طيلة عمره هي هي، وكما سنجدها عند الأئمة الذين تبوأوا موقعية الإمامة في سن صغيرة.

خطبة استنفار الناس

من ذلك ما روي من استنفار الإمام الحسن عليه السلام وعمار بن ياسر رضي الله عنه الناس لنصرة الإمام علي عليه السلام قبل حرب صفين - قال الراوي: «حدثني جابر بن يزيد، قال: حدثني تميم بن حذيم الناجي، قال: قدم علينا الحسن بن علي عليه السلام وعمار بن ياسر يستنفران الناس إلى علي عليه السلام، ومعهما كتابه، فلما فرغا من قراءة كتابه، قام الحسن -وهو فتى حدث، والله إني لأرثي له من حداثة سنه وصعوبة مقامه- فرماه الناس بأبصارهم وهم يقولون: اللهم سدد منطق ابن بنت نبينا! فوضع يده على عمود يتساند إليه، وكان عليلاً من شكوى به، فقال: «الحمد لله العزيز الجبار، الواحد القهار، الكبير المتعال ﴿**سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ**﴾[1]، أحمده على حسن البلاء، وتظاهر النعماء، وعلى ما أحببنا وكرهنا من شدة ورخاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، امتن علينا بنبوته واختصه برسالته، وأنزل عليه وحيه، واصطفاه على جميع خلقه، وأرسله إلى الإنس والجن، حين عبدت الأوثان وأطيع الشيطان، وجحد الرحمن، فصلى الله عليه وآله وجزاه أفضل ما جزى المسلمين. أما بعد: فإني لا أقول لكم إلا ما تعرفون، إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - أرشد الله أمره، وأعز نصره - بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب، وإلى

(١) الحديد: ١١.

العمل بالكتاب، والجهاد في سبيل الله، وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون، فإن في آجله ما تحبون إن شاء الله. ولقد علمتم أن علياً صلى مع رسول الله ﷺ وحده، وإنه يوم صدّق به لفي عاشرة من سنه، ثم شهد مع رسول الله ﷺ جميع مشاهده. وكان من اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم، ولم يزل رسول الله ﷺ راضياً عنه، حتى غمضه بيده، وغسله وحده، والملائكة أعوانه، والفضل ابن عمه ينقل إليه الماء، ثم أدخله حفرته، وأوصاه بقضاء دينه وعداته، وغير ذلك من أموره، كل ذلك من منِّ الله عليه. ثم والله ما دعا إلى نفسه، ولقد تداكّ الناس عليه تداكّ الإبل الهيم عند ورودها، فبايعوه طائعين، ثم نكث منهم ناكثون بلا حدث أحدثه، ولا خلاف أتاه، حسداً له وبغياً عليه. فعليكم عباد الله بتقوى الله وطاعته، والجد والصبر والاستعانة بالله والخفوف إلى ما دعاكم إليه أمير المؤمنين. عصمنا الله وإياكم بما عصم به أولياءه وأهل طاعته، وألهمنا وإياكم تقواه، وأعاننا وإياكم على جهاد أعدائه. وأستغفر الله العظيم لي ولكم». ثم مضى إلى الرحبة، فهيأ منزلاً لأبيه أمير المؤمنين. قال جابر: فقلت لتميم: كيف أطاق هذا الغلام ما قد قصصته من كلامه؟ فقال: وما سقط عني من قوله أكثر، ولقد حفظت بعض ما سمعت»[1].

(مع ملاحظة أن الحسن عليه السلام لم يكن بعمر يقال عنه حدث أو

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٤ ص١٣، بحار الأنوار للمجلسي ج٣٢ ص٨٨.

غلام، فقط كان قد تجاوز ٣٠ عاماً - ولكن ربما كان الرواة ينظرون إليه كشاب لم يُجرَّب بعد، أيضاً لاسيما بالمقارنة في وجود سيد البلاغة والبيان علي عليه السلام).

انظروا كيف أن المجتبى عليه السلام قدم الطلب بنصرة علي عليه السلام بمختصر من الكلام محيط بشكل يعجز أكثر الناس عن الإتيان به في اختصاره هذا. ذكر نعمة الله تعالى على الناس بسيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم، ثم ذكر سابقة أبيه عليه السلام في الدين، وفضله وجهده وجهاده، ثم آخر عمره في العناية بتجهيز النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته، ثم كيف أن الناس بايعوه بيعة عامة بشكل حماسي كالهيم العطاش عندما تركض مسرعة إلى الماء، وذكر ما حصل قبل صفين من الناكثين وأسباب ذلك من الحسد والبغي؛ بعد ذلك دعا الناس إلى القيام مع أمير المؤمنين عليه السلام. مختصر مفيد من أروع ما يكون حقاً، لا يفوتنك منه البلاغة في بعض مفرداته وفي السبك العام للكلام.

خطبة أخرى للنصرة

روى ابن أبي الحديد: «قال نصر: خطب علي عليه السلام في الجهاد واستنفار الناس إلى الصفين، ثم قام ابنه الحسن بن علي عليه السلام، فقال: «إن مما عظم الله عليكم من حقه، وأسبغ عليكم من نعمه ما لا يحصي ذكره، ولا يؤدي شكره، ولا يبلغه قول ولا صفة؛ ونحن إنما غضبنا لله ولكم. إنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم، واستحكمت عقدتهم، فاحتشدوا في قتال

عدوكم معاوية وجنوده، ولا تخاذلوا، فإن الخذلان يقطع نياط القلوب، وإن الإقدام على الأسنة نخوة وعصمة، لم يتمنع/ يمتنع قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة، وكفاهم جوائح الذلة، وهداهم إلى معالم الملة، ثم أنشد:

والصلحُ تأخذُ منهُ ما رضيتَ بهِ والحربُ يكفيكَ من أنفاسِها جُرَعُ»[1].

خطبة صلاة الجمعة مكان أبيه عليه السلام

روى الشيخ الصدوق:

«أخبرنا أبو عبد الله محمد بن محمد، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب، قال: حدثنا الحسن بن علي الزعفراني، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الثقفي، قال: حدثنا أبو الوليد العباس بن بكار الضبي، قال: حدثنا أبو بكر الهذلي، قال: حدثنا محمد بن سيرين، قال: سمعت غير واحد من مشيخة أهل البصرة يقولون: لما فرغ علي بن أبي طالب عليه السلام من الجمل، عرض له مرض، وحضرت الجمعة، فتأخر عنها، وقال لابنه الحسن عليه السلام: «إنطلق يا بني فجَمِّع بالناس». فأقبل الحسن عليه السلام إلى المسجد، فلما استقل على المنبر حمد الله، وأثنى عليه، وتشهد، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال:

«أيها الناس، إن الله اختارنا بالنبوة، واصطفانا على خلقه،

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣ ص١٨٥، وبحار الأنوار ج٣٢ ص٤٠٥.

وأنزل علينا كتابه ووحيه، وايم الله لا ينتقصنا أحد من حقنا شيئاً إلا تنقصه الله في عاجل دنياه وآجل آخرته، ولا يكون علينا دولة إلا كانت لنا العاقبة «ولتعلمن نبأه بعد حين»[١]. ثم جَمَع الناس، وبلغ أباه كلامه، فلما انصرف إلى أبيه عليه السلام نظر إليه وما ملك عبرته أن سالت على خديه، ثم استدناه إليه فقبل بين عينيه وقال: «بأبي أنت وأمي ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢]»[٣].

من المؤكد أن الحسن عليه السلام تحدث أكثر بكثير من المروي، ولكن المروي اهتم فقط بإشارته عليه السلام إلى موقعيتهم عليهم السلام، والتحذير من التنقص من حقهم أو يكون ضدهم أو متظاهراً عليهم.

ورواها المسعودي بشكل مختلف قليلاً:

«وقد كان علي كرم الله وجهه اعتل، فأمر ابنه الحسن عليه السلام أن يصلي بالناس يوم الجمعة، فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «إن الله لم يبعث نبياً إلا اختار له نقيباً ورهطاً وبيتاً، فوالذي بعث محمداً بالحق نبياً لا ينتقص من حقنا أهل البيت أحد إلا نقصه الله من عمله مثله، ولا تكون علينا دولة إلا، وتكون لنا العاقبة، «ولتعلمن نبأه بعد حين»[٤]»[٥].

---

(١) ص:٨٨.

(٢) آل عمران:٣٤.

(٣) الأمالي للصدوق ص٨٢ حديث ١٢١، وبحار الأنوار ج٣٢ ص٢٢٨.

(٤) ص:٨٨.

(٥) مروج الذهب ج٣ ص٩؛ كما رواها المجلسي في البحار ج٧٨ ص١١٤.

خطبة في الكوفة رداً على الطعن فيه عليه السلام

روى الشيخ المجلسي خطبة أو جزءاً من خطبة في الكوفة كما يلي: «قيل طعن أقوام من أهل الكوفة في الحسن بن علي عليهما السلام، فقالوا: إنه عَيّ لا يقوم بحجة فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فدعا الحسن، فقال: «يا ابن رسول الله إن أهل الكوفة قد قالوا فيك مقالة أكرهها»، قال: «وما يقولون يا أمير المؤمنين؟» قال: «يقولون إن الحسن بن علي عَيّ اللسان لا يقوم بحجة وإن هذه الأعواد، فأخبر الناس»، فقال: «يا أمير المؤمنين لا أستطيع الكلام وأنا أنظر إليك»، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إني متخلف عنك فنادى أن الصلاة جامعة». فاجتمع المسلمون فصعد عليه السلام المنبر فخطب خطبة بليغة وجيزة، فضج المسلمون بالبكاء ثم قال: «أيها الناس اعقلوا عن ربكم ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۞ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[1]. فنحن الذرية من آدم والأسرة من نوح والصفوة من إبراهيم والسلالة من إسماعيل وآل من محمد صلى الله عليه وآله وسلم، نحن فيكم كالسماء المرفوعة والأرض المدحوة والشمس الضاحية وكالشجرة الزيتونة لا شرقية ولا غربية التي بورك زيتها - النبي أصلها وعلي فرعها ونحن والله ثمرة تلك الشجرة، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ومن تخلف عنها فإلى النار هوى».

---

(١) آل عمران: ٣٣-٣٤.

فقام أمير المؤمنين عليه السلام من أقصى الناس يسحب رداءه من خلفه حتى علا المنبر مع الحسن عليه السلام، فقبل بين عينيه، ثم قال: «يا ابن رسول الله أثبَتَّ على القوم حجتك، وأوجبت عليهم طاعتك، فويل لمن خالفك»[1]

(ملاحظة: يبدو أن هناك ما هو محذوف بعد كلمة «وإن هذه الأعواد»، فلعلها «وإن هذه الأعواد كبيرة أو ثقيلة عليه» يقصدون أن المنبر ربما يرتج عليه، فلا يستطيع الكلام أو يحرج منه).

قام الإمام عليه السلام بتوفير تفسير سريع للآية المباركة، وكيف أنهم عليهم السلام الشجرة المباركة التي تؤمن النجاة لممن تعلق بها - والتعلق يكون بأداء حقها من المودة والطاعة والاتباع والنصرة.

نعي أمير المؤمنين عليه السلام

رويت خطبة قصيرة للإمام الحسن عليه السلام ينعى فيها أبيه أمير المؤمنين عليه السلام للناس يوم ٢١ من شهر رمضان سنة ٤٠هـ. وهي على قصرها تعطيك صورة هائلة لأمير المؤمنين عليه السلام في منزلته العظمى عند الله، وفي جهاده بالسيف على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفي زهده، كما في توافق اليوم مع يومين من أيام الأنبياء عليهم السلام ومع نزول القرآن.

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص٣٥٨.

فقد روى الشيخ الكليني بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «لما قبض أمير المؤمنين عليه السلام قام الحسن بن علي عليه السلام في مسجد الكوفة، فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: أيها الناس، إنه قد قبض في هذه الليلة رجل ما سبقه الأولون، ولا يدركه الآخرون، إنه كان لصاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن يمينه جبرئيل وعن يساره ميكائيل لا ينثني حتى يفتح الله له. والله ما ترك بيضاء ولا حمراء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يشتري بها خادماً لأهله. والله لقد قبض في الليلة التي فيها قبض وصي موسى يوشع بن نون والليلة التي عرج فيها بعيسى ابن مريم والليلة التي نزل فيها القرآن»(١).

ورواها أحمد بن حنبل في مسنده بتغييرات طفيفة - أن الإمام عليه السلام قال: «لقد فارقكم رجل بالأمس ما سبقه الأولون بعلم، ولا أدركه الآخرون؛ إن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليبعثه، ويعطيه الراية فلا ينصرف حتى يفتح له؛ وما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبع مئة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم أهله»(٢).

ورواها الهيثمي مثل الذي مر أعلاه مع الزيادة التالية:

«من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وآله وسلم» ثم تلا هذه الآية قول يوسف ﴿**وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ**﴾(٣)».

---

(١) الكافي ج١ ص٤٥٧.
(٢) مسند أحمد ج٢ ص٣٤٤، وج٣ ص٢٤٧.
(٣) يوسف:٣٨.

ثم أخذ كتاب الله، ثم قال منوهاً بمكانة أهل البيت عليهم السلام:

«أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، وأنا ابن النبي، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا ابن الذي أرسل رحمة للعالمين، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله عز وجل مودتهم وولايتهم فقال فيما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾[1]»[2].

هنا يقول للناس: إن الفريضة في أهل البيت عليهم السلام ليست في «المودة» وحسب، ولكن أيضاً «الولاية» - والفارق كبير بين أن تحب شخصاً، ولكن تتوانى عن الائتمام به من جهة ونصرته من جهة أخرى وبين أن تحبه وتواليه حق الموالاة في الاتباع والنصرة.

---

(١) الشورى:٢٣.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٩ ص١٤٦، ورواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار.

الفصل الثاني

من أحاديث الإمام الحسن عليه السلام

هذه جملة من أحاديث الإمام المجتبى عليه السلام، أورد كلاً منها مع تعليق لي بمثابة إطلالة بسيطة ليس إلا، وإلا فإن كلامهم عليهم السلام مما ينبغي إجالة النظر فيه بعناية لاستخلاص الذي أرادوه منه لنا، قياماً منهم بالواجب، ولطفاً بنا، ضمن مسؤوليتهم التي يمكن اختصارها بالآتي:

الشق الأول: بيان الشريعة.

الشق الثاني: حراسة الشريعة.

١ - مكارم الأخلاق «مكارم الأخلاق عشرة: صدق اللسان، وصدق البأس، وإعطاء السائل، وحسن الخلق، والمكافات بالصنائع، وصلة الرحم، والتذمم على الجار، ومعرفة الحق للصاحب، وقري الضيف، ورأسهن الحياء»[1].

هذه العشرة تحتاج كل واحدة منها إلى شرح؛ لأنه ليس من السهولة التمسك بها على النحو المطلوب؛ وذلك لأن الظروف والعلاقات مع الناس مما يضغط على الإنسان بحيث يجعله يجنح بعيداً عنها أو حتى إلى ضدها، فيتجه نحو الكذب والبخل وسوء الخلق ونكران الجميل وقطيعة الرحم وإيذاء الجار والتنكر

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٣٥.

لحقوق الأصحاب وعدم استقبال الضيف وغياب الحياء أو ضعفه. على أن عوائد هذه الأخلاق على النفس كبيرة جداً، فهي تشيع الرضا واحترام النفس، كما تأتي بثمار من الناس، وأهم من ذلك أنها في طريق مرضاة الله عز وجل.

ومعنى «المكافاة بالصنائع» هو إعطاء المكافأة، أي الرد الإيجابي بشكل أو بآخر، على حسن صنع الآخرين إليك، فتكون بهذا قد رددت التحية بمثلها - هذا مجازاً.

ومعنى «التذمم على الجار» هو حفظ ذمامه، أي حفظ واجبات حمايته والعناية به كجار له حقوق معينة.

وأما «معرفة الحق للصاحب» فنأخذ تفصيلها من الإمام زين العابدين عليه السلام من رسالة الحقوق: «وأما حق الصاحب فأن تصحبه بالفضل ما وجدت إليه سبيلاً، وإلا فلا أقل من الإنصاف، وأن تكرمه كما يكرمك، وتحفظه كما يحفظك، ولا يسبقك فيما بينك وبينه إلى مكرمة، فإن سبقك كافأته، ولا تقصر به عما يستحق من المودة؛ تلزم نفسك نصيحته، وحياطته، ومعاضدته على طاعة ربه، ومعونته على نفسه فيما لا يهم به من معصية ربه، ثم تكون عليه رحمةً، ولا تكون عليه عذاباً، ولا قوة إلا بالله».

وأما خلق «الحياء» فلا شك في أنه رأس هذه المكارم كما يعلمنا إمامنا المجتبى عليه السلام؛ لأنه يعني عدم تمكن الإنسان من التطاول على الآخر ولو على نحو ليس فيه حرام أو تجاوز،

بل ينطلق من داخل النفس ربما حتى مع عدم شعور الآخر به، فيستحيي أحياناً من المطالبة حتى بحقوقه المشروعة.

٢ - الدعاء المستجاب «أنا الضامن لمن لم يهجس في قلبه إلا الرضا أن يدعو الله، فيستجاب له»[١].

يا لها من ضمانة من الإمام المستجاب عليه السلام، ويا لها من حالة نفسية تخرج الإنسان من الضعف والاهتزاز أمام الحاجات، فيكون في حالة التسليم لله تعالى، والرضا بما كان من عنده وما سيكون من عنده، مفوضاً أمره إليه تعالى؛ لا أنه يدعو، وهو ساخط على حاله أو خائفاً من عدم تحقق المراد؛ لأن الله أعلم منه بما يصلحه، وما هو خير له. إن فعل ذلك، فإمامنا عليه السلام يضمن له الاستجابة.

٣ - الهدى مدخل التقى، وكيفية معرفة القرآن «واعلموا علمًا يقينًا أنكم لن تعرفوا التقى حتى تعرفوا صفة الهدى، ولن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نبذه، ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرفه، فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف، ورأيتم الفرية على الله والتحريف، ورأيتم كيف يهوي من يهوي»[٢].

---

(١) بحار الأنوار ج٧١ ص١٥٩.
(٢) تحف العقول للحراني ص٢٢٧.

هنا أمران:

الأول: هو ربط التقوى بالهدى - أن تعرف ماهية الهدى من أجل أن تعرف ماهية التقوى؛ لأنك بمعرفة ماهية الهدى ستسعى إليها بالعمل الذي سيتأطر حتماً بإطار التقوى، وإلا لا هدى.

الثاني: أن التمسك بما واثق الله به عباده في كتابه العزيز لا يكون إلا بمعرفة الذين تركوه، وأن تلاوة القرآن حق تلاوته ليست محصورة بضبط الكلمات وحركات الإعراب والصرف وعلامات المد والوقف، ولكن بمعرفة الذين حرفوه؛ لأنه عند ذلك سنعرف البدع والافتراء والتحريف - انطلاقاً من محرفي الكتاب الذين أنشأوا البدع والافتراء والتحريف -، ومن هناك سنعرف طريق السقوط من الذين نراهم يسقطون بعيداً عن الصراط المستقيم.

فهذا الحديث المهم يرسم الطريقة التي ينبغي اتباعها لتلمس طريق التقوى وطريق الكتاب العزيز.

٤ - مكانة التقوى «التقوى باب كل توبة ورأس كل حكمة وشرف كل عمل، بالتقوى فاز من فاز من المتقين»[١].

هذه التقوى -وكم هي مهمة في كتاب الله- يصفها الإمام عليه السلام بأعظم الوصف إذ يربطها بالتوبة والحكمة والعمل. فلو لم يكن المرء ينشد التقوى لما كان تحرك للتوبة، ولو لم يكن يتحرك في إطار التقوى لما تمثّلت الحكمة في نظرته إلى الأمور

(١) تحف العقول للحراني ص٢٣٢، وبحار الأنوار ج٧٨ ص١١٠.

وفي أفعاله، والتقوى هي التي تجعل العمل شريفاً مقابل أن يكون وضيعاً أو ساقطاً من الاعتبار... ثم يقول: إن من فاز من المتقين إنما فاز بتقواه، وليس بصفة أخرى.

٥ - اعرف المرء قبل مؤاخاته. روي قول الإمام الحسن عليه السلام لأحد أولاده: «يا بني لا تواخ أحدًا حتى تعرف موارده ومصادره، فإذا استنبطت الخبرة، ورضيت العشرة فآخه على إقالة العثرة والمواساة في العسرة»[١].

تحذير حسني في قالب نصيحة لنا من خلال نصيحته عليه السلام لأحد أولاده، أن لا نتسرع في العلاقة مع شخص بحيث تصل إلى درجة المؤاخاة (أي الصداقة الوثيقة أو ما يسمى صاحبها بالصديق الصدوق) إلى أن نعرف من أين ينهل علمه وزاده وسائر شؤونه؟ وكيف وإلى أين يتوجه بقوله وعمله؟ ما يكشف كل ذلك عن نيته ودخيلة نفسه؛ وعند الوصول إلى درجة «استنباط الخبرة» أي استطاعة التوصل إلى معرفته حقاً، إضافة إلى الراحة في مخالطته ومعاشرته (إذ يمكن أن يكون قد نجح في الجزء الأول، ولكن لا تتوافق نفسية الشخصين عند المعاشرة)، عندها تعاهده على التجاوز عن إساءاته أو ما يمكن أن يصدر منه من سوء فعل أو قول وعلى أن تقف إلى جانبه في الظروف الصعبة. ولا أدري فيما إذا كان هذان الجانبان - «إقالة العثرة والمواساة في العسرة» تعقد بين الاثنين صراحة، أو ضمناً، حيث أن جميع الصداقات لا

(١) بحار الأنوار ج٧٥ ص١٠٥.

يكون فيها عقد صريح ولكنها ضمناً تحتوي على هذين الجانبين: التجاوز عن العثرات والمساندة في الملمات.

٦ - حفظ العلم «تعلموا العلم، فإن لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه، وضعوه في بيوتكم»[١].

بخلاف من تقدم على أمير المؤمنين والحسن عليهما السلام من الخلفاء الذين كانوا لا يشجعون على العلم، بل كانوا أحياناً يضيقون عليه، بل يردعون الناس عنه، بل حتى يعاقبون عليه[٢]، كان أمير المؤمنين عليه السلام يشجع الناس على التعلم، فيقول: «سلوني قبل أن تفقدوني»[٣] ويقول: «من يشتري مني علماً بدرهم»[٤] أي أن يشتروا ورقاً بدرهم ثم يجلسوا إلى منبره، ويكتبوا الحديث. هنا نجد إمامنا المجتبى عليه السلام صدى لأبيه عليه السلام عندما يشجع الناس على الأمرين: تعلّم العلم، وحفظه بعد تعلمه. والحفظ يمكن أن يكون في الذاكرة، ولكن عند تعذر ذلك - حيث أن الناس يختلفون في قدراتهم الذهنية ومنها قوة الذاكرة - فإنه ينصحهم بكتابته وحفظه في البيوت. هذا سيتضمن حتماً مراجعته ومطالعته، ما يساعد على التخلق به والعمل به خصوصاً بعد نسيان بعضه أو التراخي عن العمل به.

---

(١) إحقاق الحق للسيد نور الله التستري ج١١ ص٢٣٨.

(٢) قصة صبيغ التميمي مع الخليفة الثاني معروفة مشهورة، إحياء علوم الدين للغزالي ج١ ص٣٠، والغدير للأميني ج٦ ص٢٩٠.

(٣) مستدرك الحاكم ج٢ ص٣٨٣، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج١ ص٢٢٢.

(٤) طبقات ابن سعد ج٦ ص١٦، وتاريخ بغداد ج٨ ص٣٥٧.

٧ - التخيير والتحذير «من أحال المعاصي على الله فقد فجر: إن الله لم يطع مكروهًا، ولم يعص مغلوبًا، ولم يهمل العباد سدًى من المملكة، بل هو المالك لما ملكهم والقادر على ما عليه أقدرهم، بل أمرهم تخييرًا، ونهاهم تحذيرًا»[1].

حديث عن الجبر والتفويض، ولكن بمفردات أخرى. يقول عليه السلام: إن من اعتقد أن العاصي مجبور على فعلها وأن الذي أجبره هو الله تعالى فقد ارتكب خطأً، ومال، وانحرف عن الصواب. ثم يوضح عليه السلام الأمر أن الطاعة والعصيان ليس فيهما إكراه كما أنه ليس فيهما غلبة للعاصي على الله تعالى؛ وفي نفس الوقت لم يترك الله عز وجل العباد وشأنهم يفعلون ما يشاؤون؛ لأنه أولاً المالك للآلات التي بها يطيعون، ويعصون، وثانياً القادر على الأفعال التي أعانهم على فعلها إن من خلال الآلات التي خلقها لهم -في أجسامهم وعقولهم- وإن في الظروف التي يهيئها لهم. فقد أنزل إليهم الأوامر مع تخييرهم بفعلها، أي أعطاهم الحرية في ذلك، ولكنه لم يتركهم دون إرشاد، فأنزل مع الأوامر النواهي التي تحذرهم من أن السقوط فيها يعني الخسارة في الدنيا أو الآخرة أو الاثنتين معاً.

هذا تعبير آخر لقول الصادق عليه السلام المروي عن حفيده الرضا عليه السلام، في توضيحه للسؤال الأزلي: هل الإنسان مخير أم مسير؟

---

(١) تحف العقول للحراني ص٢٣١.

قال عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين»[١] - فالعبد ليس مجبوراً تماماً ولا مفوضاً إليه الأمور تماماً، ولكن في مساحة بينهما. هذه المساحة هي أن الله تعالى يتدخل لمساعدتهم على الطاعة أو منعهم من المعصية أو تركهم لفعل هذه أو تلك بقدر معين، صغر أو كبر، بمقتضى الحكمة الإلهية في جريان الأحداث في الدنيا.

٨ - مداومة الذهاب إلى المساجد «من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب إحدى ثمان: آيةً محكمةً، وأخًا مستفادًا، وعلمًا مستطرفًا، ورحمةً منتظرةً، وكلمةً تدله على الهدى أو ترده عن ردًى، وترك الذنوب حياءً أو خشيةً»[٢].

يعلم جميع المسلمين أهمية المسجد في المجتمع، كما يشعرون بخصوصيته. فهو مكان للعبادة أولاً، وللحصول على الراحة النفسية ثانياً، والشعور بالأمن والأمان ثالثاً، ولكن للقاء الآخرين أيضاً (وإن كان هذا في العهد النبوي وما بعده ربما في القرون الأولى بعد ذلك، ولم يعد كما كان، ولكنه يبقى مكاناً للقاء؛ هذا غير أن بعض المساجد فيها قاعات مخصصة لنشاطات أخرى).

هناك من يذهب إلى المسجد في أيام شهر رمضان أو لياليه، أو في صلاة العيدين فقط، أو أكثر من ذلك في صلوات يوم الجمعة، وهناك من يذهب بشكل يومي، ولا سيما إذا كان جار

(١) بحار الأنوار ج٥ ص١١.
(٢) تحف العقول ص٢٣٥.

المسجد (والذي يجعل الكثير من الفقهاء صلاة الفروض اليومية تجب عليه في المسجد، وليس في بيته). الحديث عن الذي يديم زيارة المسجد.

يقول الإمام عليه السلام: إن هناك ثمانية فوائد يمكن أن يصيبها من يديم الذهاب إلى المساجد: فهم آية من القرآن، أو علاقة أخوية، أو علماً جديداً لم يكن عنده من قبل، أو رحمة من الله تعالى تُنتَظر في بيت من بيوته، أو كلمة من خطيب منبر أو متحدث أو من شخص يحاوره تدفعه إلى طريق الهدى، أو كلمة أخرى تمنعه من السقوط في الضلالة، أو ترك مقارفة الذنوب إما حياء من الناس هناك أو حياء من الله بعد ذلك إذ كيف يكون ممن يديم زيارة المساجد وهي بيوت الله تعالى ثم يقارف الذنوب التي لا يرضاها الله، أو خوفاً من الله، أو ربما خوفاً من الناس أن تطيح سمعته عندهم. وكل هذه فوائد، بل فوائد جمة ينبغي للمؤمن أن لا يهملها في حياته، والإمام عليه السلام يخبرنا أنها مفتوحة أمامك في المسجد الذي ربما يكون قريباً منك.

٩ - العقل والجهل والعجب وحسن الخلق «لا غنى أكبر من العقل، ولا فقر مثل الجهل، ولا وحشة أشد من العجب، ولا عيش ألذ من حسن الخلق»[١].

حديث جميل يرفع من قيمة العقل وحسن الخلق إلى أعلى

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة لِلأربلي ج٢ ص١٩٦.

مستوى بحيث يكون العقل أكبر الغنى، ويكون حسن الخلق ألذ أنواع العيش. وفي المقابل، يهبط بالجهل والعجب إلى أدنى مستوى إذ يجعل الجهل أشد الفقر والعجب أشد الحالات وحشة على صاحبه.

ذلك أن تتصف بالعقل يعني أنك تعالج الأمور بشكل لائق وصحيح وحكيم، فتكون أغنى بكثير ممن يفتقد إلى ذلك وإن كان هو أغنى منك مالاً.

وأن تتصف بحسن الخلق يعني أنك تعيش راضياً عن نفسك، واثقاً برضا الله تعالى عنك، وحائزاً على رضا أكثر الناس، وهذا يعطيك عيشاً ألذ من لذائد الدنيا الأخرى؛ لأن اللذة النفسية لا تعادلها اللذائذ الجسدية، فهي لذة دائمة.

على عكس ذلك، الجهل يجعلك في وضع لا تحسد عليه، فكأنك كفقير المال، بل أشد فقراً، وهو الذي لا يستطيع ترتيب أموره، فالجاهل لا يستطيع ترتيب نظرته إلى الحياة في ظروفها وعلاقاتها وحتى في عمله الذي يمكن أن ينتج عنه الفقر المادي أيضاً.

أما العُجب فهو يجعلك وحيداً، فمن جانب أنت تشعر بالانتفاخ فتبدو نفسك لك أنها أعلى من أن تخالط الآخرين، وإن خالطتهم فربما تخالطهم مخالطة تنفّرهم منك، والنتيجة هي وحشة حقيقية في الداخل والخارج.

١٠ - فائدة المشاورة «ما تشاور قوم إلا هدوا إلى رشدهم»[١].

المشاورة تأتي بعائدة الهداية إلى الطريق الصحيح. لماذا؟ لأن المشاورة تعني أن المتشاورين يقرون بأن ما يفكرون به وكيفية فعله أو الوصول إليه ربما لا يكون هو الصحيح أو الطريق الأمثل إلى الهدف، فإن تشاوروا حوله فإن أفكاراً أخرى ستنفتح، وخبرات أخرى ستخدم القضية. إن التفكير يعني استثمار عقلك، ولكن المشاورة تعني استثمار عقول الناس أيضاً - قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من شاور الناس شاركها عقولها»[٢].

١١ - أسباب هلاك الناس «هلاك الناس في ثلاث: الكبر، والحرص، والحسد. الكبر به هلاك الدين وبه لعن إبليس؛ والحرص عدو النفس وبه أخرج آدم من الجنة؛ والحسد رائد السوء وبه قتل قابيل هابيل»[٣].

ثلاث آفات يحذرها الإمام الحسن عليه السلام منها. يقول: إن الكبر يأتي بالطامة الكبرى، وهي هلاك الدين، وقد روي الحديث القدسي المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في ناري»[٤]، وذلك لأن المتكبر ينفصل عن الآخرين، وربما ينفصل عن العلاقة الطبيعية مع خالقه

(١) بحار الأنوار ج٧٥ ص١٠٥.
(٢) نهج البلاغة ج٤ الحكمة ١٥٨.
(٣) بحار الأنوار ج٧٥ ص١١١.
(٤) جامع أحاديث الشيعة للبروجردي ج١٣ ص٤٤٥، وقريب منه سنن أبي داود ح٤٠٩٠.

ورازقه تعالى، الأمر الذي نشاهده عند البعض عندما يتصورون أنهم قد حازوا على علوم الأولين والآخرين.

وأما الحرص، فيجعل الإنسان لاهثاً وراء ما تميل إليه نفسه، فيفعل كل شيء من أجل الحصول عليه أو تنفيذه، ولكنه يؤذيها بأشد ما يكون، ما ربما ينتج عنه خسارة كبيرة كخروج آدم عليه السلام من نعيم الجنة إلى معاناة الأرض. نعم، الحرص على تنفيذ هدف نبيل أمر محمود، ولكن حتى هذا ينبغي أن يكون بتوازن بين الإمكانيات والهدف ودون قتل النفس من أجل الوصول إلى شيء ربما لا يكون فيه الفائدة المرجوة أصلاً.

١٢- أطلب دون مبالغة، وتوكل دون استسلام «لا تجاهد الطلب جهاد الغالب، ولا تتكل على القدر اتكال المستسلم»[١].

الجزء الأول من هذا الحديث الجميل يرتبط بما قلته آخر التعليق على الحديث السابق: أن لا يقتل الإنسان نفسه من أجل الوصول إلى ما يريد. فينصح الإمام عليه السلام أن لا تتعامل مع الهدف أو الطلب بشكل وكأنها مغالبة أو عراك مع الدنيا بحيث ربما تذهل عن حقيقة أنه ربما لا يكون في مصلحتك أصلاً، وحتى لو كان، أو هو من الأمور الراجحة قطعاً، فإن طلبه يجب أن يكون بتوازن وهدوء حتى مع العزم الأكيد وبذل الجهد المطلوب.

في المقابل، لا يجوز أن تتراخى عن ذلك بحيث تتكل على أن

(١) بحار الأنوار ج٧٨ ص١٠٦.

القدر سيفعل فعله على أية حال فلماذا التعب! كلا، التوازن حالة مفصلية ضرورية بين بذل الجهد في التفكير والتخطيط والتنفيذ وبين ترك الأمر مفتوحاً للاحتمالات وفي إطار انتظار المدد اللطيف من اللطيف الرحيم تعالى.

١٣- مكانة التقوى والتفكر «أوصيكم بتقوى الله، وإدامة التفكر، فإن التفكر أبو كل خير وأمه»(١).

هنا وصيتان: الأولى تتعلق بالتقوى، والتقوى مبثوثة في القرآن بحيث يعلم أي قارئ للقرآن أنها من أهم ما يمكن أن يتأطر به المؤمن، بل هي الأهم من بعد سلامة أسس العقيدة عنده. فهي ليس فقط ﴿أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(٢) ويا لها من معية تصغر الدنيا بأسرها عند المؤمن...

أو ﴿فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾(٣) وما أسعد الإنسان أن يكون من محبوبي الله تعالى (لقد عد قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحق علي عليه السلام ليلة إعطاء الراية في خيبر «ويحبه الله ورسوله» من أعظم ما قيل بحقه عليه السلام إن لم يكن أعظم ما قيل، وكيف لا وقد تأكد حب الله تعالى له عليه السلام بشكل صريح أي أنه عليه السلام وصل الغاية العظمى لأي مؤمن)...

ولكن أيضاً ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(٤) وهذه الأخيرة جليلة

---

(١) تنبيه الخواطر ونزهة الخواطر لورام المالكي الأشتري ج١ ص٥٣.
(٢) البقرة:١٩٤.
(٣) آل عمران: ٧٦.
(٤) المائدة:٢٧.

تجعل المؤمن في حالة تساؤل دائم فيما إذا كان عمله سيتقبل أم لا، أي هل هو من المتقين أم لا؟

أما الثانية -التفكر- فقد وصل بها إمامنا الحسن عليه السلام الغاية إذ عبر عنها بتعبير جميل، ربما كان من التعبيرات العرفية وقتها، أنه «أبو كل خير وأمه»! تأمل أن أمراً يمكن أن يقوم به أي إنسان سيحيط بك بخير يمكن أن يأتيه أو يحصل عليه أو يتفاعل معه. هذا الخير لا يتصل بالدنيويات وحسب ولكن أيضاً بما فيه سعادته النفسية - روي قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «فإن التفكر حياة قلب البصير»[1] - الإنسان البصير، بمعنى البعيد عن العمه، يشكل التفكر حياة لقلبه، إن شئت قلبه بمعنى عقله وبالتالي فإن العقل يعيش - من خلال عملية التفكر - في حالة حياة؛ لأن وظيفته التفكير والتفكر، وإن شئت قلبه بمعنى نفسه فإنه سيعيش حالة البصيرة العارفة بالأمور المنفتحة على الحقائق.

١٤ - نتيجة الانتقاص من حقهم عليه السلام «والذي بعث محمدًا بالحق لا ينتقص أحد من حقنا إلا نقصه الله من عمله»[2].

عندما يريد المعصوم أن يؤكد على أمر فإنه يجذب الانتباه إليه من خلال القسم. والقسم بالله تعالى يتخذ أشكالاً مختلفة، منها المباشر بلفظ الجلالة - مثلاً قول «والله» -، ومنها غير المباشر -مثلاً «والذي نفسي بيده» أو «والذي فلق الحبّة، وبرأ النّسمة»-،

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج٩٢ ص١٧.
(٢) أمالي الشيخ الطوسي ص٨٢ ح١٢١، وبحار الأنوار ج٣٢ ص٢٢٨.

ومنها ما يجعله مرتبطاً بالعقيدة الدينية - مثلاً «ورب الكعبة» حيث تعظيم الكعبة عند المسلم. القسم الذي استخدمه الإمام الحسن عليه السلام في هذا الحديث من النوع الأخير، فقد أقسم بالله تعالى الذي بعث النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالحق - هذا قسم جميل يربطك بسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وبالدين المنزّل عليه.

فلماذا هذا القسم؟

لأن متعلق القسم أمر عظيم أصلاً، كما أنه مما سيعترض عليه الكثيرون كونه يتعلق بأهل البيت عليهم السلام الذين صارت موقعيتهم ومنزلتهم عند أكثر الناس أقل بكثير من حقيقتها بعد الظروف التي مرت بها الأمة منذ وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحتى زمان القائل، الحسن عليه السلام.

فما هو متعلق هذا القسم؟

إنه العلاقة بين العمل الصالح الذي يقوم به المسلم وحق أهل البيت عليهم السلام بمعنى منزلتهم عند الله تعالى وموقعيتهم في الدين. فإن كان المسلم عارفاً لحق أهل البيت عليهم السلام فإن أجر أعماله الصالحة تأتيه كاملة تامة من هذه الجهة (لأنها ربما تكون منقوصة من جهات أخرى، كالنية والظروف والطريقة وغيرها من متعلقات العمل). أما إذا كان على غير ذلك بحيث ينتقص من حقهم عليهم السلام، فلا يقبل ولايتهم أو اتباعهم، أو حتى يشكك في الذي جاء من فضائلهم في الصحاح من تفسير القرآن أو الحديث، أو أسوأ منه

أن يطعن فيها، ويردها وهو يعلم أنها صحيحة، عندها كما انتقص من حقهم عليهم السلام فإن الله ينقص من أجر أعماله الصالحة.

وهذا ليس غريباً في الدين، فإننا نجد أن رفع الصوت فوق صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمكن أن يحبط الأعمال الصالحة ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾[1]. وذلك لأن هذا العمل - رفع الصوت أو الحديث معه صلى الله عليه وآله وسلم بالجهر كما يفعلون مع غيره صلى الله عليه وآله وسلم - يعني عدم احترامه صلى الله عليه وآله وسلم من جهة، كما يعني -صراحة أو مجازاً- عدم قبول ما يقوله أو يأمر به وإلا لماذا رفعوا الصوت لو لم يكن اعتراضاً على ما يقول أو طرحاً مزعجاً له على أقل تقدير؟ إن حبط العمل أشد سوءاً من نقصان العمل، لأن الأول ينهيه تماماً، وعليه فلا عجب في قول المجتبى عليه السلام، حيث أنهم عليهم السلام ولاة الأمر بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤدون عنه شريعته الخاتمة، فمن ينتقص من هذه المكانة فإنه يبتعد عن الطريق المستقيم وهذا لا شك في أنه ينقص من الأعمال الصالحة - نعوذ بالله، وبه نستجير.

---

(١) الحجرات: ٢.

الباب الخامس

بين المعرضين والموالين

الفصل الأول

بعض العجائب من تعامل العلماء مع الإمام الحسن عليه السلام

في هذا الفصل القصير، لا نريد فتح جروح ما حصل مع أبي محمد عليه السلام، وهو يشهد كيف تعاملوا مع أمه وأبيه عليهما السلام، ولا ما فعلوه معه يوم ساباط بالعراق، ولا ما فعله الباغي معه إلى أن تخلص منه غدراً بالسم، ولا ما فعله غيره من منع دفنه إلى جنب جده صلى الله عليه وآله وسلم...

ولكن هناك ما تعامل معه من غير هؤلاء مما لم يكن له أي مبرر فيما أرى، فإننا في سياق الحديث عنه عليه السلام يناسبه الحديث عن موقعيته في الخلافة وفي العلم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه يتصل بخروج الأمة من هذا الذي تجد نفسها فيه والذي حذرنا القرآن والنبي صلى الله عليه وآله وسلم منه مراراً.

مع المؤرخين

الخليفة المشطوب من الراشدين!

لو سألت المسلمين في كل مكان: «من هم الخلفاء الراشدون؟»

أجابوك: أربعة - أبو بكر وعمر وعثمان وعلي.

فلو سألناهم: لماذا هم فقط هؤلاء؟

أجاب المطلع منهم: لأن الخلافة تحولت بعدهم إلى ملكية، خلافة بني أمية (وربما أضافوا بداية من معاوية بن أبي سفيان!)

فلو سألناهم: إذاً، لم يفصل ولا يوم واحد بين مقتل الإمام علي عليه السلام وبداية حكم معاوية، أ ليس كذلك؟

أتوقع سيجيب البعض بـ «نعم»، والبعض الآخر «لا أدري».

ولكن هناك من «العلماء» من «يعلم» أن هناك فاصلاً مدته نحو ٦-٨ أشهر، هي مدة «خلافة» الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

وهي خلافة ممتدة بعد خلافة أبيه عليه السلام مباشرة، وبايعته عليها جميع المناطق الإسلامية التي كانت خاضعة لخلافة أبيه عليه السلام (وهي جميع العالم الإسلامي يومها عدا الشام ومصر حيث كانت تحت سيطرة معاوية، بالغصب والقوة العسكرية غير الشرعية).

وهذه خلافة بدأت بخطبة للحسن عليه السلام صبيحة مقتل أبيه عليه السلام؛ قال الطبري[1]:

«ذكر بيعة الحسن بن علي. وفي هذه السنة أعني سنة أربعين بويع للحسن بن علي بالخلافة، وقيل إن أول من بايعه قيس بن سعد قال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه وقتال المحلّين، فقال له الحسن: "على كتاب الله وسنة نبيه

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٤ ص١٢٣.

فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط، فبايعه، وسكت، وبايعه الناس"».

وفي تاريخ اليعقوبي[١]:

"واجتمع الناس فبايعوا الحسن بن علي، وخرج الحسن بن علي إلى المسجد الجامع، فخطب خطبة له طويلة..." وفي مقاتل الطالبيين[٢]:

«خطب الحسن بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «قد قبض في هذه الليلة رجل لم يَسبقه الأولون، ولا يُدركه الآخرون بعمل...».

ثم قال: «أيها الناس، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير، أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول: ﴿**وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾[٣]، فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت».

فلما انتهى إلى هذا الموضع من الخطبة قام عبد الله بن العباس بين يديه، فدعا الناس إلى بيعته، فاستجابوا، وقالوا: ما

---

(١) ج٢ ص٢١٤.
(٢) لأبي الفرج ص٣٢.
(٣) الشورى: ٢٣.

أحبه إلينا وأحقه بالخلافة! فبايعوه، ثم نزل من المنبر".

وكتب عليه السلام إلى الباغي معاوية رسالة يعلن فيها بيعة المسلمين له:

«إنّ علياً لما مضى لسبيله - رحمه الله عليه يوم قبض ويوم منّ الله عليه بالإسلام ويوم يبعث حيّاً - ولّاني المسلمون الأمر بعده».

فخلافة الإمام الحسن عليه السلام بدأت يوم ٢١ من شهر رمضان سنة ٤٠هـ، وانتهت يوم تسليم الحكم إلى معاوية في ٢٥ من شهر ربيع الأول أو ربيع الثاني أو جمادى الأولى سنة ٤١هـ[١].

وقد وصف بعض المؤرخين الحسن عليه السلام بـ «خامس الخلفاء الراشدين» استناداً إلى حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم[٢]، ولكن هذا غير منتشر عند العلماء والعامة، بل يكاد يكون معدوماً ذكره عبر القرون وإلى يومنا هذا.

فما هو السبب؟

لماذا هذا الإعراض والمجانبة للإمام الحسن عليه السلام الخليفة الشرعي بعد أبيه.

فإن قالوا: إنه لم يكن هناك إجماع عليه، قلنا: إن أباه عليه السلام لم يكن عليه إجماع - نفس المعارضين لأمير المؤمنين عليه السلام

(١) مروج الذهب للمسعودي ج٢ ص٤٢٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص٥.
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج٦ ص٢٥٠، ومروج الذهب للمسعودي ج٢ ص٤٢٩.

بقوا على موقفهم من الحسن عليه السلام؛ فلماذا يعتبر علي عليه السلام خليفة راشدي بينما الحسن عليه السلام ليس منهم؟

هذا، مع أننا لا نعير لهذه الصفة "الراشدي" أهمية إلا إذا استخدمت في موضعها، حيث حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضّوا عليها بالنواجذ» بالتشخيص الصحيح للخلفاء الراشدين المهديين هؤلاء؛ واللطيف المهم هو تصدير الكلام بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فإنه من يعِش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً» ما يعني الاختلاف بعده في زمان الخلافة الراشدة لأن الأكثرية العظمى من الصحابة قد قضوا أثناءها، والحديث موجه إليهم؛ كما أنه من المهم التحذير الخطير آخره «وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة» - وأي بدعة ومحدث من الأمر أشد من الذي جرى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة وما نتج عنه..[1].

فهي إذاً خلافة صحيحة حقيقية استمرت عدة أشهر، وليست قضية خيالية. مع ذلك، فإن هؤلاء "العلماء" لا يذكرون الحسن عليه السلام من ضمن الراشدين! فهل من مخبر لي لماذا؟!

وما يدل على سوء القصد من العلماء في هذا أنهم عندما يسألون عن حديث عندهم أن الخلافة التي على منهاج النبوة ثلاثون سنة - قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي

(١) الحديث صحيح أخرجه ابن ماجة في سننه رواية ٤٢، وأبو داود في سننه رواية ٤٦٠٧، والترمذي رواية ٢٦٧٦ وأحمد في مسنده رواية ١٧١٤٥.

الله الملك -أو ملكه- من يشاء»[1] فإنهم يثبتون الحديث اعتماداً على ضم خلافة الإمام الحسن عليه السلام إليها (حيث أن الثلاثين سنة لا تتم بعد سنة ١١هـ وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا سنة ٤١هـ وبالتالي سنة تنازل الحسن عليه السلام عن الخلافة)؛ مع ذلك، يستمرون -في كلامهم وخطبهم ومناهجهم التعليمية- في إهمال هذه الخلافة!

فيا لها من طاعة في «مودّة أهل البيت» النازلة في الكتاب العزيز!

مع المُحَدّثين

فتش البخاري، ولن تجد الحسن عليه السلام!

كم طاف في البلدان، ولكنه لم يجد حديثاً للحسن عليه السلام يستحق الرواية!

في الفصل السابق رويت بعض المرويات عنه عليه السلام في الأخلاقيات والعلاقة بالله والحياة والتقوى والعلم والتفكر كل منها يضيف، ويزيّن أي كتاب، فما بال الشيخ محمد بن إسماعيل البخاري الذي كان يطوف البلدان بحثاً عن أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يجد حديثاً من أحاديث الحسن عليه السلام، وكلها عن جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم - لأنهم لم يجلسوا إلى معلم غير مدينة العلم صلى الله عليه وآله وسلم وبابها عليه السلام -، لم يجد ولا واحداً يخرجه من ضمن الألوف من الأحاديث

(١) سنن أبي داود رواية ٤٦٤٦.

التي اعتقدَ أنها صحيحة، وأكثر رواتها من لا يصلون إلى الحسن المجتبى عليه السلام في علم أو تقوى، ومنهم من اتفقت كلمة الناس على سوئه كمروان بن الحكم الذي أخرج له البخاري؟!

نعم، البخاري لم يخرج حديثاً واحداً، للإمام جعفر الصادق عليه السلام الذي درست المشايخ بألوفها على يديه، والذي طبق علمه الآفاق، وقال فيه رؤساء المذاهب من الثناء ما لم يقولوه في غيره، ولكن الصادق عليه السلام ليس صحابياً، فليس بمستوى أبي هريرة!

ولكن الحسن المجتبى عليه السلام صحابي، وسبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ورابع أصحاب الكساء المطهرين، ورابع وفد الله لمباهلة النصارى، وسيد شباب أهل الجنة - كل هذه لم تشفع له عند كبير المحدثين الذي حكموا على جميع مرويات كتابه بالصحة وبوجوب الاتباع، فبخل على كتابه ولو بحديث واحد لأبي محمد عليه السلام؟!

ولكن دعونا نحسن الظن، فمن يدري، لعل الشيخ البخاري كان سيضيف من روايات الحسن عليه السلام، فإنه لم يتم كتابه عندما توفي[1].

على أية حال، لا بد أن نثني على إخراجه بعض الأحاديث التي تكفي وحدها في إثبات الذي نقول لولا التعصب.

فما بال الأمة اليوم؟

---

(١) تجدون أبواباً بعناوين، ولكنها فارغة من الروايات.

اذهبوا بها إلى الأمم، واسألوهم، لو ذهبتم بهذه الموارد أعلاه (مع أنها لم تشر إلى سائر التعامل المؤسف للأمة مع الحسن عليه السلام، في أبيه وأمه وأخيه، وما عاشه من هذا في حياته الشريفة يوماً بيوم)، ووضعتم قبال هذا ما نزل فيه في القرآن والسنة وما قاله فيه العلماء والشعراء والباحثون، هل سيصدق أحد منهم أن هذا هو ذاك؟!

أي أمة تفعل هذا، ولا تزال تصر عليه، مع مثل الحسن المجتبى عليه السلام؟

ثم يتساءلون: لماذا نحن على هذا الحال؟!

لم يزل المولى عز وجل يناديكم ليل نهار: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[1] وأنتم عنهم معرضون وعلى غيرهم مقبلون!

فماذا تنتظرون، وهذا هو المعيار: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ...**﴾ لو أنهم «اتقوا» (ومن ضمنه ﴿**اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾)، وإلا، ﴿**... وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**﴾[2].

في آخر الفصل السابق -أحاديث عن الإمام الحسن عليه السلام- ذكرت قوله عليه السلام: «والذي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالحَقِّ، لا ينتَقِصُ أَحدٌ مِن

---

(١) التوبة:١١٩.

(٢) الأعراف:٩٦

حقِّنا إِلا نَقَصَهُ اللهُ مِن عَمَلِهِ».

نسأل الله أن يجذبنا إليه بعيداً عن أن ننتقص من حقهم عليهم السلام أو نغفل عن منازلهم أو موقعهم في الدين، بل أن يجعلنا لحقهم عارفين ولندائهم مجيبين ولعلمهم متبعين، إنه سميع مجيب.

الفصل الثاني

عندما يزدان الشعر بالإمام المجتبى عليه السلام

كما هو الحال في غيره من الموارد، فإن الشعر في الإمام الحسن عليه السلام، سواء المديح أو الرثاء، شحيح، بل شحيح جداً... إن شيعة علي عليه السلام بخلوا أيّما بخل على الحسن السبط عليه السلام بالثناء بالشعر وغيره، كما بخلوا على جده أبي طالب عليه السلام وجدته خديجة الكبرى عليها السلام.

فيما يلي قصيدتان مخصصتان للإمام عليه السلام، إحداهما للشيخ «أحمد الوائلي» رحمه الله تعالى، والثانية لأخت نشرتها في أحد المواقع/ المنتديات تحت اسم «صابرة».

وقصيدة ثالثة من نظمي، فيها ذكر الإمام الحسن عليه السلام في سياق الإشارة إلى العلاقة الوثيقة بين العراق وأهله وأهل البيت عليهم السلام.

قصيدة الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله

بيــن الــنبوّةِ والإمــامة مَــعقِدُ
يَنْــميهِ حــيدرةٌ ويُــنجِبُ أحــمدُ

يَــزدانُ بــالإرثِ الــكريم، فعَزْمــةٌ
مِــن حــيدرٍ، ومــن النبــوّة سُــؤدَدُ

فــإذا ســما خُــلُقٌ وطــابت دَوحــةٌ
فــالمرءُ بــينهما الــسَّرِيُّ الأوحــدُ

يــا أيُّــها الحسنُ الزكــيُّ، وأنــت مِـن
هــذي الــمصادر لــلــروائع مَــورِدُ

أ أبــا مــحمّدَ أيُّــها الــفَرخُ الــذي
آواهُ مِــن حِــجْر الــنبوّةِ مَــقعدُ

وشَــدَتْ لــه الــزهراءُ تمــلأ مَهــدَهُ
نغــماً غــداةَ تَــهزُّهُ وتُــهَدهِدُ

ورَعَــته بــالزّادِ الــكريم عِــنايةٌ
للــه تُغــدِقُ بــالكريم وتَــرفِدُ

عَــيناهُ تــستجلي مــلامحَ أحــمدٍ
وبــسمعهِ الــوحيُ الــمبينُ يُــردِّدُ

ويَــربُّهُ الــمحرابُ وهــو مُطــوَّقٌ
عــنُقُ الــنبيّ غَــداةَ فــيه يســجدُ

وتَــشُدُّ عــزمتَه مــلاحمُ لــلوغى
حُــمْرٌ.. أبــوه بــها الهِزَبْــرُ المُلْبِــدُ

زَهَـتِ النجومُ على سَـماكَ، وليس في
أُفُــقٍ نُـمِــيتَ إلــيه إلّا فــرقدُ

ولــك الــمواقفُ والــمشاهدُ واحــدٌ
يــروي.. وآخَــرُ بــالبطولة يَشــهدُ

فبــإصبهانَ ويــومَ قُــسْطنطينةٍ
مــاضي شَــباكَ لــه حديــثٌ مُسـنَدُ

والــنهروانُ وأرضُ صِــفّينٍ بــها
أصــداءُ ســيفكَ مــا تــزال تُعربِــدُ

وأبــوك حــيدرُ، والــحَيادرُ نسـلُها
مِــن سِــنخِها.. وابـنُ الحسـامِ مُهَنَّـدُ

وعَــذَرتُ فــيك الــمُرجِفينَ، لأنّهــم
وُتِــروا.. وذو الــوِترِ المُدمّـى يَحقِـدُ

قــالوا: تنـازلَ لابـن هنـدٍ.. والهـوى
يُــعمي عــن القـولِ الصـوابِ ويُبعـدُ

مــا أهــونَ الــدنيا لديــكَ وأنــت مِـن
وَكْــفِ الــسَّحابةِ فــي عطــاءٍ أجــودُ

والحُكْم لولا أن تُقيمَ عدالةً
أنكى لديك مِن الذُّعافِ وأنكدُ

ويَهون كرسيٌّ لمَن أقدامُهُ
تَرقى على صدر النبيِّ وتصعدُ

أوَ يبتغي منه السيادةَ مَن لَهُ
شَهِد النبيُّ وقال: إنّك سيّدُ؟!

قد قادنا للصِّدقِ فيه محمّدٌ
ومُذَمَّمٌ مَن لم يَقُدْهُ محمّدُ

يا مَن تَمرُّ به النجومُ وطَرفُهُ
نحوَ السماء مُصوِّبٌ ومُصعِّدُ

تَتناغمُ الأسحارُ مِن ترديدهِ:
إيّاك ربّي أستعينُ وأعبُدُ

يتلو الكتاب، فينتشي مِن وعدِهِ
ويَهزُّهُ وَقعُ الوعيدِ فيُرعِدُ

روحٌ بآفاق السماءِ مُحلِّقٌ
ويدٌ بدَينِ المُعْوِزين تُسدِّدُ

وسماحةٌ وَسِعَت بُنبلِ جذورِها
حتّى لمروانٍ وما يَتولَّدُ

وجَرَعتَ أشجانَ ابنِ هندَ لؤمَهُ
كالليث إذ ينقادُ وهو مُقيَّدُ

أزجى إليك السُّمَّ وهو سلاحُهُ
ويدُ الجبانِ بِغِيلةٍ تَستأسِدُ

فتَقَطَّعتْ أحشاك وانطفأ السَّنا
وذَوَت شِفاهٌ بالكتابِ تُغرِّدُ

واستوحشَ المحرابُ حَبراً طالما
ألفاهُ في كَبِد الدُّجى يتهجّدُ

يا تُربَ طَيبةَ يا أريجَ محمّدٍ
يا قُدسُ عطَّرهُ البقيعُ الغَرقدُ

أفدي صعيدَكَ بالجِنانِ.. وكيف لا
وبنو عليٍّ في صعيدكَ رُقَّدُ

حسنٌ وزينُ العابدين وباقرٌ
والصادقُ البحرُ الخِضَمُّ المُزبِدُ

أُولاء هُم عِدْلُ الكتابِ ومَن بهم
نهجُ النبيّ وشرعُهُ يتجدّدُ

وهمُ ذوو قُربى النبيّ.. فويلُ مَن
قَتَلوا بقتلِهمُ النبيَّ وألْحَدوا

وأبَوا عليهم أن يُشيَّد مَرقدٌ
لهمُ.. وشُيِّد للتوافهِ مرقدُ

مهلاً فما مُدِح اللُّبابُ بقشرِهِ
والسيفُ يبني المجدَ وهو مُجرَّدُ

لا بــدّ مِــن يــومٍ عــلى أجســامِهم
كــمِثالِ أهــلِ الكهـف يُبنـى مسـجدُ

حــيَّتْكَ يــا روضَ الــبقيعِ مشــاعرٌ
قــبلَ الــجِباهِ عــلى تُرابـك تَسـجُدُ

ورَوَت ثَــراكَ عــواطفٌ جــيّاشةٌ
وسَــقَت رُبــاكَ مــدامعٌ لا تَــبرُدُ

قصيدة الأخت «صابرة» في الإمام المجتبى عليه السلام

هذه القصيدة الجميلة، في معناها ومبناها، بتوقيع «الأخت صابرة»، تضمنت موارد عديدة منها الصلح وما جرّه الإمام عليه السلام على نفسه من أجل الإسلام والمسلمين[1].

سبط الرسول وشبل المرتضى وُلدا
فيا سماء اشهدي أنّا به سُعَدا

وراح يشرقُ حتى اليوم طالعه
بدراً توهج نوراً واستطال مدى

ودوحةٌ من رسول الله وارثةٌ
ومن عليها مع الزهراء متحدا

تقر للمصطفى عينٌ بمولده
وألفُ عينٍ وعينٌ للنبي فِدا

واستقبل الدهرُ صبحَ الخير في حسنٍ
وبعده بحسينٍ كان قد سَعِدا

---

(١) أورد القصيدة كما وجدتها دون ترتيب لبعض الأبيات ولا تعديل لبعض الزحاف في بضع مواد قليلة.

تفتّحتْ لرسول الله حينئذٍ
آماله وتسامى بيته عَددا

فراح يعلنُ للدنيا بقولته:
هما إمامان إنْ قاما وإنْ قَعدا

نما وشَبا على أيدٍ مطهّرةٍ
سمت وما شابهت في العالمين يدا

قدسيةٌ كلما مُدّت لخالقها
استجابها حيث لم تشرك به أحدا

أتى بأشرف حِجرٍ رفعةً وعُلاً
وجاء أرفع بيتٍ عزةً وهدى

بيت تردّدَ فيه الوحي وازدحمتْ
فيه الملائكُ من أهوى ومن صعدا

يهنّئون رسول الله في وَلَدٍ
يحكي رؤاهُ فكان السّبطَ والولدا

وفاطمٌ تزدهي في ظل والِدها
توسطتْ ولعمر الشبل والأسدا

فكان أوّلَ مولود يزفُّ به
إلى النبيّ أهازيج وقد حمدا

جاءت به لأبيها كي تبشّره
فضمّهُ القلبُ والأضلاع والكبدا

وكان أوّل أولاد البتول حوى
قلب النبيّ فأضحى أوّل الشُّهَدا

وتابعت خطوات الدهر مسرعةً
تلاحقُ أهل البيتِ والأركان والعُمَدا

لتبلو الناس من يرنو بناظرهِ
ومَنْ قد ارتدّا لا نقصاً ولا رمدا

ومن يصونُ رسولَ الله في ولدٍ
كان الإمامُ له نصّاً ومعتقدا

فأوقدتْ فتنةً ما كان يخمدها
إلا أمرؤ خَبُرَ الأيام واجتهدا

فخيَّر الأمرَ أنْ يسعى لمعركة
والدينُ في خطرٍ منها فما قصدا

أو أنْ يوقّعَ صُلحاً من معاويةٍ
وأيُّ صلحٍ ونابُ الخُبثِ منه بدا

فوقّعَ الصلحَ إتماماً لحجّتهِ
على أميّةَ حيث المُنتدى عُقِدا

صُلحاً يجرّعهُ الأهوال يحذره
الأبطال لو لا يسوق الصبرَ والجلدا

صبراً على الأمر لا يقوى تحمُّلَه
إلا امرؤ لم يَخفْ في دينه أحدا

إلا إمـام يـرى فـي الصبـر سـاعتها
شـجاعةً تهـزم الشـجعان والأُسُـدا

فبـان مـا يرجـى مـن معاويـةٍ أنْ
ينقُـضَ الصلـح والعهـد الـذي عهـدا

فصـاح بالنـاس مـا حاربتكـمْ أبـداً
لكـي تُصلّـوا ولا قاتلتكـم أبـدا

إلاّ لأحكـمَ فيكـم حسـبَ أمنيتـي
أنْ لـم أدعْ فيكـمُ مـن شـاهدٍ أحـدا

ومَـنْ يبايـع يجِـد أمنـاً وعافيـة
مـا لـم يكـن فـي علـيٍّ دهـره وجـدا

وأن شـروطي وعهدي تلك تسحقها
رجـلاي هاتـان فليخبـره مـن شـهدا

هنالـك امتحـنَ الرحمـنُ أفئـدةً
ممّـنْ تراجـعَ فـي البلوى ومـن صَمدا

فبرهـنَ المُجتبـى للنـاس يومئـذٍ
بمنطـقِ الصّبـرِ إنَّ الحكـمَ قـد فسـدا

ولـو تعجّـلَ فـي حـرب يُبادرُهـا
لقِيـلَ أنَّ ولـيَّ اللـه قـد حَسـدا

تاالله مـا صبـرُهُ أدنـى بمنزلـةٍ
مـن صَبْـرِ يـومِ أخيـهِ سـيّدِ الشُّـهَدا

العراقيون والآل عليهم السلام علاقة لا تزول

هذه أبيات، عمرها أكثر من ٢٥ عاماً، نظمتها، بل جاد بها الطبع -وإن لم أكن شاعراً-، تلخّص كيف انعقد رباط الحبّ الجارف والولاء الصّادق بين العراقيّين والصّفوة المختارة من آل سيّد المرسلين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

تتألف من أربعة مقاطع كل مقطع ببيتين، المقطع الثاني يخص المجتبى عليه السلام، عسى أن تجدوها صادقة.

كربلا جاءتكِ يوماً رايةٌ ظَلَّلتْ جيشَ وصِيِّ المصطفى
هزّها في الْجَوِّ مِنْها انْتَثَرَتْ بَذرَةُ الحُبِّ على أرضِ العَطا

***

حُفِظَتْ في يومِ ساباطٍ بِما عَجِبُوا منهُ لصَبْرِ المُجتَبى
صالَحَ الباغِينَ يسعى لَهُمُ حافظاً للدِّينِ والدُّنيا مَعا

***

ثُمَّ جاءتْ رايةٌ تعقِبُها شالَها خامسُ أصحابِ الكِسا
سَقَطَتْ في التُّربِ ثمَّ امتزَجَتْ مِنْ على تُربانِها قانِي الدِّما

***

بدأَتْ يومَ وُصولِ المُرتَضى جَدَّدتْ عَهْداً بكَربٍ وبَلا
لَنْ يَجِفَّ الدَّمُ فِيكُم أبداً طالما يَنبِضُ بالحُبِّ الحَشا

تم بحمد الله

المحتويات

مقدمةُ المركز ٥
مقدمة..... ٧
من هو الإمام الحسن عليه السلام؟..... ٧

الباب الأول:
الإمام الحسن عليه السلام في القرآن والسنة

الفصل الأول: الإمام الحسن ع في القرآن..... ١٤
تقديم..... ١٥
ملاحظة بخصوص الآيات والتفاسير..... ١٦
المجموعة الأولى: ما تتضمن الإمام الحسن عليه السلام بشكل مباشر..... ١٧
١ - الكوثر:..... ١٧
٢ - التطهير:..... ١٩
٣ - المودة:..... ٢١
٤ - المباهلة..... ٢٤
٥ - هل أتى..... ٢٧
٦ - الأسباط..... ٢٨
٧ - آية الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم..... ٣١
المجموعة الثانية: ما تتضمن الإمام الحسن عليه السلام من موقعه في الإمامة... ٣٥

١-الولاية.....٣٥
٢- المنذر والهادي.....٣٧
٣-آيات الغدير.....٤١
٤- آيتا أولي الأمر.....٤٥
المجموعة الثالثة: ما يتعلق بالإمام عليه السلام في موضوع الآية.....٥١
١- آيات الأمة المسلمة في دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.....٥١
٢- خير أمة أخرجت للناس (من الدعاء أعلاه).....٥٤
٣- آية مع الصادقين.....٥٦
٤- فاسألوا أهل الذكر.....٥٩
٥- آية الحسد.....٦٢
الفصل الثاني: الإمام الحسن عليه السلام في السنة.....٦٦
تقديم.....٦٧
بخصوص الروايات الحديثية.....٦٨
المجموعة الأولى: ما يتضمن الإمام الحسن عليه السلام بشكل مباشر.....٧٠
١- سيد شباب أهل الجنة.....٧٠
٢- الحسنان عليهما السلام سبطان من الأسباط.....٧١
٣- حديث في حب الحسن عليه السلام وفي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه.....٧٢
٤- ريحانتي من الدنيا.....٧٣
٥- إمامان قاما أو قعدا.....٧٤
المجموعة الثانية: ما يتضمن الإمام الحسن عليه السلام من موقع الإمامة.....٧٥
١- حديث الثقلين.....٧٥

٢- الأمراء/ الخلفاء ١٢.....٧٨
٣ - حديث الغدير.....٨٦
٤ - اتباع الحسن عليه السلام.....٨٧
٥- السفينة.....٨٨
٦- النجوم أمان.....٨٩
٧- سد الأبواب.....٩٠
٨ - الزموا مودتنا، معرفة حقنا.....٩١
الفصل الثالث: منزلة الحسن عليه السلام مقارنة بالحسين عليه السلام.....٩٢
منزلة الحسن عليه السلام مقارنة بالحسين عليه السلام.....٩٣
الحسنان عليهما السلام متكافئان.....٩٥
المصدران الأصليان للتشريع يساويان بين الاثنين عليهما السلام.....٩٧
ماذا عن العلاقة بين الحسنين عليهما السلام على أرض الواقع؟.....٩٨
الحسن عليه السلام إمام الحسين عليه السلام.....٩٩
طاعة الحسين عليه السلام لأخيه عليه السلام في جميع قراراته.....١٠١
طاعة الحسين عليه السلام امتدت بعد الحسن عليه السلام مدة عمر معاوية.....١٠٢
وللظروف الحالية أثر كبير ١٠٤
دعوة إلى الحسن عليه السلام - تعريفاً واحتفالاً.....١٠٥

الباب الثاني:
الإمام الحسن عليه السلام في السيرة

الفصل الأول: من سيرة الإمام الحسن عليه السلام ١٠٨
الشبه العملي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ١٠٩
الحسن السبط عليه السلام والاستجابة لنداء الله تعالى ١١١
تواضع الإمام عليه السلام انعكاس لتواضع جده صلى الله عليه وآله وسلم ١١٣
العفو، وما بعد العفو ١١٣
مكانته عليه السلام في المجتمع ١١٤
الكريم ابن الكرماء ١١٥
الإمام الحسن عليه السلام ودفع الأذى بالحلم والكرم ١١٦
أعداؤه يشيدون بحلمه عليه السلام ١١٨
مشاركة مهمة للإمام عليه السلام ١١٨
تذكير وشكوى ١٢٠
هل شارك الحسن عليه السلام في الفتوحات ١٢٠
ماذا عن معركة الجمل؟ ١٢٢
النهروان وما بعدها ١٢٣
بيعة الإمام الحسن عليه السلام بالخلافة ١٢٣
الفصل الثاني: الإمام الحسن عليه السلام أدوار فريدة في الدين ١٢٥
١- المصداق الأول لسورة الكوثر ١٢٦
٢- سنن المواليد ١٢٧
٤- نوع إمامة أهل البيت عليهم السلام ١٢٩

٥- الإمامة العصية على الدنيا..... ١٣٠
٦- إتمام تمثيل الإسلام مع الأمم..... ١٣٢
٧- التنبيه إلى الحق بصورة دراماتيكية..... ١٣٥
٨- عقد الصلح مع البغاة..... ١٣٦
٩- تقديم السلم في الأمة على الذات..... ١٣٧
١٠- الشهادة الدائمة على النواصب..... ١٤١
الفصل الثالث: هل كان الحسن عليه السلام مزواجاً مطلاقاً حقاً؟..... ١٤٢
الاختلاف في عدد الزوجات..... ١٤٤
عدد الأولاد يكذب عدد الزوجات..... ١٤٥
فكم كان عدد أولاده؟..... ١٤٥
فلماذا الفرية أصلاً؟..... ١٤٦
فرية تشبه أخرى..... ١٤٨
افتراء ظالم..... ١٤٨

الباب الثالث:

صلح الإمام الحسن عليه السلام

الفصل الأول: الإمام الحسن عليه السلام والباغي معاوية بن أبي سفيان..... ١٥٠
المعارك والمؤامرات..... ١٥١
مكاتبات وتحذيرات قبل الصلح..... ١٥٦
بعد عقد الصلح..... ١٥٧
على المنبر..... ١٥٧
معاوية يكشف حقيقته..... ١٥٩

الفصل الثاني: قراءة في رسالة الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية..... ١٦١
نص الرسالة..... ١٦٣
الفصل الثالث: صلح الإمام الحسن عليه السلام - ملّخص..... ١٧١
تظافر الأسباب..... ١٧٢
معاوية يعرض الصلح..... ١٧٣
تاريخ توقيع معاهدة الصلح..... ١٧٤
بنود معاهدة الصلح..... ١٧٤
صورة المعاهدة التي وقعها الفريقان..... ١٧٥
عدم وفاء معاوية بالشروط..... ١٧٨
الفصل الرابع: عوائد الصلح..... ١٧٩
النظرة إلى الصلح..... ١٨٠
عوائد الصلح..... ١٨٤
الفصل الخامس: اختلاف موقفي الحسنين عليهما السلام..... ١٩٠
تذمر بعض أصحاب الإمام عليه السلام..... ١٩٢
توضيحات الإمام الحسن عليه السلام..... ١٩٣
توضيح بشكوى بحضور الباغي..... ١٩٧
نقاش السيد المرتضى رحمه الله..... ١٩٩
موقف الإمام الحسين عليه السلام..... ٢٠٣
نتيجة البحث في الموقفين..... ٢١٢

الباب الرابع:

من التراث العلمي للإمام الحسن عليه السلام

الفصل الأول: من خطب الإمام الحسن عليه السلام..... ٢١٧
المرجعية العلمية..... ٢١٨
في حياة أمير المؤمنين عليه السلام..... ٢١٩
خطبة استنفار الناس..... ٢٢٠
خطبة أخرى للنصرة..... ٢٢٢
خطبة صلاة الجمعة مكان أبيه عليه السلام..... ٢٢٣
خطبة في الكوفة رداً على الطعن فيه عليه السلام..... ٢٢٥
نعي أمير المؤمنين عليه السلام..... ٢٢٦
الفصل الثاني: من أحاديث الإمام الحسن عليه السلام..... ٢٢٩

الباب الخامس:

بين المعرضين والموالين

الفصل الأول: بعض العجائب من تعامل العلماء مع الإمام الحسن عليه السلام.. ٢٤٧
مع المؤرخين..... ٢٤٨
مع المُحَدّثين..... ٢٥٣
الفصل الثاني: عندما يزدان الشعر بالإمام المجتبى عليه السلام..... ٢٥٧
قصيدة الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله..... ٢٥٩
قصيدة الأخت «صابرة» في الإمام المجتبى عليه السلام..... ٢٦٤
العراقيون والآل عليهم السلام علاقة لا تزول..... ٢٦٨